

شرح نهج البلاغة

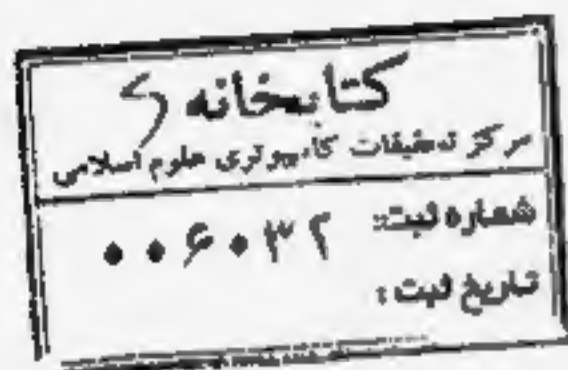
لابن أبي الحديد

محمّد بن
محمّد بن الفضل بن حسين

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



تأليف
مجتهد أبو الفضل البراهين



مرکز تحقیقات کتاب و ترویج علوم اسلامی

جزء الثالث

دار الفکر للطباعة والنشر

مبنى البابی الجلیلی وشركة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٩٨٩م - ١٩٩٢م



مركز توثيق وتحرير التراث العربي

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل الكريم .

واعلم أن الذي ذكره المرتضى رحمه الله تعالى ، وأورده على قاضي القضاة ^(١) جَيِّدًا لَازِمًا ؛ متى ادَّعى قاضي القضاة أن العدالة إذا ثبتت ظنًا أو قطعًا لم يجوز المدَّول عنها والتبرُّؤ إلا بما يوجب القطع ، ويُمَلِّم به علمًا يقينياً زوالها ؛ فأما إذا ادَّعى أن للعلوم لا يزول إلا بما يوجب العلم ، فلا يَرُدُّ عليه ما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى .

وله أن يقول : قد ثبتت بالإجماع إمامة عثمان ، والإجماع دليل قطعي عند أصحابنا ، وكلٌّ مَنْ ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التي بها ثبتت إمامته ، لأنه لا يجوز أن تكون إمامته معلومة وشرائعها مظلونة ؛ لأنَّ الموقوف على المظنون مظلون ، فككون إمامته مظلونة ، وقد فرضناها معلومة ، وهذا خلف ومُحال . وإذا كانت عدالته معلومة لم يجوز القول بانتفاها وزوالها إلا بأمر معلوم .

والأخبار التي رُوِيَتْ في أحداثه أخبارٌ آحاد لا تنفذ العلم ، فلا يجوز المدَّول عن العلوم بها ، فهذا الكلام إذا رُتِّبَ هذا الترتيب اندفع به ما اعترض به المرتضى رحمه الله تعالى .

• • •

[بقية رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار

من الدفاع عن عثمان] (*)

فأما كلامُ المرتضى رحمه الله تعالى على الفصل الثانى من كلام قاضى القضاة ، وهو الفصلُ المحكى عن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى ، فنحن نورده . قال رحمه الله تعالى^(١) :

أما قوله : لو كان ما ذكر من الأحداث قاصداً لوجب من الوقت الذى ظهرت الأحداث فيه أن يطلبوا رجلاً ينصبونه فى الإمامة ، لأن ظهورَ الحدث كونه ، فلما رأيناهم طلبوا إماماً بعد قتله دل على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث . فليس بشئ معتد ؛ لأن تلك الأحداث وإن كانت مزيلة عندم لإمامه ، وفاسخة لها ، ومقتضية لأن يقتدوا بغيره الإمامة ،^(٢) إلا أنهم لم يكونوا قادرين على أن يقتدوا على نصب غيره ،^(٣) مع تشبهه بالأمر ؛ خوفاً من الفتنة والتنازع والتجاذب ، وأرادوا أن يخلع نفسه ، حتى تزول الشبهة ، وينشط مَنْ يصلح للأمر لقبول المقعد والتكفل بالأمر . وليس يجرى ذلك مجرى موته ؛ لأن موته يحسم الطمع فى استمرار ولايته ، ولا تبقى شبهة فى خلوة الزمان من إمام . وليس كذلك حدته الذى يسوغ فيه التأويل على بعده ، وتبقى معه الشبهة فى استمرار أمره . وليس نقول^(٤) : إنهم لم يتمكنوا من ذلك كما سأل نفسه ، بل الوجه فى عدولهم ما ذكرناه من إرادتهم حسم^(٥) المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة .

(*) تابع لما ورده فى الجزء الثانى من ٢٢٨ وما بعدها .

(١) الشافى ٢٦٦ وما بعدها ؛ وعبارته فى أول هذا الفصل : « فأما عند الأحداث التى وقعت عليه ، فنحن نكلم عليها وعلى ما أورده من المأذون فيها بحسب ما قال تعالى عند ذكره فقله ؛ فأما ما حكاه عن أبى على من قوله : لو كان ما ذكره من الأحداث عدداً وانظر من ٣٦٢ من الجزء الثانى .

(٢ - ٢) كفاً فى ١ ، ج ، د ، ب ، والشافى : « فإنهم لم يقدموا على نصب غيره . . . » .

(٣) الشافى : « ليس نقول . . . » (٤) ١ : « لحسم » ، وكذلك فى الشافى .

قال : فأما قوله : إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حُصر فيها وقُتل ؛ بل كانت تقعُ حالاً بعد حال ، فلو كانت توجبُ الخلع والبراءة ، لما تأخر من المسلمين الإنكارُ عليه ، ولكان للقيومون من الصحابة بالمدينة أولى بذلك من الواردين من البلاد ؛ فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد ؛ إلا أنه غيرُ منكر أن يكونَ نكيرُهم إنما تأخر لأنهم تأوتوا ماورد عليهم من أفعاله على أجل الوجوه ؛ حتى زاد الأمرُ وتفاقم ، وبُعد التأويل ، وتعدّر التخريج ، ولم يبق للظن الجليل طريق ، فحينئذ أنكروا ، وهذا مستمرٌ على ماقدّمنا ذكره ، من أن المدالة والطريقة الجليّة يُتأوّل لها في الفعل والأفعال القليلة ، بحسب ماقدّم من حسن الظن به ، ثم انتهى الأمر [بعد ذلك]^(١) إلى بُعد التأويل ، والميل على الظاهر القبيح .

قال : على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين بخلمه من أول حدّث ، بل معتقدين أن إمامته لم تثبت وقتاً من الأوقات ، وإنما منعهم من إظهار ما في نفوسهم ماقدّمناه من أسباب الخوف والتخفي ؛ لأن الاعتذار بالوجل^(٢) كان عاماً ، فطابتين أمره حالاً بعد حال ، وأعرضت الوجوه عنه ، وقلّ العاذرُ له ، قويت الكلمة في خلمه . وهذا إنما كان في آخر الأمر دون أوله ، فليس يقتضى الإمساك عنه إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطأ إلى الجميع ؛ على ماظنه .

قال : فأما دفعه بأن تكون الأمة أجمعت على خلمه بخروجه^(٣) نفسه وخروج من كان في حيزه عن القوم ، فليس بشيء ، لأنه إذا ثبت أن من عداه وعدّ أعدموه الرّهيط من فجار أهله وقساقيهم ، كزوان ومن جرى مجراه ، كانوا مجمعين على خلمه ، فلا شبهة

(١) من كتاب الشافعي .

(٢) كذا في ج ، وفي حاشيتها : « يعني أكثر الناس يستندون بالخوف » ، وفي ا ، ب : « لأن الاعتذار بالرجل » ، وفي الشافعي : « لأن الاعتذار بالرجل » .

(٣) ب : « بإخراجه » .

في أن الحق في غير حيزه ، لأنه لا يجوز أن يكون هو المصيب ، وجميع الأمة مبطل ؛ وإنما يدعى أنه على الحق لمن ينزع في إجماع من عداه ، فأما مع التسليم لذلك ، فليس يبقى شبهة ، وما نجد مخالفينا يعتبرون في باب الإجماع بإجماع الشذاذ والنفر القليل الخارجين من الإجماع ، ألا ترى أنهم لا يحفلون ^(١) بخلاف سعد ^(٢) وأهله وولده في بيعة أبي بكر لقتلهم وكثرة من يلزأهم ؛ ولعلك لا يعتدون بخلاف من امتنع من بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويجعلونه شاذاً ؛ لا تأثير بخلافه ^(٣) ، فكيف فارقوا هذه الطريقة في خلق عثمان ! وهل هذا إلا قلب وتلون !

قلت : أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبي بكر بالإجماع ، فاعتراض حجبتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد ، وليس بقول أصحابنا في جوابه : هؤلاء شذاذ فلا يحفل بخلافهم ؛ وإنما الاعتبار بالكثرة التي يلزأهم وكيف يقولون هذا ، وحجبتهم بالإجماع ولا إجماع ! ولكنهم يجيبون عن ذلك بأن سعد مات في خلافة عمر ، فلم يبق من يخالف في خلافة عمر ، فاعتقد الإجماع عليها ، وبايع ولد سعد وأهله من قبل ؛ وإذا صحت خلافة عمر صحت خلافة أبي بكر ؛ لأنها فرع عليها ؛ ومحال أن يصح الفرع ، ويكون الأصل فاسداً ؛ فهكذا يجب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع ؛ فأما إذا احتجوا بالاختيار فلا يتوجه نحوهم الاعتراض بخلاف سعد وأهله وولده ؛ لأنه ليس من شرط ثبوت الإمامة بالاختيار إجماع الأمة على الاختيار ؛ وإنما يكفي فيه بيعة خصة من أهل الحل والعقد على الترتيب الذي يرتب أصحابنا الدلالة عليه ؛ وبهذا الطريق ثبت عندهم إمامة علي عليه السلام ، ولم يحفل بخلاف معاوية وأهل الشام فيها .

(١) يقال : لم يحفل بالأمر ؛ إذا لم يبال به .

(٢) هو سعد بن عباد الأنصاري ، وانظر حديث السقيفة في تاريخ الطبري (حوادث السنة الحادية عشرة) .

(٣) ١ ، ج : لا تأثير له .

قال رحمه الله تعالى : فأما قوله : إن الصعابة كانت بين فريقين : من نصره ^(١) كزيد بن ثابت وابن عمر وفلان وفلان ، والباقيون ممتنعون استظاراً لزوال العارض ولأنه ماضٍ عليهم الأمر في الدفع عنه ، فعجيب ، لأن الظاهر أن أنصاره هم الذين كانوا معه في الدار ، يقاتلون عنه ^(٢) ، ويدفعون المهاجرين عليه .

فأما من كان في منزله ما أغنى عنه قتيل ، فلا يُعدّ ناصراً ، وكيف يجوز من أراد نصرته ، وكان معتقداً لصوابه ، وخطأً للطالبيين له بالخلع ، أن يتوقف عن النصر طلباً لزوال العارض ! وهل تُراد النصر إلا لدفع العارض ، وبعد زواله لا حاجة إليها ! وليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيّق هو عليهم الأمر فيها ، بل من كان معتقداً لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها ، ولا يُغفل بنهي عنها ، لأن النكر بما قد تقدم أمر الله تعالى بالنهي عنه ، فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره .



قال : فأما زيد بن ثابت ، فقد روي سبله إلى عثمان ، وما بنى ذلك وإزارته جميع المهاجرين والأنصار وإليه إليه سبب معروف ، فإن الواقدي روى في "كتاب الدار" أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحضر الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصعبه إلى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر ، فضيا إليها وهي عازمة على الحج ، فكلّمها في أن تُقيم وتُدب عنه ، فأقبلت على زيد بن ثابت ، فقالت : وما منعك يا ابن ثابت ولك الأشراف قد اقتطعكم ^(٣) عثمان ، ولك كذا وكذا ، وأعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار ! قال زيد : فلم أرجع عليها حرفاً واحداً ، وأشارت إلى مروان بالقيام ، فقام مروان وهو يقول :

(١) الشافعي : « من نصره » .
(٢) ب : « يقاتلون غيره » .
(٣) الشافعي : « قد قطعها » .

حَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلا دَ حَقِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا^(١)

فنادته عائشة ، وقد خرج من العتبة : يا ابن الحسك ، أعلت تُمَثِّلُ الأشعار ا قد والله سمعتُ ماقلت ، أتراني في شك من صاحبك ا والذى نفسى بيده لوددت أنه الآن في غرارة من غرائرى كحيط عليه ، فألقيه في البحر الأخضر ، قال زيد بن ثابت : نخرجنا من عندها^(٢) على اليأس منها^(٣) .

وروى الواقدي أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار ، وهو بدموم إلى نصره عثمان . فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حبة اللزني ، فقال له : وما يمنك يا زيد أن تدب عنه ؟ أعطاك عشرة آلاف دينار وحدثك من نخل لم تَرِث من أبيك مثل حقيقة منها .

فأما ابن عمر فإن الواقدي روى أيضا عنه أنه قال : والله ما كان فينا إلا خاذل أو قاتل . والأمر على هذا أوضح من أن يخفى .
فأما ما ذكره من إغاث أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام ، فإنما أغثهما - إن كان أغثهما - ليمنا من انتهاك حرمة وتعد قتل ، ومنع حرمة^(٤) ونساتهم الطعام والشراب ، ولم يُغثهما ليمنا من مطالبته بالخلع ، وكيف وهو عليه السلام مصرح بأنه يستحق بأخذائه الخلع ، والقوم الذين سقوا في ذلك إليه كانوا يندون ويروحون ، ومعلوم منه ضرورة أنه كان مساعدا على خلعه ونقض أمره ، لا سيما في المرة الأخيرة .
فأما ادعاؤه أنه عليه السلام لعن قتلته ، فهو يعلم ما في هذا من الروايات المختلفة التي

(١) الإجماع : الإفلاج ؛ والبيت للربيع بن زياد ؛ من أبيات في الحاسة ٢ - ٤٨٤ - ٤٨٧ ، بصرح للرزوقي . وفي الشطر الأول من البيت زحاف بالجرم ؛ وهو جائز في أول التغارب والطويل ، ورواية اللسان : « وحرقت » ؛ بلا جرم - وقيس هو ابن زياد العبسي .
(٢ - ٣) الثاني : « على الناس » .
(٤) ب : « حرمة » ، وما أثبتته من ا ، وكتاب الفائق .

هي أظهر من هذه الرواية ، وإن صحت فيجوز أن تكون محمولة على لئن من قتله متممدا قتله ، قاصدا إليه ، فإن ذلك لم يكن لم .

فأما ادعاءه أن طلحة رجع لما ناشده عثمان يوم الدار ، فظاهر البطلان وغير معروف في الرواية ، والظاهر المعروف أنه لم يكن على عثمان أشد من طلحة ، ولا أغلظ منه . قال : ولو حكينا من كلامه فيه ما قد روي لأقينا قطعة كثيرة من هذا الكتاب ، وقد روي أن عثمان كان يقول يوم الدار : اللهم اكفني طلحة ، ويكرر ذلك ، علما بأنه أشد القوم عليه . وروي أن طلحة كان عليه يوم الدار دِرْعٌ وهو يرمى الناس ، ولم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل^(١) .

فأما ادعاءه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ستكون فتنة ، وإن عثمان وأصحابه يومئذ على الهدى » ، فهو يعلم أن هذه الرواية الشاذة لا تكون في مقابلة المعلوم ضرورة من إجماع الأمة على تحليمه ونخذه ، وكلام وجوه المهاجرين والأنصار فيه ، وبإزاء هذه الرواية ما عملاً الطروس عن النبي صلى الله عليه وآله وغيره ، مما يتضمن ما تضمنته . ولو كانت هذه الرواية معروفة لسكان عمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار ، وقد احتج عليهم بكل فت وسمين ، وقبل ذلك لما خوص وطولب بأن يخلع نفسه ، ولاحتج بها عنه بعض أصحابه وأنصاره ، وفي علما بأن شيئا من ذلك لم يكن ، دلالة على أنها مصنوعة موضوعة .

فأما ما رواه عن عائشة من قولها : « قتل واقع مظلوما » فأقوال عائشة في معروفة ومعلومة ، وإخراجها قيس رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تقول : « هذا قيسه لم يبل » ، وقد أبلى عثمان سنته ، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة .

(١) ب : « الرجل » ، وما أتجه من ا ، ج ، وكتاب الشار .

فأما مدحها له وثناؤها عليه ؛ فإِنَّمَا كَانَا عَقِيبَ عِلْمِهَا بِانْتِقَالِ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ اسْتَقَلَّ إِلَيْهِ ، وَالسَّبَبُ فِيهِ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ وَفَّقَتْ عَلَيْهِ ، وَقَوَّيْلُ بَيْنَ كَلَامِهَا فِيهِ مُتَقَدِّمًا وَمُتَأَخِّرًا .
فَأَمَّا قَوْلُهُ : لَا يَجْتَمِعُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَخْبَارِ الْأَحَادِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهَا فِي مُقَابَلَةِ مَا يَدْعُوهُ عَمَّا طَرِيقَهُ أَيْضًا الْأَحَادُ ، فَوَاضِحُ الْبَطْلَانِ ، لِأَنَّ إِنْطِبَاقَ الصَّعَابَةِ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ - إِلَّا مَنْ كَانَ فِي الْحَارِ مَعَهُ عَلَى خِلَافِهِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ مُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ مُبَارَزٍ ، وَبَيْنَ مُتَقَاعِدٍ خَادِلٍ - مَعْلُومٌ^(١) ضرورةً لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ الْأَخْبَارَ ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ أَنَّهَا مِنْ جِهَةِ الْأَحَادِ حَتَّى يَمَارِضَ بِأَخْبَارٍ شَاذَةٍ نَادِرَةٍ أَوْ هَلْ هَذَا إِلَّا مَكَابِرَةٌ ظَاهِرَةٌ !

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّا لَا نَعْدِلُ عَنْ وِلَايَتِهِ بِأُمُورٍ مُحْتَمَلَةٍ ، فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَقُلْنَا إِنْ الْمُحْتَمَلُ هُوَ مَا لَا ظَاهِرَ لَهُ ، وَبِتَجَاذِبِهِ أُمُورٍ مُحْتَمَلَةٍ ، فَأَمَّا مَا لَا ظَاهِرَ فَلَا يَسْتَعِينُ بِمُحْتَمَلٍ وَإِنْ سَمَاءُ بِهِذِهِ التَّسْيَةِ ، قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ^(٢) أَجْلُهُ عَنِ الْوِلَايَةِ ، وَفَضَّلْنَا ذَلِكَ تَفْصِيلًا بَيِّنًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَجْتَهِدَ بِرَأْيِهِ فِي الْأُمُورِ الْمَوْطُوعَةِ بِهِ ، وَيَكُونُ مُصِيبًا وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى عَاقِبَةٍ مَذْمُومَةٍ ، فَأَوَّلُ مَا فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِمَامِ وَلَا غَيْرِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ فِيهَا إِلَّا عَلَى النِّصْنِ ، ثُمَّ إِذَا سَلَّمْنَا الْجَهْدَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ أُمُورًا لَا يَسُوعُ فِيهَا الْجَهْدَ ، حَتَّى يَكُونَ مَنْ حَرَّنَاهُ أَنَّهُ اجْتَهِدَ فِيهَا غَيْرَ مَصُوبٍ^(٣) ، وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ يَبَيِّنُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مَا نَعْلَمُ مِنَ الْأَعْدَادِ عَنْ إِحْدَائِهِ^(٤) عَلَى جِهَةِ التَّفْصِيلِ .

قُلْتُ : الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِقْصَاءِ إِنْمَا يَكُونُ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ الْمَبْسُوطَةِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ يَكْفِي قَاصِي الْقَضَاءِ أَنْ يَقُولَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي كِتَابِ الشَّاقِ : « غَيْرُ مُصَدِّقٍ » .

(٢) الشَّاقِ : « فِي أَحْدَائِهِ » .

قد ثبت بالإجماع صحة إمامة عثمان ؛ فلا يجوز الرجوع عن هذا الإجماع إلا بإجماع معلوم على خلعته وإباحة قتله ، ولم يجمع المسلمون على ذلك ، لأنه قد كان بالمدينة من يُنكر ذلك وإن قتلوا ، وقد كان أهل الأمصار يُنكرون ذلك ، كالشام والتمرة والحجاز واليمن ومكة وخراسان ، وكثير من أهل الكوفة ، وهؤلاء مسلمون ، فيجب أن تُستبرأ أقوالهم في الإجماع ، فإذا لم يدخلوا فيمن أحب عليه لم ينمق الإجماع على خلعته ولا على إباحة دمه ، فوجب البقاء على ما اقتضاه الإجماع الأول .

• • •

[ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها]

فأما الكلام في المطاعن للمعتز التي طعن بها فيه ، فمن مذكرها ، وعكس ما ذكره قاضي القضاة وما اعترض به المرتضى رحمه الله تعالى ^(١) .

الطعن الأول :

قال قاضي القضاة في " للمعنى " : لما طعن به عليه قولهم : إنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه ، ومن ظهر منه العسق والفساد ، ومن لا علم عنده ، مراعاة منه لحمة القرابة ، وعدولاً عن مراعاة حرمة الدين والمظهر للمسلمين ؛ حتى ظهر ذلك منه وتكرر ؛ وقد كان عمر حذره من ذلك ؛ حيث وصفه بأنه كلف بأفاره ، وقال له : إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط بي أي معيظ على رقاب الناس . فوقع منه ما حذره إياه ، وعوتب في ذلك فلم ينفع العتب ، وذلك نحو استعماله الوليد بن عتبة ^(٢) ، وتقليده إياه ،

(١) نقله المرتضى في الثاني ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أخو عثمان لأنه ، وأما أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس . ولأن عثمان السكينة بعد عزل سفيان بن أبي وقاص ؛ ثم عزله عنها بعد أن ثبت عليه شرب الخمر ؛ في خبر مشهور . الإصابة ٣ : ٦٠١ .

حتى ظهر منه شرب الخمر ؛ واستعماله سيد بن العاص ^(١) حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة ، وتوليته عبد الله بن أبي سرح ^(٢) ، وعهد الله بن عامر بن كرز ^(٣) ؛ حتى روى عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما نطلم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر ، كاتبه بأن يستمر على ولايته ، فأبطن خلاف ما أظهر ، فقل من فرضه خلاف الدين . ويقال : إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه ، وظفر بذلك الكتاب ، ولذلك علم التنظّم من بعد ، وكثر الجمع ، وكان سبب الحصار والقتل ؛ حتى كان من أمر مروان ونسلطه عليه وعلى أموره ما قتل بسببه ؛ وذلك ظاهر لا يمكن دفعه .

قال رحمه الله تعالى : وجوابنا من ذلك أن قول : أما ما ذكر من توليته من لا يجوز أن يستعمل ، فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه لم يستعملهم علم من أحوالهم خلاف السر والصلاح ؛ لأن الذي ثبت كسبهم من الأمور القبيحة حدث من بعد ، ولا يمنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده ؛ وإنما كان يجب تخطيطه لو استعملهم ؛ وهم في الحال لا يصلحون لذلك .

فإن قيل ، قلنا علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم !
قيل : كذلك فعل ؛ لأنه إنما استعمل الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي . ولده عثمان الكوفة بعد الوليد ابن عقبة ؛ ثم عكاه أهل الكوفة ؛ لتبصر وعطلة به ، وكتبوا إلى عثمان : لا حاجة لنا في وليدك ولا سبيلك . فضله . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢٩ .

(٢) هو عبيدة بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري ، أخو عثمان من الرضاة ؛ كان على الصعيد في زمن عمر ، ثم ضم إليه عثمان مصر كلها ؛ واتبع لإفريقية ، الإصابة ٣ : ٣٠٩ .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي البشامي ، ابن خال عثمان بن عفان . عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن أبي العاص عن فارس ؛ وجمع ذلك كله لعبد الله بن عامر . الاستيعاب لابن عبد البر ٩٣١ .

فما شهد عليه بذلك جلده الحدّ وصرفه . وقد روى مثله عن عمر ، فإنه ولى قدامة بن مظعون بعض أعماله ، فشهدوا عليه شرب الخمر ، أشخصه وجلده الحدّ ؛ فإذا عدّ ذلك في فضائل عمر لم يحز أن يعدّ ما ذكره في الوليد من معائب عثمان . ويقال : إنه لما أشخصه أقام عليه الحدّ بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد اعتذر من عزله سعد بن أبي وقاص بالوليد ؛ بأن سدا شكاه أهل الكوفة ، فأداه اجتهداه إلى عزله بالوليد .

فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة وولى مكانه أبا موسى ، وكذلك عبدالله بن أبي سريح عزله وولى مكانه محمد بن أبي بكر ، ولم يظهر له من مروان ^(١) ما يوجب أن يصرفه عما كان مستملا فيه ، ولو كان ذلك طعنا لوجب مثله في كل من ولى ، وقد علما أن رسول الله صلى الله عليه وآله ولى الوليد بن عتبة ، لحدث منه ما حدث . وحدث من بعض أمراء أمير المؤمنين عليه السلام الحياة ، كالقمقاع بن شور ، لأنه ولاه على ميسان فأخذ ما لها ولحق بمماوبة ، وكذلك قتل الأشعث بن قيس بمال أذربيجان . وولى أبا موسى الحكم ، فكان منه ما كان ، ولا يجب أن يصاب أحد بفعل غيره ؛ وإذا لم يلحقه عيب في ابتداء ولايته فقد زال العيب فيها بعده .

وقولهم : إنه قسم أكثر الولايات في أقاربه ، ووال من طريقة الاحتياط للسلطين ، وقد كان عمر حذره من ذلك ، فليس بعيب ؛ لأن تولية الأقارب كتولية الأبعد ؛ إذ يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصة . ولو قيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع ، إذا كان الولي لم أشدّ تمكنا من عزلهم ، والاستبدال بهم ، وقد ولى أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس البصرة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقسم بن العباس مكة ؛ حتى قال مالك الأشتر عند ذلك :

(١) كذا في ج ، ولى ب والشاق : في باب مروان .

عَلَىٰ مَاذَا قَتَلْنَا الشَّيْخَ أَسَىٰ ! فَمَا يُرْوَى ؛ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِسَبَبٍ إِذَا أَدَّى مَا وَجِبَ عَلَيْهِ فِي اجْتِهَادِهِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ حَيْثُ وَثَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّهُ يَقْتُلُهُ وَيَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، فَقَدْ أَسْكَرَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِنِكَارِ ، حَقِّ حَلْفِ عَلَيْهِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي ظَهَرَ لَيْسَ كِتَابُهُ وَلَا الْغَلَامُ غَلَامُهُ وَلَا الرَّاحِلَةُ رَاحِلَتُهُ ؛ وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مِّنْ خَاطِبِهِ فِي ذَلِكَ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَبِلَ عَذْرَهُ . وَذَلِكَ بَيِّنٌ ؛ لِأَنَّ قَوْلَ كُلِّ أَحَدٍ مُّقْبُولٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْكِتَابَ يَحْمُوزُ فِيهِ التَّنْزِيرُ ، فَهُوَ عَمَلُهُ الْخَيْرِ الَّذِي يَحْمُورُ فِيهِ الْكَذِبُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي زَوَّرَ الْكِتَابَ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ عَنْهُ ، فَهَلَّا أَقَامَ فِيهِ الْحَدَّ ؟

قِيلَ : لَيْسَ يَحِبُّ بِهَذَا الْقَدْرِ أَنْ يُقَطَّعَ عَلَىٰ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ غَلَبَ ذَلِكَ فِي الظَّنِّ ، فَلَا يَحْمُوزُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ ، وَقَدْ كَانُوا يَتَوَمَّنُونَ تَسْلِيمَ مَرْوَانَ إِلَيْهِمْ ؛ وَذَلِكَ ظَلَمٌ ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْإِمَامِ أَنْ يُعْجِمَ الْحَدَّ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ أَوْ التَّأْدِيبَ ، وَلَا يَحْمِلُ لَهُ تَسْلِيمُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُنْذِرُوا عَنْهُ مَا يَوْجِبُ فِي مَرْوَانَ الْحَدَّ وَالتَّأْدِيبَ لِيَفْعَلَهُ بِهِ ؛ وَكَانَ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ وَالحَالُ هَذِهِ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيفَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يُوجِبُ قَوْدًا وَلَا دِيْقًا وَلَا حَدًّا ، فَلَوْ ثَبِتَ فِي مَرْوَانَ مَا ذَكَرُوهُ لَمْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ وَإِنْ اسْتَحَقَّ التَّعْزِيرَ ، لَكُنْهُ عَدْلٌ عَنْ تَمْزِيرِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ؛ وَقَدْ يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ عَمَانُ ظَنٍّ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ فَعَلَ بَعْضُ مَنْ يَمَادِي مَرْوَانَ تَقْبِيحًا لِأَمْرِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْمُوزُ ، كَمَا يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ ؛ وَلَا يَسْلَمُ كَيْفَ كَانَ اجْتِهَادُهُ وَظَنُّهُ أَوْ بَعْدَ فَإِنَّ هَذَا الْحَدَّثَ مِنْ أَجْلِ مَا تَقَرَّرَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يُوجِبُ خَلْعَ عَمَانٍ وَقَتْلَهُ ؛ فَلَيْسَ إِلَّا هَذَا ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ ثَبِتَ مَا كَانَ يُوجِبُ الْقَتْلَ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْقَتْلِ لَا يَوْجِبُ الْقَتْلَ ؛ سِوَا قَبْلِ وَقُوعِ الْقَتْلِ لِلْأُمُورِ بِهِ ؛ فَتَقُولُ ^(١) لَمْ : لَوْ ثَبِتَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَمَانٍ أَوْ كَانَ يَحِبُّ قَتْلَهُ أَفَلَا يَمْكُنُهُمْ ادِّعَاءُ

ذلك ، لأنه بخلاف الدين ؛ ولا بد أن يقولوا : إن قتله ظلم ، وكذلك حبسه في القار ، ومنعه من الماء ، فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك ، وأن يقال : إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئاً .

وفي القول بأن الصحابة احتسبوا على ذلك كلهم تخطئة لجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك غير جائز ، وقد علم أيضا أن المستحق للقتل والخلع لا يحمل أن يمنع الطعام والشراب ، وعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صفين ؛ وقد تمكن من منعهم ؛ وكل ذلك يدل على كون عثمان مظلوماً ، وأن ذلك من صنيع الجهال ، وأن أعيان الصحابة كانوا كارهين لذلك . وأيضاً فإن قتله لو وجب لم يجوز أن يتولاه العوام من الناس ؛ ولا شبهة أن الذين أقدّموا على قتله كانوا هذه الصفة ؛ وإذا صح أن قتله لم يكن لهم ، فنتهم والتكبر عليهم واجب .

وأيضاً فقد علم أنه لم يكن من عثمان ما يستحق به القتل ؛ من كفر بعد إيمان ، أو زناً بعد إحسان ، أو قتل نفس بغير حق ؛ وأنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام ؛ فقتله على كل حال منكراً ، وإنكاراً للذكر واجب .

وليس لأحد أن يقول : إنه أباح قتل نفسه ، من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم ، لأنه لم يمتنع من ذلك ؛ بل أنصفهم ، ونظر في حالهم ، ولأنه لو لم يفعل ذلك لم يحمل لهم قتله ، لأنه إنما يحمل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع ؛ ولروى أنهم أحرقوا باباً ، وجموا عليه في منزله ، وبمجنوه بالسيف والمشاقص^(١) ، وضربوا يد زوجته لما وقعت عليه ، وانتهبوا متاع داره ؛ ومثل هذه القتل لا يحمل في الكافر المرتد ، فكيف يُظن أن الصحابة لم يفكروا ذلك ، ولم يبدؤوه ظلماً ؛ حتى يقال إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه ؛ وقد تظاهر الخبر بما جرى من مجمع القوم عليه ، وتوسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم ، وأنه

(١) الثالث : جمع مفطس ؛ وهو الفصل العريض .

بذل لهم ما أرادوه ، واعتبهم^(١) وأشهد على فيه بذلك ؛ وإن الكتاب للوجود بعد ذلك المتضمن لقتل القوم ، ووقف عليه - وتمس أوقفه عليه أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) - خلف أنه ما كتبه ، ولا أمر به ؛ فقال له : فمن تهم ؟ قال : ما أتهم أحدا ، وإن للناس حليلاً .

والرواية ظاهرة أيضا بقوله : إن كنت أخطأت أو تهمت فيني تأتب ومستغفر ؛ فكيف يحوز والحال هذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام وحرمة البلد الحرام ولا شبهة في أن القتل على وجه العيلة لا يحمل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ! وله لا أنه كان يمنع من محاربة القوم ظناً منه أن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثرة أنصاره .

وقد جاء في الرواية أن الأنصار بلبات مموتة ونصرتة موأن أمير المؤمنين عليه السلام قد بمت إليه ابنه الحسن عليه السلام [فقال له : قل لأبيك فلنأتى ؛ فأراد أمير المؤمنين عليه السلام المصير إليه ، فمنعه من ذلك محمد ابنه ، واستعان بالنساء عليه ، حتى جاء الصريح^(٣) بقتل عثمان ، فمد يده إلى القبة ، وقال : اللهم إني أرى إليك من دم عثمان . فإن قالوا : إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض ، وأنه داخل تحت آية المحاريين .

قل : فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل ، لأن ذلك يجري مجرى الحد ، وكيف يذمى ذلك ، والمشهور منه أنه كان يمنع من مقاتلتهم ، حتى روى أنه قال لمبيده ومواليه ، وقد هموا بالقتال : من أعمد سيفه فهو حر ! ولقد كان مؤثراً لنكير ذلك الأمر بما لا يؤدي إلى إراقة الدماء والفتنة ، ولذلك لم يستعين بأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وإن كان لما اشدد الأمر ، أعانه من أعان ، لأن عند ذلك تجب النصرة والمونة ، فحيث

(١) اعتبهم : أرساهم .

(٢) عبارة الشافعي : « وذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقفه على الكتاب » .

(٣) الصريح : المستقيم .

كانت الحال مناسكة ، وكان ينهى عن إيجاده وإعانتة بالحرب امتنعوا وتوقفوا ، وحيث
اشتد الأمر أعانه ونصره من أدركه ، دون من لم يلب ذلك في ظنه .

• • •

اعترض للرضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال ^(١) : أما قوله : لم يكن حالنا
بحال النسقة الذين ولّاهم قبل الولاية ؛ فلا تمويل عليه ؛ لأنه لم يول هؤلاء التفرألا
وحالهم مشهورة في الخلاعة والمجانة والتجريم والهنك ؛ ولم يختلف اثنان في أن الوليد بن
عقبة لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر والاستخفاف بالدين على استقبال ولايته الكوفة ؛ بل
هذه كانت سنته والمادة للمروفة منه ؛ وكيف يمنى على عثمان - وهو قريبه وصيقه وأخوه
لأمة - من حاله ما لا يمنى على الأجانب الأبعدا ولهذا قال له سعد بن أبي وقاص في رواية
الواقدي ، وقد دخل الكوفة - : يا أبا وهب ^(٢) ، أمير أم زائر ؟ قال : بل أمير ، فقال
سعد : ما أدري أتحقت بمدك أم كنت ^(٣) بعدى ؟ قال : ما تحقت بمدى ولا كنت بمدك ،
ولكن القوم ملكوا ^(٤) فاستأثروا ، فقال سعد : ما أراك إلا صادقا .

وفي رواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أن الوليد لما دخل الكوفة مرّ على مجلس
عمرو بن زُرارة النخعي ، فوقف ، فقال عمرو : يا معشر بني أسد ، بشما استقبلنا به أخوكم
ابن عثمان ؟ أمين عدله أن ينزع هنا ابن أبي وقاص ، الهين اللين السهل القريب ،
ويصت بدّله أخاه الوليد ، الأحق للاجن العاجر قديما وحديثا واستعظم الناس مقدّمه ،
وعزل سعد به ، وقالوا : أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد صلى الله عليه ؛ وهذا تحقيق
ما ذكرناه من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية ، لا ريب فيها عند أحد ، فكيف

(١) الشافعي ٢٦٩

(٢) أبو وهب كنية الوليد بن عقبة .

(٣) من الكيس ، وهو خلاف الحق .

(٤) كذا في ج والثاني ، وفي ب : د ولوا .

يقال : إنه كان مستوراً حتى ظهر منه ما ظهر ! وفي الوليد نزل قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ^(١) ، فالتوس ها هنا أمير المؤمنين عليه السلام ، والفاسق الوليد ، على ما ذكره أهل التأويل . وفي نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ^(٢) ، والسبب في ذلك أنه كذب على بن المصطلق عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وادعى أنهم منعموه الصدقة . ولو قصصنا مخازية المتقدمة ومساوية لطال بها الشرع . وأما شربه الخمر بالكوفة وسكره ، حتى دخل عليه [من دخل] ^(٣) وأخذ خاتمه من إصبه ، وهو لا يعلم ، فظاهر ، وقد سارت به الركب . وكذلك كلامه في الصلاة ، والتفاتة إلى من يقتدى به فيها وهو سكران ، وقوله لم : أزيدكم ؟ فقالوا : لا ، قد قضينا صلواتنا ، حتى قال الخطيئة في ذلك

فَمَهْدُ الْخَطِيئَةِ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْمُذْرِ ^(٤)

(١) سورة البقرة ١٨ .

(٢) سورة المائدة ١٨ .

(٣) نسخة من كتاب الثاقب .

(٤) كذا وردت الرواية في الأصول والثاقب ؛ وروى صاحب الأمان : ١٧٦ (ساس) بسنده عن مصعب الزبيري ، قال : قال الوليد بن عتبة بعدما حلف : اللهم إني أشهدوا على برور ، فلا ترضهم عن أمير ، ولا ترض عنهم أميراً ؛ فقال الخطيئة يكذب عنه :

شَهِدَ الْخَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْمُذْرِ
خَلَعُوا عَنَّاكَ إِذْ جَرَبْتَ وَلَوْ تَرَكُوا عَنَّاكَ لَمْ تَزَلْ نَجْرِي
وَرَأَوْا شِمَاتِلَ مَا جَدَّ أَيْمٍ يُعْطَىٰ عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْمُسْرِ
فَقَرَعْتَ مَكْذُوبًا عَيْكَ وَلَمْ تَرْفَعْ إِلَى طَمَعٍ وَلَا قُفْرِ

طال رجل من بني عجل يرد على الخطيئة :

مَا دَىٰ وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَرِيدُكُمْ - نَمِلًا - وَمَا يَدْرِي
لِيَزِيدَكُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا تَقَرَّرْتُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَثْرِ =

نَادَى وَقَدْ قَدَّتْ صَلَاتُهُمْ أَزِيدَكُمْ - تَبْلًا - وما يدرى
 ليزيدكم خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا منه قَسَادُهُمْ عَلَى عَشْرِ
 فَأَبُوا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ فَعُوا لَقَرَّتْ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
 حَبَسُوا عَيْنَاكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ خَلُّوا عَيْنَاكَ لَمْ تَزَلْ تَحْرَى
 وقال فيه أيضا :

تَكَلَّمْتَ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا عِلَانِيَةً وَجَاهَرَةً بِالنَّفْسِ (١)
 وَمَجَّ الْخَمْرَ فِي سَنَنِ لِلصَّلَاةِ وَنَادَى وَالْجَمْعُ إِلَى افْتِرَاقِ
 أَزِيدَكُمْ عَلَى أَنْ تَحْمَدُونِي فَمَا لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلْقٍ

وأما قوله : إنه جلد له الحد وعزله ، فهذا أى شيء كان ذلك ، ولم يعزله إلا بعد
 أن دافع ومانع ، واحتج عنه وناضل ، ولو لم يجهز أمير المؤمنين عليه السلام على رأيه
 لما عزله ، ولا أمكن من جلد . وقد روى الواقدي أن عثمان لما جاءه الشهود يشهدون
 على الوليد بشرب الخمر أو عذم وشهدهم .

قال الواقدي : ويقال إنه ضرب بعض الشهود أيضا أسواطًا ، فأتوا أمير المؤمنين
 عليه السلام ، فشكوا إليه ، فأتى عثمان ، فقال : عطلت الحدود ، وضربت قوما شهدوا
 على أخيك ، فقلبت الحكم ، وقد قال لك عمر : لا تحمل بنى أمية وآل أبي معيط على
 رقاب الناس ! قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن نعزله ولا توليه شيئًا من أمور المسلمين ،
 وأن تسأل عن الشهود ؛ فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة ، أقت على صاحبك الحد .
 وتكلم في مثل ذلك طلحة والزبير وعائشة ، وقالوا أقوالا شديدة ، وأخذته الألسن من
 كل جانب ، فحينئذ عزله ، ومكن من إقامة الحد عليه .

فَأَبُوا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْعَشْرِ

وقد روى^(١) الراقي أن الشهود لما شهدوا عليه في وجهه ، وأراد عثمان أن يحذره ألبسه
جبة خز ، وأدخله بيتا ، فجعل إذا بحث إليه رجلا من قريش ليضربه ، قال له الوليد : أنشدك
الله أن تقطع رحي وتغضب أمير المؤمنين ! فما رأى على عليه السلام ذلك ، أخذ السوط
ودخل عليه ، فجعله به . فأى عذر لعثمان في عزله وجلده . مد هذه المانة الطويلة ،
والدافعة الشديدة !

وقصة الوليد - مع الساحر الذي كان يلعب بين يديه ، ويفتر الناس بمكره موخديته ،
وأن جندب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك ودخل عليه فقتله ، وقال له : احرق نفسك
إن كنت صادقا ، وأن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر ، حتى أنكر الأزدي ذلك عليه ،
فحبسه ومطال حبسه حتى هرب من السجن - معروفة مشهورة .

فإن قيل : قد وثق رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد بن عتبة هذا صدقة بني
المصطلق ، وولاه امر صدقة تطلب ، فكيف تدعون أن حاله في أنه لا يصلح
لولاية ظاهرة !

قلنا : لا جرم ، إنه غر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذب على التوم حتى نزلت فيه
الآية التي قدمنا ذكرها ، فعزله . وليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة ،
فأما امر فإنه لما بلغه قوله :

إذا ما شدت الرأس مني يمشو فويلك مني تطلب ابنة وارث^(٢)
عزله .

وأما عزل أمير المؤمنين عليه السلام بعض أمرائه لما ظهر من المحدث كالتعاقع
ابن شور وغيره ، ولذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لما شهد عليه بشرب الخمر ،
وجلده له ؛ فإنه لا يشبه ما تقدم ؛ لأن كل واحد من ذكرناه لم يول إلا من هو حسن
الظاهر عنده وعند الناس ، غير معروف بالقم ولا مشهور بالقصاد . ثم لما ظهر منه ما ظهر

(١) كذا في أ ، ج ، و ب والشاق : « وروى » .

(٢) الحسن : « ٣٦ » وروايته : « صيك » ، والشود : المانة .

لم يحام عنه ولا كذب الشهود عليه وكأبرم ، بل عزله مختاراً غير مضطر ، وكل هذا لم يحمر في أمراء عمان ، وقد يتأكد كيف كان عزل الوليد وإقامة الخلد عليه .

فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّه الحكم مختاراً ، لكنه قلب على رأيه وقهر على أمره ، ولا رأى لجمهور .

فأما قوله : إن ولاية الأقاليم كولاية الأماند ؛ " بل الأقاليم أولى " ؛ من حيث كان المنكّن من عزلم أشد . وذكر تولية أمير المؤمنين عليه السلام " أولاد العباس رحمه الله تعالى " وغيرهم - فليس بشيء ؛ لأنّ عمان لم ينتمَ عليه تولية الأقاليم من حيث كانوا أقاليم ، بل من حيث كانوا أهل بيت الظنّة والتهمة ، ولهذا حذره عمر وأشمر بأنه يحيلهم على رقاب الناس . وأمير المؤمنين عليه السلام لم يولّ من أقاليم منها ولا ظنينا ؛ وحين أحسّ من ابن العباس بعض الرزية لم يحمله ولا أحله ، وكاتبه بما هو شائع ظاهر ؛ ولو لم يجب على عمان أن يسدّل عن ولاية أقاليم إلا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النصّ عليه ، وشرط عليه يوم الشورى ألا يحل أقاليمه على رقاب الناس ، ولا يؤثّرهم لكان القراية بما لا يؤثّر به غيرهم - لكان صارفاً قوياً ، فضلاً عن أن يضاف إلى ذلك ما انضاف من خصالم القمية وطرائقهم القبيحة .

فأما سعيد بن أبي النضر ؛ فإنه قال في الكوفة : إنما السواد بستان قريش ، تأخذ منه ماشاءت وترك ، حتى قالوا له : أجمل ما أفاء الله علينا بستانك وقومك ! وناهضوه ، وأنفضي الأمر إلى تسيره من سائر عن الكوفة ؛ واقصة مشهورة ، ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سعيداً من دخولها ، وتكلموا فيه وفي عمان كلاماً ظاهراً ، حتى

(١ - ١) كذا في الأصول . وفي الشان : « بل الأماند أولى أن يقدم الأقاليم عليهم » .

(٢ - ٢) الشان : « عبد الله ومبيد الله وثنايى للباس وغيرهم » .

كادوا يخلعون عثمان ؛ فاضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبي موسى ، فلم يصرف سعيداً مختاراً ، بل ماصرفه بجة ؛ وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم^(١)

فأما قوله : إنه أنكر الكتاب للتضن لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه ، وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه ، ولا الفلام غلامه ، ولا الراحلة راحلته ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قبل عذره ؛ فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ما جرت عليه ؛ لأن جميع من يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم والعلام والراحلة ، وإنما أنكر أن يكون أمر بالكتابة ؛ لأنه روى أن القوم لما ظفروا بالكتاب قديموا المدينة ، فجمعوا أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ، ثم فكروا الكتاب بمحضر منهم ، وأخبروه بقصة الفلام ، فدخلوا على عثمان والكتاب مع أمير المؤمنين ، فقال له : أهذا الفلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والمعير سورك ؟ قال : نعم ، قال : أهأت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله أنه ما كتب الكتاب ، ولا أمر به ؛ فقال له : فانلثم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج علامك على سورك يكتب عليه خاتمك ، ولا تعلم به !

وفي رواية أخرى أنه لما واقعه عليه ، قال عثمان : أما الخط خط كاتبى ، وأما الخاتم فملى^(٢) خاتمى ، قال : فن تهم ؟ قال : أتتلك وأتهم كاتبى ؛ فخرج أمير المؤمنين عليه السلام مضطرباً ، وهو يقول : بل بأمرك ، وليرم داره ، وتعد عن توسط أسره ، حتى جرى عليه ما جرى .

وأعجب الأمور قوله لأمر المؤمنين عليه السلام : « إني أتتلك » وتظاهر بذلك وتلقيه إياه في وجهه بهذا القول ؛ مع بعده من التهمة والطنة في كل شيء ، وفي أسره خاصة ؛ فإن القوم في المرة الأولى أرادوا أن يسجلوا له ما أخبروه ؛ حتى قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه وأصلحه ، وأشار عليه بأن يقاربهم ويصيهم ؛ حتى انصرفوا عنه ، وهذا

(١) ساقطة من أ ، ج ، وهي في ب والثالث

(٢) أ : « فلو » .

فعل النصيح للشفق الحبيب للتحنن ، ولو كان عليه السلام - وحوشى من ذلك - متبها عليه لما كان لتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة ؛ لأن الكتاب بخط عدوة مروان^(١) ؛ وفي يد غلام عثمان ، ومحمول على بصيره ، ومحتوم بخاتمته ، فأى ظن تعلق بأمر المؤمنين عليه السلام في هذا المكان ، لولا المداوة وقلة الشكر للنمة !

ولقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئا لا زيادة عليه في باب الحجة ؛ لأنهم قالوا له : إذا كنت ما كتبت ولا أمرت به ، فأنت ضعيف ؛ من حيث تم عليك أن يكتب كائنك بما تختمه بخاتمك ، ويغفده بيد غلامك وعلى بصورك بغير أمرك ؛ ومن تم عليه ذلك لا يصلح أن يكون واليا على أمور المسلمين . فاختلج من الخلقة على كل حال .

قال : ولقد كان يحب على صاحب "اللعن" أن يستحي من قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام قيل عذره ؛ وكيف قبل عذر من يثمه ويستمسه ؛ وهو له ناصح ! وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد سماع هذا القول منه ، مروف .

وقوله : إن الكتاب يمحور فيه التزوير ، ليس بشيء ، لأنه لا يمحور التزوير في الكتاب والعلام والبصير ؛ وهذه الأمور إذا انصاف بمصها إلى نصر ، بمد فيها التزوير ؛ وقد كان يحب على كل حال أن يبحث من القصة وعن رور الكتاب ، وأخذ الرسول ، ولا ينم عن ذلك ؛ حتى يعرف من أين دهي ؛ وكيف تمت الحيلة عليه ، فيعترز من مثلها ، ولا يعرض عن ذلك إغضاء سائر له ، خائف من بحنه وكشفه .

فأما قوله : إنه وإن غلب على الظن أن مروان كتب الكتاب ، فإن الحكم بالظن لا يمحور ، وتسليمه إلى القوم على ما سأله إياه ظلم ، لأن الحد والأدب إذا وجب عليه ، فالإمام يقيه دونهم ؛ فتعلل بما لا يحدى ، لأننا لا نعمل إلا على قوله في أنه لم يعلم أن

(١) الشال : بخط عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين .

مروان هو الذي كتب الكتاب ، وإنما غضب على ظنه ؛ أما كان يستحق مروان بهذا الظن بعض التعنيف والزجر والتهديد ! أو ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه ، وقوة الأمارات في أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يهتده عنه ، ويطرده من داره ويسلبه ما كان يمنحه به من إكرامه ! وما في هذه الأمور أظهر من أن يقبه له .

فأما قوله : **« إن الأمر بالقتل لا يوجب قوداً ولا دية »** ، سيما قبل وقوع القتل المأمور به ، فهب أن ذلك على ما قال ، أما أوجب^(١) الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديماً ولا تمزيقاً ولا طرداً ولا إبعاداً !

وقوله : لم يثبت ذلك ، قد مضى ما فيه ، ويثبت أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف ، وتهديد للثم وطرده وإبعاده والتبرؤ من التهمة بما يتبرأ به من مثلها .

فأما قوله : **« إن قتله ظلم وكذلك حبس في الدار »** ، ومنعه من الماء ، وأنه لو استحق القتل أو الخلع لا يحمل أن يمنع الطعام والشراب ، وقوله : **« إن من لم يدفع عن ذلك من المعصاة يجب أن يكون مخطئاً »** ، وقوله : **« إن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس ، فباطل »** ، لأن الذين قتلوه غير منكرين أن يكونوا تمتدوا قتله ، وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر لهم من إحدائه ، ويقتل من^(٢) الأمر اعتزالاً يتمكنون معه من إقامة غيره ، فليج وعسم على الامتناع ، وأقام على أمر واحد ؛ فتصد القوم بحضره أن ينجثوه إلى خلع نفسه ، فاعتصم بداره ، واجتمع إليه نفر من أولاد بني أمية ، يدفعون عنه ، ويرمون من دنا إلى الدار ، فأنهى الأمر إلى القتال بتدريج ؛ ثم إلى القتل ؛ ولم يكن القتال ولا القتل مقصودين في الأصل ، وإنما أفنى الأمر إليهما على ترتيب ، وجرى ذلك مجرى

(١) الثاني : « يوجب »

(٢) ج والثاني : « يقتل الأمر » .

ظالم غلب إنسانا على رَحْله أو متاعه ، فالواجبُ على المظلوم أن يُمانه ويدافعه ليخلص ماله من يده ، ولا يقصدَ إلى إتلافه ولا قتله ، فإن أفضى الأمرُ إلى ذلك بلا قصد كان معذورا ، وإِنما خاف القومُ - في الثاني به ، والصبر عليه ، إلى أن يخلع نفسه - من كُتْبِهِ التي طارت في الآفاق ، يستنصر عليهم ويستقدم الجيوش إليهم ، ولم يأمنوا أن يردَّ بعض مَنْ يدفع عنه فيؤذى ذلك إلى الفتنة الكبرى والبليَّة العظمى .

وأما منع الماء والطعام فما قيل ذلك إلا نصيبا عليه ؛ ليخرج ويخرج إلى الخلع الواجب عليه . وقد يُستعمل في الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنائيات ، وتُنذر إقامة الحدِّ عليه لكان الحرم . على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر منع الماء والطعام ، وأخذ مَنْ مَكَّنَ مَنْ حَلَّ ذلك ، لأنه قد كان في الدار من الحرم والنِّسوان والعبيان مَنْ لا يحلُّ منه من الطعام والشراب . ولو كان حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتصافر فيه حكم منع الطعام والشراب في القُبْح والذِّكر ، لأنكره أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنع منه كما منع من غيره ، فقد روى عنه عليه السلام أنه لما بلغه أن القوم قد منعوا الدار من الماء ، قال : لا أرى ذلك ، إن في الدار صبيانا وعبيلا ، لا أرى أن يقتل هؤلاء عطشا بحرَّم عثمان . فصرَّح بالمعنى الذي ذكرناه ، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما أنكر المطالبة بالخلع ، بل كان مساعدا على ذلك ومشاورا فيه .

فأما قوله : إن قتل الظالم إِنما يحلُّ على سبيل الدفع ؛ فقد يتناهى لا يتنكر أن يكون قتله وقع على ذلك ^(١) الوجه ، لأنه في نمسكه بالولاية عليهم وهو لا يستعقبها ، في حكم الظالم لهم ، فمدافعتهم واجبة .

وأما قصة الكتاب الموجود ؛ فلم يحكيها على الوجه ؛ وقد شرحنا نحن الرواية الواردة بها .

وأما قوله : إنه قال : إن كنت أخطأت أو أعمدت ؛ فإني تائب مستغفر ؛ فقد أجابه القوم عن هذا ، وقالوا : هكذا قلت في المرة الأولى ؛ وخطبت على المنبر بالتوبة والاستغفار ؛ ثم وجدنا كتابك بما يقتضي الإصرار على أقبح ما عتبنا منه ^(١) ؛ فكيف تثق بعوبتك واستغفارك !

فأما قوله : إن القتل على وجه الغيلة لا يحمل فيمن يستحق القتل ، فكيف فيمن لا يستحقه ؛ فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيلة ؛ وأنه لا يمنع أن يكون إنما وقع على سبيل للدافعة .

فأما ادعاؤه أنه منع من نصرته ، وأقسم على عيبه بترك القتال ؛ فقد كان ذلك لعمري في ابتداء الأمر ظناً منه أن الأمر يتصلح ؛ والقوم يرجعون عما هموا به ؛ فلما اشتد الأمر ، ووقع اليأس من الرجوع والنزوح ، لم يمنع أحداً من نصرته والحاربة عنه ، وكيف يمنع من ذلك ، وقد بحث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستنصره ويستمرخه ؛ والذي يدل على أنه لم يمنع في الاجتهاد من محاربتهم إلا للوجه الذي ذكرناه دون غيره ، أنه لا خلاف بين أهل الرواية في أن كتبه تفرقت في الآفاق يستنصر ويستدعي الجيوش ؛ فكيف يرغب من نصرته الحاضر من يستدعي نصرته العائب !

فأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأتيه ، حتى منعه ابنه محمد ، فقول بعيد مما جاءت به الرواية جداً ، لأنه لا إشكال في أن أمير المؤمنين عليه السلام لما واجهه عثمان بأنه يشبهه ويستغفثه ، انصرف مضطرباً حامداً ، هل أنه لا يأتيه أبداً ، فأملاً فيه ما يستحقه من الأقوال .

فأما قوله في جواب سؤال مَنْ قال إنهم اعتقلوا فيه أنه من الفسدين في الأرض؛ وأن آية الحاربة تنقله ، وأنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك القمل بنفسه ؛ لأن ذلك يجري مجرى الحدة ؛ فطريف ؛ لأن الإمام يتولى ما يجري هذا المجرى إذا كان منصوباً ثابتاً ، ولم يكن على مذهب القوم هناك إمامٌ يجوز أن يتولى ما يجري مجرى الحدود ؛ ومتى لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين والدين عن الأئمة ؛ جاز أن تتولى الأئمة ذلك بنفسها .

قال : وما رأيتُ أعجبَ من ادعاء مخالفين أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كانوا كارهين لما جرى على عثمان ، وأنهم كانوا يمتدونه منكراً وظلماً ، وهذا يجري عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الأخبار ، وسماع ما ورد من شرح هذه القصة ؛ لأنه معلوم أن ما بكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم في دار عزم ، ومحيث ينفذ أمرهم ونهيهم لا يجوز أن يتم . ومعلوم أن أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة فيقبلوا جميع المسلمين على آرائهم ، يفعلوا بإمامهم ما بكرهوه بمرأى منهم ومسمع ، وهذا معلوم بطلانه بالبداهة والضرورات قبل تصفح الأخبار وتأملها . وقد روى الواقدي عن ابن أبي الزناد ، عن أبي جعفر القاري مولى بني مخزوم ، قال : كان المصريون الذين حصرهم عثمان ستانة ، عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وكثانة بن بشر الكندي ، وعمر بن الحقيق الخزاعي . والذين قدموا المدينة من الكوفة مائتين ، عليهم مالك الأشتر النخعي . والذين قدموا من البصرة مائة رجل ، رئيسهم حكيم بن جبلة المديني ، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل ، ولعمرى لو قام بعضهم لنا التراب في وجوه أولئك لا نصر فوا ، وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الواقديين في هذا الباب أكثر مما تضمنته غيرها .

وروى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قلت له :

كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان ؟ قال : إنما قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

وروي عن أبي سعيد الخدري ، أنه سُئِلَ عن مقتل عثمان : هل شهده أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ؟ فقال : نعم ، شهده ثمانمائة .

وكيف يقال : إن القوم كانوا كارهين ، وهؤلاء للصربون كانوا يفتدون إلى كل واحد منهم ، ويروحون ويشاورونه فيما يصنعونه ! وهذا عبد الرحمن بن عوف وهو ما قدُ الأمر لعثمان ، وجالبه إليه ، ومُصَيِّرُهُ في بده ، يقول - على ما رواه الواقدي - وقد ذُكِرَ له عثمان في مرضه الذي مات فيه - : عاجلوه قبل أن يتأذى في مُلْكِهِ ؛ فبلغ ذلك عثمان فَبَعَثَ إلى يثرب كان عبد الرحمن يثني منها نعمة ، فبلغ منها ، ووصى عبد الرحمن ألا يصلي عليه عثمان ؛ فصلى عليه الزبير - أو سعيد بن أبي وقاص - وقد كان حلف لما تنابت أحداثُ عثمان ألا يكلمه أبدا .

وروي الواقدي ، قال : لما تَوَفَّى أَبُو ذَرٍّ مَالِرَ بْنَةَ ^(١) تَذَاكُرَ أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الرحمن فضل عثمان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام له : هذا عملك ! فقال عبد الرحمن : فإذا شئت نخذ سيفك وآخذ سيفي ، إنه خالف ما أعطاني .

فأما محمد بن مسلمة ؛ فإنه أرسل إليه عثمان يقول له عند قدوم المصريين في الدفعة الثانية : اردد عني ، قال : لا والله لا أكذبُ الله في سنة مرتين ؛ وإنما عني بذلك أنه كان أحد من كلم المصريين في الدفعة الأولى ، وضمن لهم عن عثمان الرضا .

وفي رواية الواقدي أن محمد بن مسلمة ، كان يموت وعثمان محصور ، فيقال له : عثمان مقتول ، فيقول : هو قتل نفسه .

(١) الزبدة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال ؛ قرية من ذات عرق ؛ على طريق الحجاز ؛ بها قبر أبي ذر العناري - واسمه جندب بن جادة - وقد كان خرج إليها معاصبا لعثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . ياقوت .

فأما كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وطبعة والزُّبير وفائشة ، وجميع الصحابة واحدا واحدا ؛ فلو تعاملينا ذكره لظال به الشُّرح ؛ ومن أراد أن يقف على أقوالهم مفصلة ، وما صرَّحوا به من خَلِّه والإجلاب عليه ؛ فعليه بكتاب الواقدي^(١) ، فقد ذكره هو وغيره من ذلك مالا زيادة عليه .

• • •

الطعن الثاني :

كونه ردَّ الحكم بن أبي العاص^(٢) إلى المدينة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله طرَّده ، وامتنع أبو بكر من رده ، فصار بذلك محالاً للسنة ولسيرة من تقدمه ، مدعيًا على رسول الله صلى الله عليه وآله ، تعللاً بدعواه من غير بينة .

قال قاضي القضاة رحمه الله : رجلٌ أبداً عن ذلك أن الروي في الأخبار أنه لما عوفي ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ؛ وإعالم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنه شاهد واحد ، وكذلك روى عنها ، فكانها جعل ذلك بمنزلة الحقوق التي تختص ، فلم يقبل فيه خبر الواحد ، وأجروا به تجري الشهادة ، فلما صار الأمر إليه حكم بطله ، لأن الحكم أن يحكم بطله في هذا الباب وفي غيره عند شيخنا ، ولا فصلان بين حدثٍ وحق ، ولا بين أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية ، ويقولان : إنه أقوى من البينة والإقرار .

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إنه لا وجه يقطع به على كذب روايته في إذن

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ؛ نقل ابن السديم أنه خلف بعد وفاته مائة فلفل كُتِبَ كل فلفل منها رجل رحلي ؛ وكان له علامان مملوكان بكستان القيل والتهار ؛ وفل ذلك بيع له كتب بالي ديار . ثم أورد أسماء كتبه ؛ منها كتاب التاريخ الكبير . توفي سنة ٢٠٢ . الفهرست ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، عم عثمان بن عفان ؛ وانظر ترجمته وأخباره في أسد الغابة ٣ : ٣٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم في رده ، ولا بد من تجويز كونه صادقا ؛ وفي تجويز ذلك كونه معذورا .

فإن قيل : الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة ، وقد كانت التهمة في رد الحكم قوية لقرابته !

قيل : الواجب على غيره ألا يتهمه ؛ إذا كان لفظه وجه بصح عليه ؛ لأنه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه ، وتخل أفضاله على الصفة ، ومتى طرقتا عليه التهمة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام . وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط رحمه الله تعالى : إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد ؛ لأن النبي إذا كان صلاحه في الخال لا يمتنع ^(١) أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات وتغير حال النبي ؛ وإذا كان لأبي بكر أن يسترد عمر من جيش أسامة للعاجة إليه - وإن كان قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعفوه - من حيث تغيرت الحال ، فغير ممتنع مثله في الحكم .

اعترض للرفض رحمه الله تعالى على هذا ، فقال : أما دعواه أن عثمان أدى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة ، ولا يدرى من أين نقله ، ولا في أي كتاب وجدته ؛ والذي رواه الناس كلهم خلاف ذلك ؛ روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح ، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وقال : لا تسكني في بلد أبدا ، فجاء عثمان فسلمه فأبى ، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك ، ثم كان من عمر مثل ذلك ، فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه ، فشيء في ذلك على الزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف

وعتار بن ياسر ؛ حتى دخلوا على عثمان فقلوا له : إنا قد أدخلت هؤلاء القوم - يسنون الحكم ومن معه - وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أخرجهم ؛ وإنا نذكرك الله والإسلام ومعادك ؛ فإن لك معاداً ومُنقِياً ، وقد أبت ذلك الولاية قبلك ، ولم يطع أحد أن يكلمها فيهم ؛ وهذا شيء يخاف الله فيه عليك . فقال عثمان : إن قرابتهم مني ما تعلمون ؛ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم ، وإنا أخرجهم لكلمة ملفته عن الحكم ؛ ولم يضركم مكاسهم شيئاً ، وفي الناس من هو شر منهم . فقال هل عليه السلام : لا أجدُ شراً منه ولا منهم ، ثم قال : هل تعلم عمر يقول : والله ليحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس ! والله إن فعل ليقتلن ، فقال عثمان : ما كان منكم أحد ليسكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه ، ويغال من القدرة ما نلت إلا قد كان سيد حله ، وفي الناس من هو شر منه . قال : فغضب علي عليه السلام ، وقال : والله لتأتينا شر من هذا إن سليت ، وسترى يا عثمان غيبة ما تفعل أنتم خرجوا من عنده .

وهذا كما ترى خلاف ما أدهاه صاحب " المعنى " لأن الرجل لما احتفل ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أطمعه في رده ، ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هي الموجبة لردّه ومخالفة الرسول عليه السلام . وقد روى من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في رد الحكم أغضبا له وزبّراه ، وقال له عمر : يخرجك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أدخله ! والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل : غير عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأن أشقّ بآئتين كما تُشقّ الأبله^(١) أحب إلى من أن أخالف لرسول الله أمراً ، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم ؛ وما رأينا

(١) الأبله : خوس الفل ؛ والمثل : ه المال يرو ويبيك شق الأبله ، مثل بضرب في المساواة والمشاركة في الأمر .

عثمان قال في جواب هذا التعنيف والتوبيخ من أبي بكر وعمر: إن عهدي عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، لا أستحق معه عتاباً ولا نهجياً، وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معظّم له، أن يأتي إلى عدوّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مصرّح بعداوته والوقيعة فيه؛ حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكي مشيئته، طردّه رسول الله، وأبعده ولعنه؛ حتى صار مشهوراً بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيكرهه ويردّه إلى حيث أخرج منه، ويصلّه بالمال العظيم: إما من مال المسلمين أو من ماله! إن هذا لعظيم كبير قبل التصفّح والتأمل والتعلّل بالتأويل الباطل!

فأما قول صاحب "المعنى": إن أبا بكر وعمر لم يقبلوا قوله لأنه شاهد واحد، وجعلوا ذلك بمنزلة الحقوق التي تخص، فأقول مافيه أنه لم يشهد عندهما شيء واحد في باب الحكم على ما رواه جميع الناس؛ ثم ليس هذا من باب الذي يحتاج فيه إلى الشاهدين، بل هو بمنزلة كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد. وكيف يجوز أن يجزئ أبو بكر وعمر تجزئ الحقوق ما ليس منها! وقوله: لا بدّ من تجويز كونه صادقاً في روايته؛ لأنّ القطع على كذب روايته لا سبيل إليه ليس بشيء؛ لأنّ ما قد بينا أنه لم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذنا، إنما ادّعى أنه أطمعه في ذلك. وإذا جازنا كونه صادقاً في هذه الرواية؛ بل قطعنا على صدقه لم يكن معذوراً.

فأما قوله: الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان نفعه وجه يصح عليه؛ لا لتصابه منصباً يزيل التهمة؛ فأقول مافيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بملء مع التهمة، والتهمة قد تكون لها أمارات وعلامات؛ فواقع منها عن أمارات وأسباب تنهم في العادة كان مؤثراً؛ وما لم يكن كذلك فلا تأثير له، ولحكم هو عم عثمان، وقريبه ونسيبه، ومن

قد تسكّم في ردّه مرة بعد أخرى ، ولوالٍ بعد والٍ ؛ وهذه كلها أسباب التهمة ، قد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه في هذا الباب خاصة ؛ لتطرق التهمة إليه .

فأما ما حكاه عن أبي الحسين الخطاط من أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يأذن في ردّه لجاز أن يرّده إذا أذاه اجتهاده إلى ذلك ؛ لأنّ الأحوال قد تتغير - فظاهر البطلان ؛ لأن الرسول عليه السلام إذا حَظَرَ شيء أو أَمَحَهُ لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحة المَحْظُور أو حَظَرَ المباح ، ومَنْ يجوز الاجتهاد في الشريعة لا يُقَدِّم على مثل هذا ؛ لأنّه إنما يجوز عندهم فيما لا نصّ فيه . ولو سَوَّغنا الاجتهاد في مخالفة ما تناوله المصنّ لم يؤمّن أن يؤدّي اجتهاد مجتهد إلى تحليل الحُرْمِ وإسقاط الصلاة ، بأن تتمير الحال ، وهذا هَدَمٌ للشريعة . فأما الاستشهاد باسترداد عمر من حبش أسامة قال كلام في الأمرين واحد^(١) .



الطعن الثالث :

أنّه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عند المسلمين ، نحو ما روى أنّه دفع إلى أربعة أنفس من قريش رؤوسهم بناتِه أربعمائة ألف دينار ، وأعطى مروان مائة ألف هند فتح إفريقية ، ويروي خمس إفريقية ، وغير ذلك ، وهذا بخلاف سيرة مَنْ تقدمه في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق ، وإيثار الأبعد على الأقارب .

قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أنّ من الطاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار ، كثير المال ، فلا يمتنع أن يكون إماماً أعطى أهل بيته من ماله ، وإذا احتمل ذلك وجب حمله على الصحة .

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إنّ الذي روى من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش رؤوسهم بناتِه ؛ إلى كل واحد منهم مائة ألف دينار ، إماماً هو من ماله ، ولا رواية

(١) بسند في الشافعي ١٧٦ : « وقد مضى ما به » .

تصح أنه أعطاه ذلك من بيت المال ، ولو صح ذلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطاه من بيت المال ليرد عوضه من ماله ، لأن للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك ، كما أنه أن يفرض غيره .

وقال شيخنا أبو علي أيضا : إن ما روي من دفعه خمس إفريقية لما فوجئت إلى مروان ؛ ليس بمحفوظ ولا منقول على وجه يجب قبوله ؛ وإنما يرويه من يقصد التشنيع . وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط : إن ابن أبي سريح لما غزا البحر ، ومعه مروان في الجيش ، ففتح الله عليهم ، وعسوا غنيمة عظيمة ، اشترى مروان من ابن أبي سريح الخمس بمائة ألف ، وأعطاه أكثرها ؛ ثم قديم على عثمان شيئا بالفتح ، وقد كانت قلوب المسلمين تملقت بأمر ذلك الجيش ؛ فرأى عثمان أن يهب له ما بقى عليه من المال ، وللإمام قيل مثل ذلك ، ترغيبا في مثل هذه الأمور .

قال : وهذا المصنع كان منه في السنة الأولى من إمامته ، ولم يبرأ أحد منه فيها ، فلا وحة لملتق بذلك .

ودكر أبو الحسين الخياط أيضا فيما أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم ، فلا يمتنع منه في الإمام إدارته صلاحا . وذكر في إقطاعه القطنان لبني أمية ، أن الأئمة قد تحصل في أيديهم الصياع لأمالك لها ، ويعلمون أنها لا بد فيها ممن يقوم بإصلاحها وعمارتها ، ويؤدي عنها ما يجب من الحق ، فله أن يصرف من ذلك إلى من يقوم به ، وله أيضا أن يهد بعضها على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح والتألف ، وطريق ذلك الاجتهاد .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما قوله : يجوز أن يكون إنما أعطاه من ماله ، فالرواية بخلاف ذلك ، وقد صرح الرجل بأنه كان يعطي من بيت المال

صلة لرحمه ، ولما عوتب على ذلك لم يستنصر عنه بهذا الضرب من المدر ، ولا قال : إن هذه المطايا من مالي ، فلا اعتراض لأحد فيها . روى الواقدي بإسناده عن السَّوَرِ بْنِ حُتَيْبَةَ ، قال : سمعتُ عُمَانَ يَقُولُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَهَر كَانَا بِثَاوِلَانَ فِي هَذَا اللَّيْلِ ظَلَفَ^(١) أَنْفُسَهُمَا وَذَوَى أَرْحَامَهُمَا ، وَإِنِّي تَأَوَّلْتُ فِيهِ صِلَةً رَحِمَى .

وروى عنه أيضا أنه كان بحضرته زياد بن عبيد ، مولى الخارث بن كَلْدَةَ التَّنْفُزِيَّة ، وقد است إلى أبو موسى ببال عظيم من البصرة ، فجعل عُمَانُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَهْلَهُ بِالصَّحَافِ ، فَبَكَى زِيَادٌ ، فَقَالَ : لَا تَبْكِي ، فَإِنَّ هَرَّكَانَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَذَوَى قَرَابَتِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أَعْطَى أَهْلِي وَوَدَى قَرَابَتِي أَشْيَاءَ وَجْهِ اللَّهِ .

وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة

وروى الواقدي أيضا بإسناده ، قال : قَدِمْتُ إِبِلَ^(٢) مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ عَلَى عُمَانَ ، فَوَحَّيَهَا لِعَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ وَلَّى الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ صَدَقَاتٍ قَصَاعَةً ، فَلَبِثَتْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَوَحَّيَهَا لَهُ حِينَ أَتَاهَا .

وروى أبو يَحْيَى وَالْوَقْدِيُّ أَنَّ النَّاسَ أَنْكَرُوا عَلَى عُمَانَ إِعْطَاءَ سَعْدِ بْنِ الْعَاصِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَكَلَّمَ عَلَى الْزَبِيرِ وَطَلْحَةَ وَسَعْدَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ لَهُ قَرَابَةً وَرَحِمَاءَ قَالُوا : فَمَا كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهَرٍ قَرَابَةٌ وَذَوُورَحِمٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَهَرَّكَانَ يَحْمِلَانِ فِي مَنَعِ قَرَابَتِهِمَا ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ فِي إِعْطَاءِ قَرَابَتِي ، قَالُوا : فَهَذِيهِمَا . وَاللَّهُ - أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ هَذِيكَ .

وروى أبو يَحْيَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدٍ بْنَ أَبِي السَّيِّدِ بْنَ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمِيَّةٍ ، قَدِمَ عَلَى عُمَانَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ نَاسٌ ، فَأَمَرَ لِعَبْدِ اللَّهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْمِ بِمِائَةِ أَلْفٍ .
(١) ظَلَفَ عَنْهُ عَنِ الْقِيَمَةِ : مِنْهَا ، وَلِ الْأَسْوَلِ : « طَلَقَ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَتْهُ مِنْ كِتَابِ الْعَالِي .

وصك^(١) بذلك على عبد الله بن الأرقم - وكان خازن بيت المال - فاستكثره ورد^(٢) الصك به . ويقال : إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا ، فذبي وامتنع ابن الأرقم أن يدفع للمال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما أنت خازن لنا ، فأحكك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراي خازن للمسلمين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا أرى لك بيت المال أبدا ، وجاء الفاتح فسلقها على الخنبر ، ويقال : بل ألقاها إلى عثمان ، فرفضها إلى نائل مولاه .

وروى الواهدي أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن الأرقم في حقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم ، فلما دخل بها عليه ، قال له : يا أبا محمد ، إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول : إنا قد شغلناك عن التجارة ، ولك ذوو رحم أهل حاجة ، فزق هذا المال فيهم ، واستغن به على عيالك ، فقال عبد الله بن الأرقم : مالي إليه حاجة ، وما عملت لأن ينهي عثمان^(٣) والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدره على أن أعطي ثلاثمائة ألف ، ولكن كان من حال عثمان ما أحب أن أرزاه^(٤) من ماله شيئا . وما في هذه الأمور أوضح من أن بشار إليه ويُنَبِّه عليه .

فأما قوله : ولو صح أنه أعطاه من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض ؛ فليس شئ . ؛ لأن الروايات أولا تخالف ما ذكره ، وقد كان يحب لما تقم عليه وجوه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال ، أن يقول لهم : هذا على سبيل القرض ، وأنا أردت عونه ، ولا يقول ما تقدم ذكره ، من أنني أصيل به رحي ؛ على أنه ليس للإمام أن يقرض^(٥) من بيت مال المسلمين إلا ما ينصرف في مصلحة لم مهمة ؛ يعود عليهم نفعها ، أو في سد خلّة وفاقة لا يتمكنون من القيام بالأمر معها ؛ فأما أن يقرض المال ليتسع به ،

(١) صك : كتب ، والصك : الكتاب

(٢) ما أحب أن أرزاه ، أي ما أحب أن أصيب منه شيئا .

(٣) أي يقرض هو ليطمئ ، وأن يدفع عونه له من ماله ، وانظر من ١-٢ من م ٣٤ من هذا الجزء

وَيُمرَّحُ فِيهِ مَتَرَفِي بِي أُمِيَّةَ وَفُتَاتِهِمْ فَلَا أَحَدًا يُعِزُّ ذَلِكَ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ حَاكِيًا عَنْ أَبِي عَلِيٍّ : إِنَّ دَفْعَهُ خُسَى إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى مَرْوَانَ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَلَا مُنْقُولٍ - فَبَاطِلٌ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِذَلِكَ يَجْرِي عَجْرَى الْعِلْمِ بِسَائِرِ مَا تَقْدُمُ ، وَمَنْ قَرَأَ الْأَخْبَارَ عِلْمَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ لَا يَعْتَرِضُ فِيهِ شَكٌّ ، كَمَا يَعْلَمُ نَظَائِرُهُ .

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى الزَّيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ، قَالَ : أَخْرَانَا عُمَانُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَصَابَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرِّحٍ غَنَائِمَ جَلِيلَةً ، فَأَعْطَى عُمَانُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ تِلْكَ الْغَنَائِمَ . وَهَذَا كَمَا تَرَى يَتَضَمَّنُ الزِّيَادَةَ عَلَى إِعْطَاءِ الْخُسَى ، وَيَتَجَاوِزُهُ إِلَى إِعْطَاءِ الْأَصْلِ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ السُّوَرِ ، قَالَتْ : لَمَّا بَلَغَ مَرْوَانُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ ، دَخَلَ النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، وَكَانَ لِلِسُّوَرِ مِمَّنْ دَعَاهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ وَهُوَ يَحْدِثُهُمْ : وَاللَّهِ مَا أَغْنَيْتُ فِي دَارِي هَذِهِ مِنْ مَالٍ لِلْمُسْلِمِينَ دِرْهَمًا فَا فَوْقَهُ ، فَقَالَ لِلِسُّوَرُ يَلُو أَكَلْتَ طَعَامَكَ وَسَكَتَ كَانَ خَيْرًا لَكَ . لَقَدْ عَرُوتُ مَعَا إِفْرِيقِيَّةَ ، وَإِنَّا لَأَقْلُنَا مَالًا وَرَقِيهَا وَأَمْوَانًا ، وَأَخْضْنَا قَتْلًا ، فَأَعْطَاكَ ابْنُ عَمِّكَ خُسَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَمِلْتَ عَلَى الصَّدَقَاتِ ، فَأَخَذْتَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ .

وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَصْفٍ أَنَّ مَرْوَانَ ابْتِاعَ خُسَى إِفْرِيقِيَّةَ بِمِائَتِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَكَلَّمَ عُمَانُ ، فَوَهَبَهَا لَهُ ، فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَى عُمَانٍ . وَهَذَا بَعِيْنُهُ هُوَ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْخَلِيطُ وَاعْتَذَرَ عَنْهُ بِأَنَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ تَعَلَّقَتْ بِأَمْرِ ذَلِكَ الْجَلِيْشِ ، فَرَأَى عُمَانُ أَنَّ يَهْبِ لِمَرْوَانَ ثَمَنٌ مَا يَبْتَاعُهُ مِنَ الْخُسَى لَمَّا جَاءَهُ بِشِيرًا بِالْفَتْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْغِيْبِ . وَهَذَا الْإِعْتِذَارُ لَيْسَ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ الَّذِي رَوَيْنَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْقَبَابِ خَالٍ مِنَ الْبَشَارَةِ ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي أَنَّهُ سَأَلَهُ تَرَكَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَهُ وَابْتَدَأَ هُوَ بِمِصْلَتِهِ ، وَلَوْ آتَى بِشِيرًا بِالْفَتْحِ كَمَا ادَّعَوْا لَمَا جَازَ أَنْ يَتْرَكَ عَلَيْهِ خُسَى الْفَتِيْمَةِ الْعَائِدَةَ نَفْعُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ،

لأن تلك البشارة لا تبلغ إلى أن يستحق البشر بها مائتي ألف درهم ، ولا اجتهد في مثل هذا ، ولا فرق بين من جَوَّز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله ومن جَوَّز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل العنينة إلى اللشير بها ، ومن ارتكب ذلك أُلزم جوار أن يؤدي الاجتهاد إلى إعطاء هذا البشر جميع أموال المسلمين في الشرق والغرب .

فأما قوله : إنه وصل نبي عمه لحاجتهم ، ورأى في ذلك صلاحا ؛ فقد بينا أن صلته لم كانت أكثر مما تقتضيه الحاجة والحاجة ، وأنه كان يصل فيهم اللياسير . ثم الصلاح الذي زعم أنه رآه : لا يخلو إما أن يكون عائداً على المسلمين ، أو على أقاربه ؛ فإن كان على المسلمين فمعلوم ضرورة أنه لا صلاح لأحد من المسلمين في إعطاء مئتي ألف دينار ، والحكم بن أبي العاص ثمانية ألف درهم ، وابن أسيد ثمانية ألف درهم ؛ إلى غير ما ذكرنا ، بل على المسلمين في ذلك غاية الضرر . وإن أراد الصلاح الرجوع إلى الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بحساد أمر المسلمين ، وينقصهم بما يصر به المسلمين .

وأما قوله : إن القطائع التي أقطعها سي أمية ؛ إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعود على المسلمين ؛ لأن تلك الصياع كانت حراماً لا عامراً لها ، فسلمها إلى من يسترها ويؤدي الحق عنه ؛ فأول ما فيه أنه لو كان الأمر على ما ذكره ، ولم تكن هذه القطائع على سبيل الصلوة والمعونة لأقاربه لما خفي ذلك على الحاصرين ، ولما كانوا لا يبدون ذلك من مثالبه ، ولا يوافقونه عليه في جملة ما وافقوه عليه من إحدائه . ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ما روي من جوابه ؛ لأنه كان يجب أن يقول لهم : وأي منعة في هذه القطائع مائدة على قرابتي حتى تعدوا ذلك من حمة صلاتي لهم ؛ وإيصال النافع إليهم ؛ وإنما حملتهم فيها بمنزلة الأكرة الذين يُلْغَضُ بهم أكثر من انتفاعهم أنفسهم ، وما كان

يجب أن يقول ما تقدمت روايته ؛ من أي محاسب في إعطاء قرابتي ، وأن ذلك على سبيل
الصلة لرحمى ، إلى غير ذلك مما هو حال من المسمى الذى ذكره .

الطعن الرابع :

أنه سمى الحى عن المسلمين ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم سواء في
اللاء والكلأ .

قال قاضى القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه لم يحرم الكلأ لنفسه ، ولا استأثر به ،
لكنه حماه لإبل الصدقة التى منفعتها تعود على المسلمين . وقد روى عنه هذا الكلام
بيته ، وأنه قال : إنما فلت ذلك لإبل الصدقة ، وقد أطلقتها الآن ، وأما أمتفر الله ،
وليس فى الاعتذار ما يزيد عن ذلك

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما أولاً فالروى بخلاف
ما ذكر ، لأن الواقدي روى بإسناده ، قال : كان عثمان يحصى الربة والشرف^(١) والبقيع ،
فكان لا يدخل الحى بعير له ولا فرس ، ولا لى أمية حتى كان آخر الزمان ، فكان
يحصى الشرف لإبله وكانت ألف بعير ، وإبل الحكم بن أبى العاص ، ويحصى الربة
لإبل الصدقة ، ويحصى البقيع لحيل المسلمين وخيله وخيول بنى أمية .

قال : على أنه لو كان إنما حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيبا ؛ لأن الله تعالى
ورسوله أباحا الكلأ ؛ وجملاه مشتركا ؛ فليس لأحد أن يعير هذه الإباحة . ولو كان

(١) ومعجم اللسان : قال الأصمى : « الشرف كد بعد ؛ وكانت من مازل بنى آكل للرا من
كد للوك ومبا اليوم حى ضربة ، وبه الربة ؛ وهى الحى الأيمن » .

في هذا الفعل مُصيبا ، وأنه إنما جاء لمصلحة تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر الله منه ويمتنر ، لأن الاعتذار إنما يكون من الخطأ دون الصواب .

الطعن الخامس :

أنه أعطى من بيت مال الصدقة الفائقة وغيرها ، وذلك بما لا يحمل في الدين .
قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أنه إنما حاز له ذلك لملءه بحاجة المقاتلة ، واستثناء أهل الصدقة ، فعمل ذلك على سبيل الإفراض ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مثله ، والإمام في مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا الجرى ؛ لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض^(١) من الناس ، فإن يجوز له أن يتناول من مال في يده ، ليرد عوّضه من المال الآخر أولى .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن المال الذي جعل الله تعالى له جهة مخصوصة ، لا يجوز أن يبدل به عن جهته بالاجتهاد ، ولو كانت المصلحة في ذلك موقوفة على الحاجة لشرطها الله تعالى في هذا الحكم ، لأنه سبحانه أعلم بالمصالح واختلافها مينا ، ولكان لا يحمل لأهل الصدقة منها القسط مطلقا .

وأما قوله : إن الرسول صلى الله عليه وسلم فعل مثله ، فهي دعوى مجردة من برهان ، وقد كان يجب أن يروى ما ذكر في ذلك . وأما ما ذكره من الاقتراض ، فأين كان عثمان عن هذا المذرنا ووقف عليه !

الطعن السادس :

أنه ضرب عهدا لله بن مسعود حتى كسر بعض أصلاعه .

(١) كذا في ج ؛ وهو الصواب ، وزب : « يقرس » ، تحريف .

قال قاضي القضاة : قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : لم يثبت عندنا ولا صح عندنا ما يقال من طعن عبد الله عليه ، وإكباره له ، والذي يصح من ذلك أن عبد الله كره منه جمته الناس على قراءة زيد بن ثابت وإحراقه للمصاحف ، وثقل ذلك عليه كما يتقل على الواحد منا تقديم غيره عليه .

وقد قيل : إن بعض موالى عثمان صربه لما سمع منه الواقعة في عمان ، ولو صح أنه أمر بصره لم يكن بأن يكون طعنا في عثمان بأولى من أن يكون طعنا في ابن مسعود ؛ لأن للإمام تأديب غيره ، وليس لغيره الواقعة فيه إلا بعد البيان . وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطاط أن ابن مسعود إنما طابه لمرته إياه ؛ وقد روى أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره ، ولما أحضر إليه عطاءه في مرضه ، قال ابن مسعود : منعتني إياه إذ كان يعمى ، وجئتني به عند الموت لا أقبله . وأبى وسط أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليزيل ما في نفسه فلم يحب ؛ وهذا يوجب دم ابن مسعود إذ لم يقبل الندم ، ويوجب براءة عثمان من هذا العيب ، لو صح ما صح ما روي من ضربه .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : للملوم الروي خلاف ما ذكره أبو علي ، ولا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود على عثمان ، وقوله فيه أشد الأقوال وأعظمها ، والعلم بذلك كالم بكل ما يدعى فيه الضرورة ، وقد روى كل من روى السيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرُقهم أن ابن مسعود كان يقول : ليتني وعثمان برملي مالح^(١) يحنو قلبي وأحنو عليه حتى يموت الأجهز مني ومنه ! ورووا أنه كان يطمئن عليه ، فيقال له : ألا خرجت معك ؟ فيقول : لأن أزاول جبلا راسيا أحب إلي من أن أزاول ملكا موجلا .

(١) مالح : رمال بين قيد والقربات ، يرهاض من شدة العطش ، منصة بالضم . مراد الأطلاع ٢ : ٩١١ .

وكان يقول كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً مطناً : « إِنَّ أَصْدَقَ الْقَوْلِ كِتَابُ اللَّهِ ،
وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِذْعَةٍ بِذْعَةٌ ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ » . وإنما كان يقول ذلك مريضاً عثمان ، حتى غضب الوليد
ابن عُقبة من استمرار تمريره ، ونهاه عن خطبته هذه ، فأبى أن ينتهي ، فكتب إلى عثمان
فيه ، فكتب عثمان بتقديمه عليه .

وروى أنه لما خرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مرّ بها من الكوفة خرج الناس
معه يشيعونه ، وقالوا له : يا أبا عبد الرحمن ، ارجع ، فوالله لا نوصله إليك أبداً ؛ فإننا
لا نأمنه عليك ، فقال : أمر سيكون ، ولا أحب أن أكون أوّل مَنْ قُتِلَ .

وقد روى عنه أيضاً من طرق لا تحصى كثرة أنه كان يقول : ما يزنُ عثمانُ عندَ الله
جَنَاحَ ذِبَابٍ ، وَتَعَالَى مَا رَوَى عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ بطول ، وهو أظهر من أن يحتاج
إلى الاستشهاد عليه ؛ وإنه بلغ من إصرار عبد الله على مظاهرته بالمداوة أن قال لما حضره
اللوت : مَنْ يَتَّعِلُّ مِنِّي وَصِيَّةَ أَوْصِيَةٍ بِهَا عَلَى مَا فِيهَا ؟ فسكت القوم ، وعرفوا الذي
يريد ، فأطاعوا ، فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى : أما أقبلها ، فقال ابن مسعود : ألا يصلّي
عَلَى عُثْمَانَ ، قال : ذلك لك ، فيقال : إنه لما دُفِنَ جاء عثمان منكراً فلذلك ، فقال له قائل :
إن عماراً وليّ الأمر ، قال لعمار : ما حملك عَلَى أَنْ لَمْ تُؤْذِنِي ؟ فقال : عيّد إلى آل أودينك ،
فوقف على قبره وأثنى عليه ، ثم انصرف وهو يقول : رَفِئَ اللَّهُ أَبْدَانَكُمْ عَنْ خَيْرٍ مِنْ بَقِي ،
فتمثل الزبير بقول الشاعر :

لَا أَقْبِلُكَ بَعْدَ لَوْتٍ تَنَذَّرْنِي وَفِي حَيَاتِي مَا رَوَّدْتَنِي زَادِي ^(١)

ولما مَرِضَ ابنُ مسعود مرضه الذي مات فيه ، أتاه عثمان عائداً ، فقال : ما تشكى ؟
قال : ذنوبي ، قال : فأتشهي ؟ قال : رحمة بي ، قال : ألا أدعوك طيباً ؟ قال :

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ، ديوانه : ٤٨ .

الطبيب أمرضني ، قال : أفلا آمر لك بطائيك ؟ قال : مستثنى وأنا محتاج إليه ، وتُطِينِيهِ
وَأَنَا مُسْتَعْفِرٌ عَنْهُ ! قال : يكون لولئك ، قال : رزقهم على الله تعالى ، قال : استغفر لي
يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك حَقِّي .

قال : وصاحب " للمنى " قد حكى مصر هذا الخبر في آخر الفصل الذي حكاها من
كلامه ، وقال : هذا يوجب ذم ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر ؛ وهذا منه طريق ؛
لأن مذهبه لا يقتضى قبول كل عذر ظاهر ، وإعما يجب قبول العذر الصادق ، الذي
يطلب في الظن أن الباطن فيه كالظاهر ، فمن أين لصاحب " للمنى " أن اعتذار عثمان
إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التي يجب معها القبول ! وإذا جاز ما ذكرناه لم يكن
على ابن مسعود لوم في الامتناع من قبول عذره .

فأما قوله : إن عثمان لم يضربه ، وإنما ضربه بعض مواله لما سمع وقيعته فيه ، فالأمر بخلاف .
ذلك ، وكل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر بإخراجه من المسجد على أعقاب الوجوه ،
وبأمره جرى ماجرى عليه ، ولو لم يكن بأمره ورثته لوجب أن ينكر على مولاه كسر ضلعه ،
ويستنر إلى من عاتبه على فعله بابن مسعود بأن يقول : إني لم آمر بذلك ، ولا رضيته من
فعله ، وقد أنكرت عليه فعله .

وفي علنا بأن ذلك لم يكن دليل على ما قلنا ، وقد روى الواقدي بإسناده وغيره أن
ابن مسعود لما استقدم المدينة ، دخلها ليلة جمعة ، فلما علم عثمان بدخوله ، قال : أيها الناس ، إنه
قد طرقتكم آفة دؤيبة ، من تمشى على طعامه يقي ، ويبلغ . فقال ابن مسعود : لست كذلك ،
ولكنني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وصاحب يوم أحد ، وصاحب يوم
بيعة الرضوان ، وصاحب يوم الخندق ، وصاحب يوم حنين . قال : وصاحت عائشة يا عثمان !
أقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عثمان : اسكتي ؛ ثم قال لعبد الله
ابن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصى : أخرجني إخراجا صفيقا ، فأخذه

ابن زمة ، فاحتمله حتى جاء به باب مسعد ، فضرب به الأرض ، فكسر ضيقاً من أخلاعه ، فقال ابن مسعود: قتلى ابن زمة الكافر بأمر عثمان وفي رواية أخرى: إن ابن زمة الذي فعل به ما فعل كان مولى لعثمان أسود مُسَدِّماً^(١) طوالاً. وفي رواية أخرى: إن ما فعل ذلك يَحْمُومُ مولى عثمان. وفي رواية: إنه لما احتله ليخرجه من المسعد ناداه عبدالله: أنشدك الله، ألا تخرجني من مسعد حليل صلى الله عليه وسلم .

قال الراوى : فكأنى أنظر إلى حُوشة^(٢) ساق عبدالله بن مسعود ورجلاه تحتلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسعد، وهو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَسَاقَا ابْنِ أُمِّ عَبْدِ أَتَقْلُ فِي الْبِرِّانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٌ » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب المرزلى أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفعه أبا ذر. وهذه قصة أخرى: هو ذلك أن أبا ذر رجه الله تعالى لما حضرته الوفاة بالرُبُذة، وليس معه إلا امرأته وغلته عبيد إليهما أن غسلاهما ثم كفناهما، ثم ضماني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرّون بكم قولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه ، فأعينونا على دفعه ، فلما مات فملوا ذلك ، وأقبل ابن مسعود في ركب من المراق مستمرين ، فلم يرعهم إلا الجسارة على قارعة الطريق ، قد كادت الإبل تطلوها ، فقام إليهم العبد، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفعه ، فاهل ابن مسعود باكياً ، وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه ، قال له : « تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتنفث وحدك » ، ثم نزل هو وأصحابه ، فواروه . قال : فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعناً في عثمان بأولى من أن يكون طعناً في ابن مسعود ، فواضح البطلان ، وإنما كان طعناً في عثمان دون ابن مسعود؛ لأنه لا خلاف

(١) المسد : الأوج .

(٢) الحوشة : دقة الساقين .

بين الأمة في طهارة ابن مسعود وفضله وإيمانه ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وثنائه عليه ، وأنه مات على الخلة المحمودة منه ، وفي جميع هذا خلاف بين المسلمين
في عمان .

فأما قوله : إن ابن مسعود كره يجمع عثمان الناس على قراءة زيد ، وإحراقه
المصاحف ؛ فلا شك أن عبد الله كره ذلك ، كما كره جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتسكلموا فيه ، وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلاً ، وما
كره عبد الله من ذلك إلا مكروهاً ، وهو الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : « مَنْ
سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » . وروى عن ابن عباس
رحمه الله تعالى أنه قال : « قراءة ابن أم عبد هي القراءة الأخيرة » ؛ إن رسول الله صلى الله
عليه كان يُعرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان ، فلما كان العام
الذي توفي فيه عُرض عليه دفعتين ، فشهد عبد الله مانئخ منه ، وما صبح فهي
القراءة الأخيرة .

وروى عن الأحس ، قال : قال ابن مسعود : لقد أخذت القرآن من في رسول الله
صلى الله عليه ، سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لأفلام في الكتاب ، له ذؤابة .

فأما حكايته عن أبي الحسين الخطاط أن ابن مسعود إنما طلب عثمان لعزله إياه ،
فبعد الله حينئذ كل من عرفه بخلاف هذه الصورة ، وأنه لم يكن ممن يخرج على عثمان ويطعن
في إمامته بأمر يهود إلى متفعة الدنيا ، وإن كان عزله بما لاشبهة فيه في دين ولا أمانة عيها
لاشك فيه .

الطعن السابع :

أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة ، وأحرق للمصاحف ، وأبطل مالا شك أنه نزل من القرآن ؛ وأنه مأخوذ عن الرسول صلى الله عليه ، ولو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه رسول الله صلى الله عليه ، ولفعله أبو بكر وعمر .

قال قاضي القضاة : وجوابنا عن ذلك أن الوجه في جمع القرآن على قراءة واحدة تحصيل القرآن وصبطه ، وقطع المنازعة والاختلاف فيه . وقولهم : لو كان ذلك واحداً لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم غير لازم ؛ لأن الإمام إذا فعله صار كأن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله ، ولأن الأحوال في ذلك تختلف ، وقد روى أن عمر كان عزم على ذلك فبات ديوماً . وليس لأحد أن يقول : إن إحراقه للمصاحف استخفافاً بالدين ، وذلك لأنه إذا جاز من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرب المسجد الذي بُني ضراراً وكفراً ، فغير ممنوع إحراق المصاحف .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : إن اختلاف الناس في القراءة ليس بموجب لما صنعه ؛ لأهم برؤون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، كلها شافٍ كافٍ ، فهذا الاختلاف عديم في القرآن مباح مسد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح ! فلو كان في القراءة الواحدة تحصيل القرآن كما ادعى ؛ لما أباح النبي صلى الله عليه وسلم في الأصل إلا القراءة الواحدة ؛ لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته ، من حيث كان مؤيداً بالوحي ، موثقاً في كل ما يأتى ويذكر . وليس له أن يقول : حدث من الاختلاف في أيام عثمان ما لم يكن في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ما أباحه ؛ وذلك لأن الأمر

لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة ، والأمر بالتدع ، ولا يحمله ما أحدث من القراءة على تحريم المتقدم بلا شبهة .

وقوله : إن الإمام إذا فعل ذلك ؛ فكان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله تعطل بالباطل ؛ وكيف يكون كما ادعى ، وهذا الاختلاف بعينه قد كان موجوداً في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو كان سبب الانتشار الزيادة في القرآن ، وفي قطعه تحصيله له ، لكان عليه السلام بالهوى عن هذا الاختلاف أولى من غيره ؛ اللهم إلا أن يقال : حدث اختلاف لم يكن ؛ فقد قلنا فيه ما كفى .

وأما قوله : إن امر قد كان حزم على ذلك فبت دونه ؛ فما سمعناه إلا منه ؛ ولو فعل ذلك أى فاعل كان لكان مُكْرَراً .

فأما الاعتذار عن كون إحراق الصحاح لا يكون استخفافاً بالدين ، بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار ، فبين الأمرين بؤسٌ بسوء ؛ لأنَّ البنیان إنما يكون مسجداً وبيتاً لله تعالى بنية الباني وقصده ، ولولا ذلك لم يكن معنى البنیان بأن يكون مسجداً أولى من بعض ، ولما كان قصد الباني لذلك للوضع غير القربة والمباداة ، بل خلافاً لها وضدها من الفساد والمكيدة . لم يكن في الحقيقة مسجداً ، وإن سمي بذلك مجازاً على ظاهر الأمر ، فهذا لا حرج فيه ، وليس كذلك ما بين القفتين ؛ لأنه كلام الله تعالى للوقر المعظم ، الذي يجب صيافته عن البينة والاستخفاف ، فأى نسبة بين الأمرين !

• • •

الطعن الثامن :

أنه أقدم على عمار بن ياسر بالضرب ، حتى حدث به فتق ، ولهذا صار أحد من ظاهري المتظلمين من أهل الأمصار على قتله ، وكان يقول : قتلناه كافراً .

قال قاضي القضاة : وقد أجاب شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى عن ذلك ، فقال : إن ضرب عمار غير ثابت ، ولو ثبت أنه ضربه لقول العظيم الذي كان يقوله لم يجب أن يكون طعناً عليه ؛ لأن للإمام نأديب من يستحق التأديب . ومما يمدحهم ذلك أن عماراً لا يجوز أن يكفره ، ولما يقع منه ما يستوجب به الكفر ؛ لأن الذي يكفر به الكافر معلوم ؛ ولأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابة أولى بذلك ، ولو يجب أن يجتمعوا على تحلعه ، ولو يجب أن يكون قتله مباحاً لهم ، بل كان يجب أن يقتلوا إماماً يقتله على ما قدمناه . وليس لأحد أن يقول : إنما كفره عمار من حيث وثب على الخلافة ، ولم يكن لها أهلاً ؛ لأننا قد بينا القول في ذلك ؛ ولأنه كان منصوباً لأبي بكر وعمر على ما تقدم ، وقد بينا أن صحة إمامتهما تقتضي صحة إمامة عثمان .

وقد روى أن عماراً نازع الحسن بن علي عليهما السلام في أمر عثمان فقال عمار : قتل عثمان كافراً ، وقال الحسن عليه السلام : قتل مؤمناً ؛ وتعلق بضعها ببعض ، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : ماذا تريد من ابن أخيك ؟ فقال : إني قلت كذا ، وقال كذا ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أنكفر برب كان يؤمن به عثمان ؛ فكنت كحمار ؛ وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب أن عثمان لما نُقِمَ عليه ضرب بهماراً احتج لنفسه ، فقال : جاءني ^(١) سعد وعمار ، فأرسلا إلى أن اتنا ، فإنا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها ، فأرسلت إليهما : إني مشغول ، فأنصرفا ، فوجدتهما يوم كذا ، فأنصرف سعد وأبي عمار أن ينصرف ، فأعدت الرسول إليهما فإني أن ينصرف ، فتناوله بغير أمرى ؛ ووالله ما أمرت به ولا رضيت ؛ وهما أنا ، فليقتصم مني .

قال : وهذا من أنصف قول وأعله .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال : أما الدفع لضرب عمار ، فهو

(١) كذا في الأصول وكتاب التلخيص ٢٢٧ ، ولعل السواب : « جاء سعد » .

كالإنكار لطلوع الشمس ظهوراً وافتشاراً ، وكل من قرأ الأخبار ، ونصفع السير ، يعلم من هذا الأمر مالا تشفيه عنه مكابرة ولا مداقة ؛ وهذا القتل - أعني صرب عمار - لم يختلف الرواة فيه ؛ وإنما اختلفوا في سببه ، فروى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف ، في إسناده أنه كان في بيت للال بالمدينة سقط فيه حلي وجوهر ، فأخذ منه عثمان ماحلي به بعض أهله ، فأظهر الناس العلم عليه في ذلك ، وكلفه فيه بكل كلام شديد ؛ حتى أغضبوه ، فخطب فقال : لنأخذن حاجتنا من هذا النجس ؛ وإن رَغِيتُ به أنوف أقوام ! فقال له علي عليه السلام : إذن تُمنع من ذلك ، ويحال يملك ويبيد ، فقال عمار : أشهد الله أن أرى أول راحم من ذلك ؛ فقال عثمان : أعلني ابن ياسر مجترئاً حذوه ، فأخذ ، ودخل عثمان ، فدها به فضر به حتى غشي عليه ، ثم أخرج فحمل حتى أتى به مزل أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توجهاً وضلي ، وقال : الحمد لله ، ليس هذا أول يوم أودينا في الله تعالى ! فقال هشام بن الوليد بن المغيرة الخزرجي - وكان حمار طبعاً إلى محزوم - : يا عثمان ، أما علي فانتقته ، وأما نحن فاجترأت علينا ، وضربت أخانا حتى أشفيت به ^(١) على التلف ؛ أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم الشأن ! فقال عثمان : وإنك لها هنا يا ابن القسربة ، قال : فإيهما قسربتان - وكانت أم هشام وجدته قسريتين ^(٢) من بجيلة - فشمه عثمان ، وأمر به فأخرج ، فأتى به أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فإذا هي قد غضبت لعمار ، وبلغ عائشة رضي الله تعالى عنها ما صنع بهمار ، فغضبت أيضاً ، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونعلا من نعاله ، وثوباً من ثيابه ، وقالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم ، وهذا شعره وثوبه ونعلاه لم يبل بعد !

(١) أشفيت به ، أي حكت مشرفاً على الهلاك . (٢) لسر : بطن ز بجيلة .

وروى آخرون أن السبب في ذلك أن عثمان مرّ بغير جديد ، فسأل عنه ، فقيل :
عبد الله بن مسعود ؛ فنصب على عمار لكتابه إيابه موته ، إذ كان المتولى للصلاة عليه ، والقيام
بشأه ، فسندها وطى عثمان عماراً حتى أصابه العنق .

وروى آخرون أن المقداد وعمارا وطبعة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله صلى
عليه وآله كتبوا كتاباً عذّوا فيه أحداث عثمان ، وخوّفوه به ، وأعلموه أنهم مؤثّبوه
إن لم يُقْلِع ، فأخذ عمار الكتاب ، فأتاه به فقرأ منه صدرأ ، ثم قال له : أعلّ تقدم من
يذهبهم ! فقال : لأنى أصحهم لك ، قل : كذبت يان نُمّية ! فقال : أنا والله ابن نُمّية ،
وابن ياسر ! فأمر عثمان عماراً له ، فدّوا بيديه ورجليه ، ثم ضربه عثمان برجليه - وهي في
الخلفين - على مدا كيره ، فأصابه العنق ، وكان ضعيفاً كبيراً ففشي عليه .

قال : مصرّب عمار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواة ، وإعنا اختلفوا في سببه ،
والخبر الذي رواه صاحب " للمعنى " هو حكاه عن أنى الحسين الخياط ما نرفه ، وكعب
السيرة الطومة خالية منه ومن نظيره . وقد كان يحب أن يضيفه إلى الموضع الذي أخدمته ، فإن
قوله وقول من أسند إليه ليس بحجة ؛ ولو كان صحيحاً لكان يجب أن يقول بدل قوله :
« ما أنا فليقتص » منى - إذا كان ما أمر بذلك ، ولا رضى عنه ، وإنما ضربه الفلام الجاني -
« فليقتص » منه ، فإنة أولى وأعدل .

وبعد ؛ فلا تنافى بين الروايتين لو كان ، ارواه معروف ، لأنه يجوز أن يكون غلامه
ضربه في حال ، وضربه هو في حال أخرى ، والروايات إذا لم تتعارض لم يحز إسقاط
شيء منها .

فأما قوله : إن عماراً لا يجوز أن يكفره ، ولم يقع منه ما يوجب الكفر ؛ فإن تكفير
عمار وغير عمار له معروف ، وقد^(١) جاءت به الروايات ، وقد روى من طرق مختلفة وبأسانيد
كثيرة أن عماراً كان يقول : ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع ، وأنا شرّ

الأربعة ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) ، وأنا أشهد أنه قد حَكَمَ بغير ما أنزل الله .

وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له : بأي شيء كفرتم^(٢) ؟ عثمان ؟ فقال : بثلاث : جعل المال ذوقاً بين الأغنياء ، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بئرلة من حارب الله ورسوله ، وعمل بغير كتاب الله .
وروي عن حذيفة أنه كان يقول : ما في عثمان بحمد الله أشك ، لكنني أشك في قاتله ، لا أدري أ كافر قتل كافراً ، أم مؤمن حاض إلى العتنة حتى قتله ؛ وهو أفصل المؤمنين إيماناً ، فأما ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عماراً في ذلك ، وترافعهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فهو أولاً غير دافع لكون عمار مكفراً له ، بل شاهد بذلك من قوله عليه السلام . ثم إن كان الخبر صحيحاً فالوجه فيه أن عماراً كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدوله عن أن يفضي بينهما بصريح القول أنه متمسك بالفتنة ، فأمسك عمار متابعة لغرضه^(٣) .

فأما قوله : لا يجوز أن يكفر من حيث وثب على الخلافة ، لأنه كان مصوباً لأبي بكر وعمر لما تقدم من كلامه في ذلك ؛ فأما لا يتم له أن عماراً كان مصوباً لها ، وما تقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه .

فأما قوله عن أبي علي : إنه لو ثبت أنه ضربه لقول العظيم الذي كان بقوله فيه لم يكن طعناً ، لأن الإمام تأديب من يستحق ذلك ، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب "اللعن" ، أو من حكى كلامه من أبي علي وغيره من أن يستذير - من ضرب عمار ووقد حق راحته من الغشي ما تركه الصلاة ، ووطنه بالأقدام امتهاً واستخفافاً - بشي من العذر ،

(١) سورة الثلاثة ٤٤ .

(٢) ١ : ٥ أ كفرتم .

(٣) الثاني : ٥ لا فهم من غرضه .

فلا عذر يُسمع من إيقاع سهاية المكروه عن رُوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه :
 « عمار جِلْدَةٌ ما بين الدين والأف ومتى تُسْكَا الجِلْدَةُ يَذْمُ الأُف » . وروى أنه قال
 عليه السلام « ما لم ولعمار ! بدعوم إلى الحمة ويدعونهُ إلى النار » . وروى العوام بن
 حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 قال : « مَنْ عادى عمارا عاداه الله ، ومن أسس عمارا أبغضه الله » ؛ وأى كلام غليظ
 سمعه عثمان من قمار يستحق به ذلك المكروه العظيم الذى يجاوز مقدار ما فرضه الله تعالى
 فى الحدود ! وإنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه أحداثه ومعائبه أحيانا على ما يظهر من
 سبب أفعاله . وقد كان يحب عليه أحد أمرين : إما أن يزرع قمارا يوافق عليه من تلك
 الأفعال ، أو يبين من عنده عنها ورايته معها ما يظهر ويشتبه ؛ فإن أظلم مقيم بعد ذلك
 على توبيخه وتضييقه زجره عن ذلك لَوْ عَطِلَ أَوْ عَيَّرَهُ ، ولا يُقدم على ما يفعله الجبارة
 والأكاسرة من شفاء العيظ بغير ما أنزل الله تعالى وحسب به

الطعن التاسع :

إقدامه على أبى ذرٍّ مع تقدمه فى الإسلام ، حتى سيره إلى الرُبْدَةِ وضاه ، وقيل :
 إنه ضربه .

قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك : إن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال : إن
 الناس اختلفوا فى أمر أبى ذرٍّ رحمه الله تعالى . وروى أنه قبل لأبى ذرٍّ : عثمان أنزلت
 الرُبْدَةُ ؟ فقال : لا ؛ بل اخترت لنفسى ذلك .

وروى أن معاوية كتب بشكوه وهو بالشام ، فكتب عثمان إليه أن ميرزا إلى المدينة ،
 فلما صار إليها قال : ما أخرجك إلى الشام ؟ قال : لآتي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « إذا بلغت عمارَةَ المدينة موضعَ كذا فأخرج عنها » ؛ فلذلك خرجتُ ، فقال : فأى البلاد أحبُّ إليك بعد الشام ؟ قال : الرَّبْدَةُ ، فقال : صِرْ إليها .

قال : وإذا تكافأتِ الأخبارُ لم يكن لم في ذلك حجة ، ولو ثبت ذلك لكان لا يتمتع أن يُخرجهُ إلى الرَّبْدَةِ لصالح يرجع إلى الدين ، فلا يكون ظُلماً لأبى ذَرٍّ ؛ بل يكون إشفاقاً عليه ، وخوفاً من أن يناله من مصرٍ أهل المدينة مكروماً ، فقد رُوِيَ أنه كان يُنْظِظُ في القول ويخشن الكلام ، فيقول : لم يبقَ أصحابُ محمدٍ على ما عهد ، ويُنَمِّرُ^(١) بهذا القول ؛ فرأى إخراجَهُ أصحَّ لما يرجع إليه وإليهم وإلى الدين ؛ وقد رُئِيَ أن عمر أخرج من المدينة نصرَ بن الحجاج لما خافَ ناحيته ، وقد ندَّبَ اللهُ سبحانه إلى خفض الجناح للمؤمنين ، وإلى القول القين للكافرين ، وبين للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لو استعمل الغفظة لا تغضوا من حوله ، ما رأى عثمان من خشونة كلام أبى ذَرٍّ ، وما كان يُورده مما يحشى منه التنفير فقل ما قل .

قال : وقد رُوِيَ عن زيد بن وهب ، قال : قلتُ لأبى ذَرٍّ رحمه الله تعالى ، وهو بالرَّبْدَةِ : ما أنزلك هذا المنزل ؟ قال : أحيرُك ؛ إني كنتُ بالشامِ في أيام معاوية ، وقد ذكرت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) ، فقال معاوية : هذه في أهل الكتاب ، قلت : هي فيهم وفينا ؛ فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك ، فكتب إلى أن أقدم على ، فقدمت عليه ؛ فأتى الناسُ إلى كأنهم لم يعرفوني ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فغفرتني وقال : أنزل حيث شئت ، فنزلت الرَّبْدَةَ .

(١) ينمّر : يصيح .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخطيب قريباً مما تقدم ، من أن إخراج أبي ذر إلى الرثّة كان باختياره ، وروى في ذلك حبراً ، قال : وأقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فطرح ، ويُرْجَع إلى الأمر الأول في صحة إمامة عثمان وسلامة أحواله .

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، فقال :

أما قول أبي عليّ إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الرثّة متكافئة ، فمعاذ الله أن تتكافأ في ذلك بل المعروف والظاهر أنه نفاه أولاً إلى الشام ، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة إلى الرثّة . وقد روى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم ، وأعطى ريد بن ثابت مائة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : **بُشِّرَ الْكَافِرِينَ بِمَذَابِ آلِهِمْ** ، ويتنقل قول الله تعالى : **(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ أَلْهَابَ وَالْفِصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَشْرَهُمْ بِمَذَابِ آلِهِمْ)** فرفع ذلك مروان إلى عثمان ، فأرسل إلى أبي ذر مائلاً مولاه : **أَنْ ائْتِنِي فَقَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ** ، فقال : أينهاى عثمان عن قراءة كتاب الله ، وعقبت من ترك أمر الله ! فوالله لأن أرمى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أسخط الله برصاه . فأعصب عثمان ذلك ، وأحفظه فخصابر .

وقال يوماً : أيحور للإمام أن يأخذ من المال ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كتب الأخبار : لا بأس بذلك ، فقال له أبو ذر : يابن اليهوديين ، أتعلّمنا ديننا ! فقال عثمان : قد كثرت أذاك لي وتولّمت بأصحابي ، الحقّ بأشام . فأخرجه إليها ، فكان أبو ذر يُنكر أهل معاوية أشياء يفعلها ، فمات إليه معاوية ثلثمائة دينار ؛ فقال أبو ذر : إن كانت هذه

من عطائي الذي حرمتموني عاى هذا قبلتها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لى فيها ، وردّها عليه .

وبنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذرّ : يا معاوية ، إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة ، وإن كانت من مالك فهو الإسراف .

وكان أبو ذرّ رحمه الله تعالى يقول : والله لقد حدثت أعمالاً ما عرفتها ، والله ما لى فى كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله لى لأرى حقا يطقأ وباطلا يحيا ؛ وصادقا مكذبا ، وأثرّة يعير تقى ، وصالحا مستأثراً عليه ؛ فقال حبيب بن مسلمة المهرى لمعاوية : إنا أبا ذرّ لم نفيد عليكم الشام ، فندارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه . فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أما بعد ؛ فاحمل حذبا^(١) إلى على أعلظ مرّك وأوعر ، فوجه به مع من سار به الليل والنهار ثم وصله على شارب^(٢) ليس عابها إلا قتب^(٣) ، حتى قدّم به المدينة ، وقد سقط لحم فخذه من الجهد ؛ فلما قدم أبو ذرّ المدينة ؛ بعث إليه عثمان أن الحق بأى أرض سئفت ، فقال : نمكة ؟ قال : لا ، قال : هبث القدس ؟ قال : لا ، قال : فأحد المصربين^(٤) ؟ قال : لا ؛ ولكنى سيّرك إلى الرّبذة ، فغيره إليها ، فلم يزل بها حتى مات .

وفى رواية الواقدي أن أبا ذرّ لما دخل على عثمان ، قال له : لا أسم الله بك سينا يا جنيذب ! فقال أبو ذرّ : أما جنيذب وممانى رسول الله صلى الله عليه عبد الله ، فاحترت اسم رسول الله الذى سمّانى به على اسمى ؛ فقال عثمان : أنت الذى تزعم أنا نقول إن يد الله معلولة ؛ وإن الله فقير ونحن أغنياء ! فقال أبو ذرّ : لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم

(١) جندب : اسم أبى ذرّ النضارى .

(٢) الشارب : الناقة السنة الهرمة .

(٣) القتب : الإكاف الصعير على قدر سنام الصعير .

(٤) للمصربان : هما السكوفة والصرة .

مَالِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؛ وَلَكِنِّي أَشْهَدُ لِسَمِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا بَلَغَ
بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَمَلُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا ، وَدِينَ اللَّهِ
دَخَلًا » ، فَقَالَ عُمَانُ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَسَمِعْتُمُوهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : مَسْمَعْنَاهُ ، فَقَالَ عُمَانُ :
وَيْلَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ ! أَتَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ! فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ إِمِنْ حَضَرَ : أَمَا تَنْظُرُونَ أَنِّي
صَدَقْتُ ! قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا نَنْظُرُ ، فَقَالَ عُمَانُ : لِدَعُوا إِلَى عَلِيٍّ ، فَدَعِيَ ، فَلَمَّا حَاءَ قَالَ
عُمَانُ لِأَبِي ذَرٍّ : اقْصُرْ عَلَيْهِ حَدِيثَكَ فِي بَنِي أَبِي الْعَاصِ ، فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ عُمَانُ لِعَلِيٍّ :
هَلْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا ، وَقَدْ صَدَّقَ
أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ عُمَانُ : بِمَ ^(١) عَرَفْتَ صِدْقَهُ ؟ قَالَ : لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا أَظَلَّتْ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » ،
فَقَالَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ صَدَّقَ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :
أَحَدُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ تَمَوْتَنِي ! مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي
أَعِيشُ حَتَّى أَسْمَعَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي خَيْرِ آخِرِ إِسْنَادِهِ عَنْ صَهْبَانَ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ ، قَالَ : رَأَيْتُ
أَبَا ذَرٍّ يَوْمَ دُخِلَ بِهِ عَلَى عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَتَيْتَ فَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ :
نَصَحْتُكَ فَاسْتَفْشَشْتَنِي ، وَنَصَحْتُ صَاحِبَكَ فَاسْتَمَشَنِي ؛ فَقَالَ عُمَانُ : كَذَبْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ
تَرِيدُ الْفِتْنَةَ وَتُحِبُّهَا ، قَدْ أَنْفَلْتُ ^(٢) الشَّامَ عَلَيْنَا ، قَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : اتَّبِعْ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ ،
لَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ كَلَامٌ ، قَالَ عُمَانُ : مَا لَكَ وَذَلِكَ لَا أَمْرَ لَكَ ! قَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ
مَا وَجَدْتُ لِي عَذْرًا إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَغَضِبَ عُمَانُ وَقَالَ : أَشِيرُوا
عَلَيَّ فِي هَذَا الشَّيْخِ الْكَذَّابِ ، إِمَّا أَنْ أَضْرِبَهُ أَوْ أَحْبِسَهُ أَوْ أَقْتُلَهُ ؛ فَإِنَهُ قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَةَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّافِيَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، فَحَكَّمُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ - وَكَانَ حَاضِرًا - وَقَالَ : أَشِيرْ عَلَيْكَ

(١) الشَّامُ : « كَيْفَ » .

(٢) أَنْفَلْتُ الشَّامَ : أَيِ أَقْسَدْتُ أَمَلَهُ ؛ وَأَسَلَهُ وَ الْأَرْضَ ؛ يَخَالُ : أَسَلُ الْأَدِيمَ ؛ إِنَّا أَقْسَدُ فِي الْبُلَاحِ .
وَالشَّامُ : « قَلْبُ » .

بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ بِكَ كَذِبًا فَتَيْنَاهُ كَذِبُهُ وَإِنْ بِكَ صَادِقًا يَصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي بَعِدُكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ^(١) ، قال : فأجابه
عثمان بجواب غليظ ، لا أحب ذكره ، وأجابه عليه السلام بمثل ، قال : ثم إن عثمان
حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ، أو يكلموه ؛ فكثرت كذبتك إماماً ، ثم أمر أن يؤتى
به ، فلما أتى به وقف بين يديه ، قال : وبك يا عثمان ! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه
ورأيت أبا بكر وعمر ! هل رأيت هذا هديهم ! إنك لتبطلش بي بطش جبار ؛ فقال :
أخرج عنا من بلادنا ، فقال أبو ذر : ما أخص إلى جوارك ! فإلى أين أخرج ؟ قال : حيث
شئت ، قال : فأخرج إلى الشام أرض الجهاد ؟ قال : إنما جلبتكم من الشام لما قد أفسدتها
أفأردكم إليها ! قال : فأخرج إلى العراق ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : تقدم على قوم أهل
شبه وطن في الأئمة ، قال : فأخرج إلى مصر ؟ قال : لا ، قال : فإلى أين أخرج ؟ قال :
حيث شئت ، قال أبو ذر : فهو إذن العرب ^(٢) بعد الهجرة ؟ أخرج إلى نجد ؟ فقال عثمان :
الشرف الأسد أقصى فأقصى : أخص على وجهك هذا ، ولا تملؤن الرُبذة .

نخرج إليها .

وروى الواقدي عن مالك بن أبي الرجال ، عن موسى بن مبصرة أن أبا الأسود الدؤلي ،
قال : كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه ، فزلت الرُبذة ، فقلت له :
ألا تخبرني ؟ أخرجت من المدينة طائفا أم أخرجت مكرها ؟ فقال : كنت في تمر من تمر
للسلمين ، أغني عنهم ، فأخرجت إلى مدينة الرسول عليه السلام ، فقلت : أصحابي ودار
هجرتي ، فأخرجت منها إلى ما ترى ، ثم قال : بينا أما ذات ليلة نائم في المسجد إذ مر بي
رسول الله صلى الله عليه ، فضربني برجله وقال : لا أراك نائما في المسجد ، فقلت : يا أبا أنت

(١) سورة طه ٢٨ .

(٢) العرب : الإقامة بالبادية .

وأمر ! غلبتني عيني ، فمست فيه ، فقال : كيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : إذن ألتحق بالشام ، فإنها أرض مقدسة ، وأرض بقية الإسلام ، وأرض الجهاد ؛ فقال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ قلت : أرجع إلى المسجد ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفي فأضرب به ، فقال صلى الله عليه وآله : « ألا أدلك على خير من ذلك ، أنسق معهم حيث ساقوك ، ونسنع وتطيع » ، فسمعت وأطعت وأما اسمع وأطيع ؛ والله ليلقيَنَّ الله عنان وهو آثم في جَنَبي .

وكان يقول بالربذة : ماترك الحق لي صديقا . وكان يقول : فيها ردِّي عنانُ بعد المعرة أعرابيا .

والأخبار في هذا الباب أكثر من أن نحصيها وأوسع من أن نذكرها . وما يحيلُ نفسه على ادعاء أن أبا ذرٍّ خرج مختارا إلى الربذة إلا مكار . ولنا تنكير أن يكون ما أورده صاحب كتاب " المعنى " من أنه خرج مختارا قد روي ، إلا أنه من الشاذ النادر . ويأراء هذه الرواية القدة كل الروايات التي تضمنت خلافها ؛ ومن تصفح الأخبار علم أنها غير متكافئة على ما ظنَّ صاحب المعنى ؛ وكيف يجوز خروجه عن اختياره وإنما اشخص من الشام على الوجه الذي اشخص عليه : من خشونة للركب ، وقبح السَّير به للموجدة عليه . ثم لما قدِّم مُنِع الناس من كلامه ، وأغلظ له في القول ؛ وكل هذا لا يشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره . وكيف يظن عاقل أن أبا ذرٍّ يختار الربذة من غير أن يجذبها وقحطها ونُعْذها عن الخيرات ؛ ولم تكن بمنزل مثله !

فأما قوله : إنه أشفق عليه من أن يراه بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ لهم القول ، فليس شيء ؛ لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله ، عاتبا بمثل حبه ؛ إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه ، ومخفي ما عنده ؛ ومافى أهل المدينة إلا

من رَأَى لأبي ذرٍّ مما حدث عليه ، ومن استغفله ؛ ومن رجع إلى كتب السيرة عرف ما ذكرناه .

فأما قوله : إن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج ، فبأئذ ما بين الأمرين أو ما كنا نظن أن أحداً يسرى بين أبي ذرٍّ وهو وجه الصعانة وعينهم ، ومن أجمع المسلمون على توقيفه وتمظيمه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله مدحه من صدق اللهجة بما لم يمدح به أحداً ، وبين نصر بن الحجاج الحدث الذي كان خاف عمر من افتتان النساء بشابه ؛ ولا حفظه في فصل ولا دين ؛ على أن عمر قد ذم بإحراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه ، فإذا كان من أخرج نصر بن حجاج مدموماً ، فكيف من أخرج أبا ذرٍّ ؟

فأما قوله : إن الله تعالى والرسول قد بدا إلى خفض الجناح ، ولين القول للمؤمن والكافر ، فهو كما قال ؛ إلا أن هذا أدب كان ينبغي أن يتأدب به عثمان في أبي ذرٍّ ، ولا يقابله بالتكذيب ، وقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقه ؛ ولا يسمعه مكروء الكلام ؛ فإنا نصح له ، وأهتدي إليه عيوية ، ومعاوية على ملأ نزع عنه لكان خيراً له في الدنيا والآخرة .



الطعن العاشر :

تمطي له الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، فإنه قتل الهرمزان مسلماً فلم يقدّم به ، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلبه لذلك .

قال قاضي القضاة في الجواب عن ذلك : إن شيعتنا أبا على رحمه الله تعالى قال : إنه لم يكن للهرمزان ولي يطلب بدمه ، والإمام ولي من لا ولي له ، وللولي أن يعفو كما له أن يقتل ، وقد روى أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه ، فأجابوا عنه إلى ذلك .

قال : وإنما أراد عثمانُ بالصفوة ما يعودُ إلى عزِّ الدين ، لأنه خاف أن يبلغ العدوُّ قتلَهُ ؛ فيقال : قتلوا إمامهم وقتلوا ولده ولا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شناعة ؛ وقد قال الشيخُ أبو الحسين النخاط : إن عامةَ المهاجرين أجمعوا على أنه لا يُقاد بالهرمزاني ، وقالوا لعمان : هذا دمُك في غير ولايتك ، وليس له ولي يطلب به ، وأمره إلى الإمام ، فاقبل منه الهدية ، فذلك صلاح للمسلمين .

قال : ولم يثبت أن أميرَ المؤمنين عليه السلام كان يطلبه ليقْتله بالهرمزاني ، لأنه لا يجوز قتلُ مَنْ عفا عنه وليُّ القتل ؛ وإنما كان يطلبه ليضع من قدره ، ويصغر من شأنه .

قال : ويجوز أن يكون ما روي عن عليٍّ عليه السلام من أنه قال : لو كنتُ بذلك عثمان لقتلته ، يعني أنه كان يرى ذلك أقربى في الاجتهاد ، وأقرب إلى التشدد في دين الله سبحانه .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام ، قال :

أما قوله : لم يكن لهرمزاني ولي يطلب بدمه ، فالإمام يكون وليه ، وله أن يصفو عنه ، كما له أن يقتص ؛ فليس بمعتد ، لأن الهرمزان رجلٌ من أهل فارس ، ولم يكن له ولي حاضر يطلب بدمه ، وقد كان الواجب أن يذلل الإنصاف لأولياته ويؤمنوا متى حصروا ، حتى إنه لو كان له ولي يريد المطالبة حضر وطالب . ثم لو لم يكن له ولي لم يكن عثمان ولياً دمه ، لأنه قُتل في أيام عمر ، فصار عمر ولياً دمه ، وقد أوصى عمر على ما جاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله إن لم يتم البيعة العادلة على الهرمزان وجقيقته ،^(١) أنهما أمر الأباؤلوة غلامَ المخزومة بن شعبة بقتله ، وكانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى ، فقال : أيُّكم ولي هذا الأمر فليفعل كذا وكذا بما ذكرناه ، فلما مات عمر ، طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء

(١) جقيقة ؛ كان نصرانياً من أهل الحيرة وكان ظمراً لعمد بن أبي وقاص ؛ أقدمه إلى المدينة لصلحته بينه وبينهم ؛ ولجأ إلى المدينة الكتاب . تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ .

الوصية في عبيد الله بن عمر ، فدافع عن ذلك وعلمهم ؛ ولو كان هو وليّ الدم على ما ذكرنا لم يكن له أن ينفو وأن يُطيل حداً من حدود الله تعالى ، وأى شناعة للمدوّ في إقامة حدّ من حدود الله تعالى ! وإنما الشناعة كلّها من أعداء الإسلام في تفضيل الحدود . وأى حرج في الجمع بين قتل الإمام وابنه ، حتى يقال : كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام واسه قتيلاً ، وإنما قُتل أحدهما طمأناً والآخر عدلاً ، أو أحدهما بغير أمر الله ، والآخر بأمره سبحانه ! وقد روى زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن أمير المؤمنين عليه السلام أتى عُمَان ؛ بعد ما استخلف ، فكلّمه في عبيد الله ولم بكلمة أحد غيره ؛ فقال : أقتل هذا الفاسق الخبيث الذي قتل أميراً مسلماً ؛ فقال عُمَان : قتلوا أباه بالأمس ، وأقبل اليوم ! وإنما هو رجل من أهل الأرض ؛ فصار أتى عليه مرّة عبيد الله على عليه السلام ، فقال له : يا بريد يا فاسق ! أما والله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربن عنقك ؛ فذلك خرج مع معاوية عليه .

وروى القناد ، عن الحسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، أن المسلمين لما قال عُمَان : أتى قد عفوت عن عبيد الله بن عمر ، قالوا : ليس لك أن تصفو عنه ، قال : بلى إنه ليس بـجفينة والهرمزان قراءة من أهل الإسلام ؛ وأما وليّ أمر المسلمين ، وأنا أولى بهما ، وقد عفوت ، فقال عليّ عليه السلام : إنه ليس كما تقول ، إنما أتى في أمرهما بمبرة أقصى المسلمين ؛ إنه قتلها في إمرة غيرك ، وقد حكم الوالي الذي قتلها في إمارته بقتلها ؛ ولو كان قتلها في إمارتك لم يكن لك العفو عنه ، فأتى الله ؛ فإن الله سائلك عن هذا ؛ فلما رأى عُمَان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيد الله ، أمره فارتحل إلى الكوفة ، وأقطعها بها داراً وأرضاً ؛ وهي التي يقال لها : كويّقة^(١) ابن عمر ، فظلم ذلك عند المسلمين وأكبروه ؛ وكثر كلامهم فيه .

(١) الكويّقة ، ذكرها ياقوت ، فقال : « كويّقة ابن عمر منسوبة إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب ؛ نزحها حين قتل بنت أبي لؤلؤة والهرمزان وجبيلة الصادي » . معجم البلدان ٧ : ٣٠٤ .

وروى عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :
ما أسمى عثمان يومَ ولّى حتى تقموا عليه في أمر عبيد الله بن عمر ؛ حيث لم يقتله بالهرمزان .
فأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطله ليقتله ؛ بل ليضع من قدره ؛ فهو
بخلاف ما صرح به عليه السلام من أنه إن تمكن ليضرب عنقه .

وبعد ؛ فإن وليّ الدم إذا عفا عنه على ما ذقوا لم يكن لأحد أن يستخف به ،
ولا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله .

وأما قوله : إن أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يتوعد مع عفو الإمام عنه ؛ وإنما
يكون صحيحاً لو كان ذلك المعو مؤثراً ؛ وقد بينا أنه غير مؤثر .

وأما قوله : يجوز أن يكون عليه السلام رأى أن قتله أقوى في الاجتهاد ، وأقرب إلى
التشدد في دين الله ؛ فلا شك أنه كذلك ، وهذا بناء منه على أن كل محمّد مصيب ؛
وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك ؛ وإذا كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي قتله ،
فهو الذي لا يسوغ خلافه .

• • •

الطعن الحادى عشر

وهو إجمالى ؛ قالوا : وهذا أحوال الصحابة دأبة على تصديقهم المطاعين فيه ،
وراءتهم منه ؛ والدليل على ذلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه ، ولا أنسكروا
على من أجلب عليه من أهل الأمصار ؛ بل أسموه ولم يدفنوا عنه ؛ ولكمهم أمانوا عليه ،
ولم يملعوا من حصره ولا من منع الماء عنه ؛ ولا من قتله ، مع تمكّنهم من خلاف ذلك ،
وهذا من أقوى الدلائل على ما قلناه ؛ ولو لم يدل على أمره عندهم إلا ما روى عن علي عليه
السلام أنه قال : الله قتله وأنا معه ، وأنه كان في أصحابه عليه السلام من يصرّح بأنه قتل

عثمان ؛ ومع ذلك لا يُقيدهم بل ولا ينكر عليهم ، وكان أهل الشام يصرون بأن مع أمير المؤمنين قتلة عثمان ، ويجعلون ذلك من أوكد الشبه ، ولا ينكر ذلك عليهم ؛ مع أننا نعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو أراد أن يخاصد هو وأصحابه على المنع عنه لما وقع في حقه ما وقع ؛ فصار كفه وكف غيره عن ذلك من أدل الدلائل على أنهم صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث ؛ وأهم لم يقبلوا منه ما حمله عذرا .

وأجاب قاضي القضاة عن هذا ، فقال :

أما تركه إمد القتال ثلاثة أيام لم يدفن فيس بثابت ، ولو صح لسكان طعننا على من لزمه القيام به ، وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : إنه لا يمنع أن يشتعلوا بإبرام البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام خوفاً على الإسلام من الفتنة ، فيؤحروا دفته .

قال : وسيد مع حصور قريش وقبائل العرب وسائر بني أمية ومواليهم أن يُترك عثمان ولا يُدفن هذه المدة ، وسيد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لا يتقدم بدفنه ، ولو مات في جواره يهودي أو نصراني ولم يكن له من بني أمية ما تركه أمير المؤمنين ألا يدفن ، فكيف يحور مثل ذلك في عثمان ؛ وقد روي أنه دفن في تلك الليلة ؛ وهذا هو الأولى . فأما التعلق بأن الصحابة لم تنكر على القوم ، ولا دفنت عنه ، فقد سبق القول في ذلك ؛ والصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه تبرأ من قتل عثمان ، وأمن قتلته في البر والبحر والسهل والجبل ؛ وإنما كان يحرق من حيثه هذا القول منه على جهة المحار ؛ لأننا نعلم أن جميع من كان يقول : نحن قتلناه لم يقتله ؛ لأن في الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرون بذلك ؛ والذين دحوا عليه وقتلوه اثنان أو ثلاثة ؛ وإنما كانوا يقصدون بهذا القول ؛ أي احسبوا أننا قتلناه فما لكم ؛ وذلك أن الإمام هو الذي يقوم بأمر القود ، وليس للخارج عليه أن يطالب بذلك ؛ ولم يكن لأمر المؤمنين عليه السلام أن يقتل قتلته لو عرفهم بيعة أو إقرار ، وميرهم من غيرهم إلا عند مطالبة وتلى الدم ، والذين كانوا أولياء

الذين لم يكونوا بطالبونه ، ولا كانت صفتهم صفة من يطالب ؛ لأنهم كانوا كلهم أو بعضهم يدعون أن عليا عليه السلام ليس بإمام ، ولا يحل لولي الدم مع هذا الاعتقاد أن يطالب بالقود ، فلذلك لم يقتلهم عليه السلام ؛ هذا لو صح أنه كان يميزهم ، فكيف وذلك غير صحيح .

فأما ما روي عنه من قوله عليه السلام : « قتل الله وأمامه » ! فإن صح فعناء مستقيم ؛ يريد أن الله أماته وسيميتني وسائر العباد .

ثم قال سائلا نفسه : كيف يقول ذلك وعثمان مات مقتولا من جهة للكافرين ! وأجاب بأنه وإن قُتل ، فالإماتة من قتل الله تعالى . ويموز أن يكون ماناه من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة لا محالة ، فإذا مات صحت الإمامة على طريق الحقيقة .



اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال :

أما تضعيفه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن ؛ فليس بحجة ؛ لأن ذلك قد رواه جماعة الرواة ، وليس يخالف في مثله أحد يعرف الرواية ؛ وقد ذكر ذلك الواقدي وغيره ؛ وروى أن أهل المدينة سمّوا الصلاة عليه ، حتى يحل بين العرب والعامة ، ولم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواليه ، ولما أحسوا بذلك رمّوه بالحجارة وذكروه بأسوأ الذكر ، ولم يقع التكرار من دفنه إلا بعد أن أسكر أمير المؤمنين عليه السلام المنع من دفنه ، وأمر أهله بثولي ذلك منه .

فأما قوله : إن ذلك إن صح كان طعنا على من لزمه القيام بأمره ، فليس الأمر على ما ظنه ، بل يكون طعنا على عثمان من حيث لا يجوز أن يمنع أهل المدينة - وفيها وجوه الصحابة - من دفنه والصلاة عليه إلا لاعتقاد قبيح ؛ أو لأن أكثرهم وجمهورهم يعتقد ذلك ؛ وهذا طعن لا شبهة فيه ؛ واستبعاد صاحب " المنى " لذلك ؛ مع ظهور الرواية به

لا يلتفت إليه ؛ فأما أمير المؤمنين عليه السلام واستبعاد صاحب " المني " منه ألا يتقدم بدفنه ؛ فقد بينا أنه تقدم بذلك بعد مما كثر مراراً . وأعجب من كل شيء قول صاحب " المني " : إنهم أخرجوا دفنه تشاعلاً بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام ؛ وأى شغل في البيعة لأمر المؤمنين يمنع من دفنه ، والدفن فرض على الكفاية ، لإقام به البعض وتشاغل الباقيون بالبيعة لحازا وليس الدفن ولا البيعة أبصاً معتقداً إلى تشاغل جميع أهل المدينة بها . فأما قوله : إنه قد روي أن عثمان دُفن تلك الليلة ، فما تُعرف هذه الرواية ؛ وقد كان يجب أن يُسندها ويُروىها إلى راويها ، أو الكتاب الذي أخذها منه ؛ فالذي ظهر في الرواية هو ما ذكرناه .

فأما إحاطته على ما تقدم في معنى الإنكار من الصحابة على القوم المجابين على عثمان ؛ فقد سبق القول في ذلك .

فأما روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام تبرؤ من قتل عثمان ، ولعن قتلته في البر والبحر ، والسهل والجبل ؛ فلا شك في أنه عليه السلام كان حرباً من قتلته ، وقد روى عنه عليه السلام أنه قال : والله ما قتلت عثمان ، ولا مالت في قتله ؛ والمالاة هي المعاونة والموازرة ، وقد صدق عليه السلام في أنه ما قتل ولا وازر على القتل .

فأما لعنه قتلته ^(١) فضعيف في الرواية ، وإن كان قد روي ؛ فأظهر منه ما رواه الواقدي ، عن الحكم بن الصلت ، عن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، قال : رأيت علياً عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حين قُتل ، وهو يقول : ما أحبيت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ، ولا نهيت عنه .

وقد روى محمد بن سعد ، عن عفان بن جرير بن بشير ، عن أبي جعدة ، أنه سمع علياً

(١) أ ، ج : د قتله عثمان .

عليه السلام، يقول وهو مخاطب، فذكر عثمان، وقال: والله احدى لا إله إلا هو؛ ما قتله ولا مالات على قتله ولا ساءني^(١).

وروى ابن بشر، عن عبيدة السلماني، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: من كان سائلي عن دم عثمان؛ فإن الله قتله وأنا معه. وقد روي هذا اللفظ من طرق كثيرة.

وقد روى شعبة عن أبي حمزة الصبي، قال: قلت لابن عباس: إن أبي أخبرني أنه سمع علياً، يقول: ألا من كان سائلي عن دم عثمان، فإن الله قتله وأنا معه - فقال: صدق أبوك؛ هل تدري ما معنى قوله: إنما عني: الله قتله وأنا مع الله.

قال: فإن قيل: كيف يصح الجمع بين معاني هذه الأخبار؟ قلنا: لا تناقض بينها، لأنه عليه السلام تيمناً من مباشرة قتله والموازرة عليه، ثم قال: ما أمرت بذلك ولا نهيت عنه؛ يريد أن قاتليه لم يرجعوا إلى، ولم يكن مني قول في ذلك بأمر ولا نهي. فأما قوله: «الله قتله وأنا معه»، فيعوز أن يكون المراد به: الله حكم بقتله وأوجبه وأنا كذلك؛ لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يقتله على الحقيقة، فإضافة القتل إليه لا تكون إلا بمعنى الحكم والرضا؛ وليس يمتنع أن يكون مما حكم الله تعالى به، ما لم يتولاه بنفسه، ولا آذره عليه، ولا شاع فيه.

فإن قال قائل: هذا بنافي ما روي عنه من قوله: «ما أحببت قتله»، ولا كرهته، وكيف يكون من حكم الله وحكمه أن يقتل وهو لا يحب قتله؟

قلنا: يجوز أن يريد بقوله: «ما أحببت قتله ولا كرهته» أن ذلك لم يكن مني على سبيل التفصيل، ولا خطر لي ببال؛ وإن كان على سبيل الحملة يحب قتل من غلب المسلمين

(١) كذا في أ، ج، والشان، ورم: «ولا سأل».

على أمورهم، وطالبوه بأن يعتزل، لأنه «مقتول عليهم بغير حق» فامتنع من ذلك، ويكون
فائدة هذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله، والأمر به على سبيل التفصيل أو النهي عنه. ويجوز
أن يريد أنبي ما أحبت قتلته؛ إن كانوا تمتدوا القتل؛ ولم يقع على سبيل اللامعة وهو غير
مقصود. ويريد بقوله: «ما كرهته» أي لم أكرهه على كل حال، ومن كل وجه.

فأما لعمه قتلته فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ما ذكرناه؛ وإن صح فهو مشروط
بوقوع القتل على الوجه المظنور من نعتيه له، وقصدي إليه وغير ذلك؛ على أن المقتول للقتل
على ما صحت به الرواية كقصة بن كثير التميمي، وسودان بن حمران اللادي؛ وما منها
من كان عرضه صحيحاً في القتل، ولأله أن يقدم عليه، فهو ملعون به. فأما محمد بن أبي
بكر؛ فما تولى قتله؛ وإنما روى أنه لما حثا بين يديه فأنصا على لحيته، قال له: يا ابن أخي؛
دع لحيتي؛ فإن أباك لو كان حياً لم يصدني هذا المقعد؛ فقال محمد: إن أبي لو كان حياً
ثم يراك تعمل ما تفعل لأسكره عليك، ثم رجاء^(٢) الجماعة قد أح كات في بده فحرت
جلده ولم تقطع، وبادره من ذكر لاء في قتله عما كان فيه قتله.

فأما تأويله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «قتله الله وأما معه»؛ على أن المراد به؛ الله
أماه وسيميني؛ فمعيد من الصواب، لأن لفظ «أما» لا تكون كناية عن اللفظ، وإنما
تكون كناية عن الماعل؛ ولو أراد ما ذكره لكان يقول: «ولأبي معه»؛ وليس له
أن يقول: إنا نجعل قوله: «وأنا معه» مبتدأ محذوف الخبر، ويكون تقدير الكلام:
«وأنا معه مقتول»؛ وذلك لأن هذا ترك لظاهر وإحالة على ما ليس فيه؛ والكلام إذا
أمكن حمله على معنى يستقل ظاهره به من غير تقدير وحذف كان أولى مما يتعلق
بمحذوف؛ على أنهم إذا جعلوه مبتدأ وقدرُوا خبراً لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم
بأولى من تقدير خلافه، ويجعل بدلاً من لفظ «المقتول» المحذوفة لفظ «معين» أو «ظهير».

(١ - ١) ب: «لأنه مقتول عليه عني» وما أئنه من أ، ج وكتاب الثاني.

(٢) وجاء: صر به.

وإذا تمكفا القولان في التدبير ونمارضا سقطا، ووجب الرجوع إلى ظاهر الخبر؛ على أن
 عثمان مضي مقتولا، فكيف يقال: إن الله تعالى أماته، والقيل كافٍ في انتفاء الحياة؛
 وليس يحتاج معه إلى نافية للحياة بسى موتا.

وقول صاحب "اللفي": يجوز أن يكون ما ناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة؛ ليس
 بشيء؛ لأن الروى أنه ضرب على رأسه بسود عظيم من حديد، وأن أحد قتلته قال:
 جلست على صدره فوجأته نزع طعنات، صمت أنه مات في ثلاث، ووجأته الست الآخر
 لما كان في فسي عليه من الحق.

وبعد: فإذا كان جائزا، فمن أين علمه أمير المؤمنين عليه السلام حتى يقول: إن الله
 أماته؟ وإن الحياة لم تنقُ عاقله القاتلون^(١)، وإنما انتفت شيء زاد على فعلهم من قبل الله
 تعالى بما^(٢) لا يعلمه على سبيل التفصيل إلا علام الميوب سبحانه.



والجواب من هذه المطاعن على وجهين: إجمالا وتفصيلا:

أما الوجه الإجمالي، فهو أننا لا نذكر أن عثمان أخذت أحداثا أنكرها كثير
 من المسلمين، ولكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجة الفسق، ولا أصبحت ثوابه،
 وأنها من الصغار التي وقعت مكفرة^(٣)؛ وذلك لأننا قد علمنا أنه مفعول له، وأنه من
 أهل الجنة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه من أهل بذر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله أعلم
 على أهل بذر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»؛ ولا يقال: إن عثمان لم يشهد
 بذرا؛ لأننا نقول: صدقتم، إنه لم يشهدا، ولكنه تخلف على رقية ابنة رسول الله

(١) الثاني: القتلة، وفي ب: «القاتلون» تحريف.

(٢) كذا في أ، ج والثاني، وفي ب: «فيها».

(٣) الصغار المكفرة: التي يعصى أمها.

صلى الله عليه وآله بالمدينة لمرضها، ومرب له رسول الله صلى الله عليه وآله نسبه وأجره باتفاق سائر الناس .

وثانيها : أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ولا يقال : إنه لم يشهد البيعة تحت الشجرة ، لأننا نقول : صدقتم ، إنه لم يشهدا، ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى أهل مكة ، ولأجله كانت بيعة الرضوان ، حيث أُرْحِفَ ^(٢) بأن قريشا قتلت عثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كانوا قتلوه ! لأضرمتها عليهم ناراً » ؛ ثم جلس تحت الشجرة ، وبايع الناس على اللوت ، ثم قال : « إن كان عثمان حياً فأنا أبايع عنه » ، فصعج شماله على يمينه ، وقال : « شمالى خير من يمين عثمان » روى ذلك جميع أرباب أهل البصرة متفقاً عليه .

وثالثها : أنه من جملة العشرة الذين تطهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة . وإذا كانت الوحوة الثلاثة دالة على أنه مغفور له ، وأن الله تعالى قد رضى عنه ؛ وهو من أهل الجنة ، بطل أن يكون فاسقاً ؛ لأن الفاسق يخرج عندنا من الإيمان ، ويُحْبَطُ ^(٣) ثوابه ، ويُحْكَمُ له بالنار ولا يُنْفَرُ له ، ولا يُرْضَى عنه ، ولا يرى الجنة ولا يدخلها ، فاحضت هذه الوجوه الصحيحة الثابتة أن يُحْكَمَ بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصغائر للكفرة ، توفيقاً بين هذه الوجوه ، وبين روايات الأحداث المذكورة .

وأما الوجه التفصيلي فهو مذکور في كُتُب أصحابنا للطولة في الإمامة ؛ فليُطْلَبَ من سطرانه ، فإنهم قد استقصوا في الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لا مزيد عليه .

(١) سورة الفتح ١٨

(٢) يقال : أُرْحِفَ فلان : إذا خاسوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا الناس في الاضطراب .

(٣) ب ، ج : « ينحط » وما أتته عن أ .

[بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعل]

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلي، ومث أمير المؤمنين عليه السلام إياه إلى معاوية، فمن تذكره قلا من "كتاب صفين" لنصر بن مزاحم بن بشار المنقري؛ وتذكر حال أمير المؤمنين عليه السلام، منذ قدم الكوفة بعد وقعة الجمل، ومراسلته معاوية وغيره، ومراسلة معاوية له وغيره، وما كان من ذلك في مبدأ حالهما إلى أن سار على عليه السلام إلى صفين.

قال نصر^(١): حدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني، قال: لما قدم على عليه السلام الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبد الله البجلي مع زحر بن قيس الجعفي - وكان جرير عاملًا لعثمان بن عمر همدان -^(٢):

أما بعد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفُ سُلُوكِهِمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٣). وإني أخبرك عن أبي^(٤) من سرنا إليه من مجموع طلعة والزبير، عند سكنتهم بعتي^(٥)، وما صنعوا بعملي عثمان ابن حنيفة. إني نهضت من المدينة بالمهاجرين والأنصار؛ حتى إذا كنت بالمدينة^(٦)، بعثت إلى أهل الكوفة الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وعقار بن ياسر، وقيس ابن عباد، فاستنفروهم فأجابوا، فسيرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فأعذرت في

(١) وقعة صفين للمنقري ص ١٩ وما بعدها.

(٢) همدان؛ بالإعجاز؛ مدينة بلاد الجبال من طرس.

(٣) سورة الرعد ١١.

(٤) ب: «أبائ».

(٥) كتاب صفين: «يعتق».

(٦) العذيب: ماء على عين القاصية لبي تيم، به وبين القاصية أربعة أميال (مرامد الاطلاع).

الدعاء ، وأقَلْتُ العَثْرَةَ ، وناشدتهم عَهْدَ^(١) بيعتهم ؛ فأبَوْا إلا قتالي ، فاستعنتُ الله عليهم ، فقتَلَ مَنْ قَتَلَ ، وولَّوْا مدبرين إلى مصرهم ، وسألوني ما كنتُ دعوتهم إليه قبل اللقاء ، فقبلت العافية ، ورفعتُ السيف ، واستعملت عليهم عبدَ الله بن العباس ، وسرتُ إلى الكوفة ؛ وقد بعثت إليك زحر بن قيس ، فاسأله عما بدا لك والسلام .

قال : فلما قرأ جريرُ الكتاب ، قام فقال : أيها الناس ، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما تحمدهُ الله عليه ، وقد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، ولو جُمِلَ هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا وإن اللقاء في الجماعة ، والبقاء في الفرقة ، وإن علياً حاملُكم على الحق ما استقمتم ؛ فإن ملتم أقام ميثاقكم .

فقال للناس : سمعاً وطاعة ، رضيتما رصبنا }
فكتب جرير إلى علي عليه السلام جواب كتابه بالطاعة

• • •

قال نصر : وكان^(٢) مع علي رجل من طي^(٣) ، ابن أخت لجرير ، فعَمَلَ زحر بن قيس شعراً له إلى خاله جرير ؛ وهو :

جرير بن عبد الله لا تردُّ الهدى	وبايع علياً إلى لك ناصح
فإن علياً خيرٌ من وطى الحصى	سوى أحدٍ ، والموت غاي ورائح
ودع عنك قول التاكثين فإنا	أولاك - أما عمرو - كلاب نواح ^(٤)
وبايع إذا بايسته نصيحة	ولا بك منها في ضميرك قاذح
فإنك إن تطلب بها الدين فمطه	وإن تطلب الدنيا فإنك راح ^(٥)

(٢) صين : ٢٠ ، ٢١ .

(١) صين : عقد .

(٢) أبو عمرو ، كنية جرير بن عبد الله الجلي .

(٣) وفة صين : « فمك رابع » .

وإن قلتَ عثمان بن عفان حُفَّه على عظيمٍ والشُّكُورُ مُنَاصِحُ
 الحقُّ على إذ وَلَيْسَ كَـكُحْفِهِ وشكرُك ما أوليتَ في النَّاسِ صَاحِجُ
 وإن قلتَ لا أرضى عليًّا إِمَامَنَا فدعُ عنك عمرًا ضلَّ فيه السَّوَاحِجُ
 أرى الله إلا أنه خَيْرُ دَهْرِهِ وأصل من ضُتَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ^(١)

قال نصر : ثم إن جريراً قام في أهل همدان خطيباً ، فقال : الحمد لله الذي احتار
 لنفسه الحمد ، وتولاه دون خلقه ؛ لا شريك له في الحمد ، ولا نظير له في الحمد ، ولا إله
 إلا الله وحده ، الدائم القائم ، إله السماء والأرض ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
 بالنور الواضح ، والحق الناطق ؛ داعياً إلى الخير ، وقائداً إلى الهدى ، ثم قال : أيها
 الناس ؛ إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يحال بصدقه إلا رجيع من القول ، ولكن
 لا بد من رد الكلام . إن الناس يابصوا علياً بالمدينة عن غير محابة له يبيعهم ؛ لعله
 بكتاب الله وسنن الحق ؛ وإن طلحة والزبير قضا بيعته على غير محابة حدثت^(٢) ،
 وألبا عليه الناس ، ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب ، وأخرجا أم المؤمنين ، فلقبهما فأعذر
 في الدعاء ، وأحسن في البقية ، وحمل الناس على ما يعرفون ، فهذا حيان ما ظاب منكم ؛
 وإن سأتهم الزيادة زدناكم ، ولا قوة إلا بالله ، ثم قال :

أنا كتابٌ على قلمٍ رد الكتاب بأرض المعجم
 ولم تنص ما فيه لما أتى ولعننا ندمٌ ولما نلّم
 ونحن ولادة على نفرنا نصيم العزيز ونحمي الذم
 نأقهم للوت عند اللقاء بكأس الناي ونشفي للقرم

(١) يريد بهم فريق البطاح ؛ وهم الذين يزلون بين أخشي مكة ؛ والأخشيان جبلان بها .

(٢) ب : د على غير حدث .

فصلى لاله على أحمد رسول المليك تمام النعم (١)
 رسول المليك ومن بعده حليفنا القاسم المدغم
 عليا عنيت وصي النبي تحالد عنه غواة الأمم
 له الفضل والشفيع والمكرمات وبيت النبوة لا يهتقم

قال نصر : فسر الناس بخطبة جرير وشعره .

وقال ابن الأزور القسري في جرير بمدحه بذلك :

لَمَرُّ أَيْبِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي لَقَدْ جَسَلِي بِحَظِّهِ حَرِيرٌ
 وَقَالَ مَقَالَةٌ جَدَعَتْ رِجَالًا مِنْ الْحُسَيْنِ حَطَبُهُمْ كَبِيرٌ
 جَدَا بِكَ قَبِيلُ أُمِّهِ عَلَى وَحُكِّكَ إِنْ رَدَدْتَ الْحَقَّ رِيرٌ (٢)
 أَنْتَكَ بِأَمْرِهِ زَخْرُ بْنُ قَلْبِشٍ وَزَخْرٌ هَالِكِي حَدَّثَتْ حَسِيرٌ
 فَكُنْتُ لِمَا أَنْتَكَ بِهِ لَيْعًا وَكُنْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَرَجٍ تَطِيرٌ
 فَأَتِ بِمَا سَعَيْتَ بِهِ وَلِي وَأَتِ لِمَا نَعَدَ لَهُ نَصِيرٌ
 وَأَحْرَرْتَ الثَّوَابَ وَرُبَّ حَادٍ حَدَا بِالرَّكْبِ لَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ (٣)

[بيعة الأشعث لعل]

قال نصر : (١) وكتب علي عليه السلام إلى الأشعث - وكان حامل عثمان على أذربيجان -

(١) لم يذكر هذا البيت في كتاب معين ، وذكره موسى :

طَعَنَانُمْ طَعْنَةً بِالْقَنَا وَصَرَبَ سُيُوفٍ نَطِيرُ النَّمِ
 مَصِينًا يَفِينَا عَلَى دِينِنَا وَدِينِ النَّبِيِّ مُحَلَّى الظُّلَمِ
 آمِينَ إِلَهِ الْوَبْرَهَانِ حَبِيفِنَا الْقَاسِمِ الْمَدَّامِ

(٢) يقال : مع رير : إذا كان فاسدا .

(٣) بعده وكتاب معين :

لَيْسَ لَكَ مَا سَبَقَتْ بِهِ رِجَالًا مِنْ الْمَيَاءِ وَالْفَضْلِ الْكَبِيرِ

(٤) وثمة صفي ٢١ .

عوء إلى البيعة والطاعة ، وكتب جرير بن عبد الله البجلي إلى الأشعث ، يحضه على طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقبول كتابه : أما بعد : فإني أتتني بيعة على ، فقبلتها ولم أجد إلى دفعها سبيلا ؛ لأني نظرت فيها غاب عني من أمر عثمان ، فلم أحده يلزمني ، وقد شهد المهاجرون والأنصار ؛ فكان أوفى أمرهم فيه الوقوف ؛ فاقبل بيعة ؛ فإنك لا تنقلب إلى خير منه ؛ واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة . والسلام .

قال نصر : قبل الأشعث البيعة ، وسمع وأطاع ، وأقبل جرير سائرا من ثغر همدان حتى ورد على عليه السلام الكوفة فبابه ، ودخل فيها دخل فيه الناس من ^(١) طاعته ولزوم أمره .

[دعوة على مساوية إلى البيعة والطاعة ، ورد معاوية عليه]

قال نصر : ^(٢) فلما أراد على عليه السلام أن يكتب إلى معاوية رسولا ، قال له جرير : استنق يا أمير المؤمنين إليه ؛ فإنه لم يزل لي مستغيثا ^(٣) وودا ^(٤) ، أتبه ^(٥) فأدعوه ؛ على أن يسلم لك هذا الأمر ، وبجاسك على الحق ، على أن يكون أميرا من أمرائك ، وعاملا من عمالك ، ما عمل مطاعة الله ، واتسع ما في كتاب الله ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ؛ فجلتهم قومي وأهل بلادي ، وقد رحوت ألا يصونني .

فقال له الأشعث : لا تبعته ولا تصدق ؛ فوافقه إلى لأظن هواه هوام ، وبيته نيتهم . فقال له على عليه السلام : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا . فبعثه على عليه السلام ، وقال له عليه السلام حين أراد أن يبعثه : إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الرأي والدين من قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله فيك :

(١) ب : د ق .

(٢) وثقة سبعين للمعري ٣٢ وما بعدها .

(٣) كذا في الأصول ، وروى صفين . « مستغيثا » .

(٤) ودا ، يضم الواو ؛ أي ذا ود ؛ على حذف الناصب .

(٥) كتاب صفين . « أتبه » .

« إنك من خير ذى يمن »^(١) ، أنت معاوية بكتانى ، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فانبيذ^(٢) إليه وأعلمه أنى لا أرضى به أميرا ، وأن المامة لا ترضى به خليفة .
فانطلق جرير حتى أتى الشام ، ونزل بمعاوية ، فلما دخل عليه سجد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد بمعاوية ، فإنه قد اجتمع لأن عمك أهل الحرمين ، وأهل البصرة ، وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروص - والعروض محمان - وأهل البحرين واليمامة ؛ فلم يبق إلا هذه الحصون التى أنت فيها ، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها ، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مائة هذا الرجل ودفع إليه كتاب على عليه السلام ، وفيه :

أما بعد ؛ فإن ييمى بالمدينة لزمك وأنت بالشام ، لأنه ييمى القوم الذين يبيعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما توبعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للعائب أن يرذ ؛ وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، إذا اجتمعوا على رجل فسوءه^(٣) إماما ، كان ذلك لله رضا ؛ فإن خرج من أسرم خارج نطق أو رجة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أتى قاتله على اتباع سبيل المؤمنين ، وولاه الله ماتولى ، وبصليبه جهنم وساءت مصيرا . وإن طلحة والزبير بإيماني ثم قضا ييمى ، فكانت قضا كرتها ، فجاهدتها على ذلك ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون . فدخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى فيك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء ، فإن تعرضت له فانتك ، واستعنت بالله عليك . وقد أكرت في قتله عثمان ، فدخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى أحلك

(١) أى من خير أهل اليمن .

(٢) فانبيذ إليه ؛ فى اللسان : « المائدة : أن يكون بين فريقين عتقين عهد وهدنة بعد القتال ؛ ثم أرادوا قس ذلك العهد ، لينبذ كل فريق سببا إلى صاحبه العهد الذى تهادتا عليه ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ كُلَّ سِوَاهِ ﴾ .

(٣) ب : « وسوءه » .

وليام على كتاب الله ؛ فأمانك التي تُريدها مُخدعة للصبي - عن النبي - ولعمري لنرطرت
بفلك دون هوائك ، لتجدي أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء^(١) الذين
لا يحل لهم الخلافة ، ولا ترض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك [وإلى من قبلك]^(٢)
جرير بن عبد الله البجلي ، وهو من أهل الإيمان والمهجرة ، فبايع ، ولا قوة إلا بالله .



فلما قرأ الكتاب ، قام جرير فخطب ، فقال :

الحمد لله الحمود بالموائد ، والأمين من الزوائد ، المرتجى منه الثواب ، للسمان على
النوائب ؛ أحده واستعينه في الأمور التي تميز دونها الألباب ، [وتضعل^(٣) عندها
الأسباب]^(٤) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء هالك إلا وجهه ،
له الحكم وإليه ترجعون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد فترة من الرسل
للاضية ، والقرون الخالية ، [والأبدان البالية ، والجليلة الطاغية]^(٥) ، فبلغ الرسالة ، وبصغ
للأمة ، وأدى الحق الذي استودعه الله ، وأمره بأدائه إلى أمته صلى الله عليه وسلم ، من
رسول ومبتعث ومتجيب^(٦) .

أيها الناس ؛ إن أمر عثمان قد أعيا من شهده ، فكيف بمن عاب عنه ! وإن الناس
بايعوا علياً غير واثق ولا متور ؛ وكان طلحة والزبير يمن بابعاة ثم نكثا بيمينه على غير
حدّث ، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل العتق ؛ [ألا وإن العرب لا تحتمل الفتن]^(٧) ،
وقد كانت بالبصرة أمس روعة ملعبة إن يشفع البلاء بمثلهما فلا بقاء للناس .

(١) الطلقاء : جمع طليق ؛ وهم الأسارى الذين أطلقهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة ولم يسرقهم .

(٢) نكثه من كتاب صفين .

(٣) التجب : للمطى المختار .

وقد بايعت الأمة^(١) علياً ، ولو ملّكنا والله الأمور^(٢) ، لم نختر لها غيره [ومن خالف هذا استعجب]^(٣) فادخل معاوية فيما دخل فيه الناس .

فإن قلت : استعملني عثمان ثم لم يعزلني ؛ فإن هذا قول لو جاز لم يقرّ لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه ؛ ولكن الله جعل للآخر من الولاة حقّ الأول ، وجعل الأمور موطاة ينسخ بعضها بعضاً

ثم قدم .



قال نصر : قتال معاوية : أنظر وتنظر ؛ واستطلع رأي أهل الشام .
فمضت أيام ، وأمر معاوية منادياً بنادي : الصلاة جامعة ! فلما اجتمع الناس صعد المنبر ، ثم قال :

الحمد لله الذي جعل الدعام للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برعاً ، يتوقّد قلبه في الأرض المقدّسة ؛ جعلها الله محلّ الأبياء والصلحاء من عباده ؛ فأحلهم أرض الشام^(١) ، ورضيهم لها ، ورضيها لهم ؛ لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه ، والقوام بأمره ، والذائبين عن دينه وحرّماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل الخيرات أعلاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم ألفة المؤمنين ، والله نستمع على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الانتقام ، وتباعد بعد التقرب . اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ، ويحيقون آمنا ، ويريدون إراقة^(٢) دماءنا ، وإحافة^(٣) حبلنا . وقد علم الله أن لا نريد لهم^(٤) عقاباً ، ولا نهيتك لهم حجاباً ، ولا نوطهم زلفاً ، غير أن الله الحيد كسانا

(١) صفين : « العامة » .

(٢) صفين : « أمورنا » . (٣) من صفين .

(٤) صفين : « فأحلها أهل الشام » .

(٥) صفين : « هراثة دماءنا » ، وهما بمعنى .

(٦) صفين : « لم نرد بهم عقاباً » .

من الكرامة ثوباً لن نزرعه طَوْحاً ؛ ما جازب الصّدّي ، وسقط الندي ، وعرف الهدى ؛
 حلهم على ذلك البنى والحد ، فتستعين الله عليهم . أيها الناس ، قد علمت أني خليفة أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم ، وأنّي لم أقم رجلا منكم على
 خراية^(١) قط ، وأنّي ولي عثمان ، وقد قُتل مظلوماً ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ
 مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا بُشْرَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾^(٢) ،
 وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم ، فأحابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبأيوه على ذلك ، وأوتقوا له
 على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم ؛ حتى يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله .
 قال نصر : فلما أسمى معاوية أقمّ عما هو فيه ، وجّه الليل وعنده أهل بيته ، فقال :

نَطَاوَلْ كَيْلٍ وَاعْتَرَضِي وَسَاوِييْ لَآتِ أَيْ مَالِ الثَّمَنَاتِ النَّكَاسِ^(٣)
 أَنَايِ جَرِيرٌ وَالْحَوَاثِ رَجِيَّةٌ كَيْفَ أَلْقَى فِيهَا اجْتِدَاعُ الْمَاطِسِ
 أَكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بِيَدِي وَبِيَنِي وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّنَى بِلَاسِ
 إِنِ الشَّامُ أُعْطِيَ طَعْدَةً بِمَنْيَةٍ تَوَاصَفَهَا أَشْيَاحُهَا فِي الْحَالِسِ
 فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمُ عَلَيْهَا بِجَهَةٍ تَفْتُ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَبَاسِ
 وَإِنِّي لِأَرْحُو حَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْمَرَاقِ بَاسِ^(٤)

قلت : الجبهة هاهنا : الحيل ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله : « ليس في الجبهة
 صدقة » ، أي زكاة .

• • •

(١) لطمهم على الخراية ؛ أي حلهم على أمر يستحي منه .

(٢) سورة الإسراء : ٣٣ .

(٣) الباس : الأمور الباطلة . والآيات والخبر في الكامل ١ : ٣٢٦ .

(٤) الكامل : « يالئ » .

قال نصر : فاستعته^(١) جرير بالبيعة ، فقال : يا جرير ؛ إنها ليست بخلسة ، وإنه أمر له ما بعده ؛ فأبلى ربي [حتى أنظر]^(٢) ، ودعا ثقاته^(٣) ؛ فأشار عليه أخوه بسرو ابن العاص ، وقال له : إنه من قد عرفت ، وقد اعتزل عثمان في حياته ؛ وهو لأمر أشد اعتزالا إلا أن يثنى له دينه^(٤) .

وقد ذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه عمرأ ، وما شرط له من ولاية مصر ، واستقدامه شرحبيل بن السمط رئيس الميمنية وشيخها ولقدّم عليها ، وتأسيس الرجال إليه يفرونه بعلّ عليه السلام ، وبشهود عنده أنه قتل عثمان ، حتى ملثوا صدره وقلبه حقدًا وتيرة وإحنة قلّ على عليه السلام وأصحابه مما لا حاجة إلى إعادته^(٥) .

• • •

قال نصر : حدثني محمد بن عبيد الله عن الخرجاني ، قال :
(٥) جاء شرحبيل إلى حصين بن عكر ، فقال : ابعت إلى جرير فليأتنا ، فبعت حصين ابن عكر إلى جرير : أن زرنا فعندنا شرحبيل ، فاجتمعوا عند حصين ، فتكلم شرحبيل ،

(١) وفاة صفين ٢١٩

(٢) من كتاب وفاة صفين

(٣ - ٤) وفاة صفين : « فقال له عتبة بن أبي سفيان وكان نظيره - : احتس على هذا الأمر بسرو ابن العاص ، وأمن له دينه ؛ فإنه من قد عرفت ، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته ؛ وهو لأمر أشد اعتزالا إلا أن يرى فرصة » .

(٤) الجزء الثاني في ص ٦٩ وما بعدها .

(٥) صدر هذا الخبر كما ورد في كتاب وفاة صفين ٥٢ : « لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه ، ودخل على معاوية ؛ فتكلم معاوية لعبد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا شرحبيل ؛ إن جرير بن عبد الله يدعوكم إلى بيعة على ، وعلى خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان ، وقد حبست نفسي عليك ؛ وإنما أنا رجل من أهل الشام ، أرضى ما رضوا ، وأكره ما كرموا ؛ فقال شرحبيل : أخرج فأنظر ؛ فخرج فلقبه هؤلاء النفر للوطنية ؛ فكلهم يحرمه بأن عليا قتل عثمان بن عفان . فخرج مضيا إلى معاوية فقال : يا معاوية ؛ أرى الناس إلا أن عليا قتل عثمان ؛ وواقف لمن يابست لتخرجك من الشام أو لتقتلك . قال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ؛ وما أنا إلا رجل أهل الشام . قال : فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذا قال ، فصرف معاوية أن شرحبيل قد غلظت بصرته في حرب أهل العراق ؛ وأن الشام كله مع شرحبيل ؛ فخرج شرحبيل فأتى حصين بن عكر ... » ؛ وقد تطلب المؤلف مختصرا في السابق في الجزء الثاني ص ٥٦-٥٣ .

فقال : يا حرير أتيتنا بأمر ملفف^(١) لِنُلْقِيَنَّ فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَخْلِطَ الشَّامَ بِالْعِرَاقِ ، وَأَطْرَيْتَ^(٢) عَلِيًّا ، وَهُوَ قَاتِلُ عَمَّانَ ، وَاللَّهِ سَائِلُكَ عَمَّا قَتَلْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ وَقَالَ : يَا شَرْحَبِيلَ ، أَمَا قَوْلُكَ : إِنِّي حِثْتُ بِأَمْرِ مَلْفَفٍ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ مَلْفَقًا وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمَهَاحِرُونَ وَالْأَعْيَارُ ، وَقُوتِلَ عَلَى رَدِّهِ طَلْعَةُ وَالزُّبَيْرُ ؟
وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنِّي أَلْقَيْتُكَ فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ ، فَفِي لَهَوَاتِهَا أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ .
وَأَمَّا خَلَطُ أَهْلِ الشَّامِ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَخَطَطُهَا عَلَى حَقِّ خَيْرٍ مِنْ فُرْقَتِهَا عَلَى بَاطِلٍ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عَمَّانَ ، فَوَاللَّهِ مَا فِي بَدَنِكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْقَذْفُ بِالْعَيْبِ مِنْ مَكَانٍ نَمِيدٍ ؛ وَلَسَكَ كَمِثْلِكَ مِثْلٌ إِلَى اللَّهِ يَا وَشِيءٌ . كَانَ فِي نَفْسِكَ عَلَى زَمَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

فَمَلَخَ مَا قَالَاهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَحَبِثَ إِلَى حَرِيرٍ فَرَجَرَهُ ، وَقَالَ نَصْرٌ : وَكُتِبَ إِلَى شَرْحَبِيلَ كِتَابٌ لَا يَبْرُفُ كَاتِبُهُ^(٣) فِيهِ :

شَرْحَبِيلُ ابْنُ السُّمَطِ : لَا تَنْتَبِعِ الْهَوَى	فَالِقُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ مِنْ بَدَلٍ
وَلَا تَكُ كَالْمُجْرِي إِلَى شَرٍّ غَابَةٍ	هَقْدُ خُرْقٍ لِلشَّرِّ بَالٍ وَاسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ
وَقُلْ لِبَنِ حَرْبٍ : مَا لَكَ الْيَوْمَ خَلَّةٌ	تَرُومُ بِهَا مَا رُمْتَ وَاقْطَعِ لَهُ الْأَمَلَ ^(٤)
شَرْحَبِيلُ : إِنَّ الْحَقَّ قَدْ حَدَّ جِدُّهُ	مَسْكُنٌ فِيهِ مَأْمُونٌ الْأَدِيمُ مِنَ النَّفْلِ
وَأَرُودٌ وَلَا تُفْرِطْ بِشَيْءٍ نَخَسَهُ	عَلَيْكَ ، وَلَا تَعْجَلْ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعَجَلِ ^(٥)

(١) أي جلب من هنا وهناك .

(٢) صغين : « أطرايت » ، وهما بمعنى : « مدحت » .

(٣) وثقة صغين : « وكتب جرير إلى شرحبيل » .

(٤) وثقة صغين : « مالك اليوم حرمة . . . » والقطع .

(٥) الإدوارد : الإمهال ، والفرط : التسرع .

مَقَالُ ابْنِ هَدِيرٍ فِي عَلَى عَضِيْبَةٍ وَقَدْ فِي صَدْرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَجَلٌ^(١)
وَمَا مِنْ عَلَى فِي ابْنِ عَضَانَ سَقَطَةٌ بِقَوْلٍ ، وَلَا مَالًا عَلَيْهِ وَلَا قَتْلٌ^(٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا لَزِمًا قَرَرَتْ بَيْتُهُ إِلَى أَنْ أُنِيَ عَمَّانَ فِي دَارِهِ الْأَجَلُ
فَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا غِيبُهُ مِنَ الزُّرُورِ وَالْبُهْتَانِ نَعَضُ الَّذِي احْتَمَلُ^(٣)
وَصِيَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَمَنْ بِاسْمِهِ فِي فَصْلِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
قَالَ نَعْرُ: فَلَمَّا قَرَأَ شُرَحْبِيلُ الْكِتَابَ ذَمِيرَ وَفَكْرًا ، وَقَالَ: هَذِهِ نَصِيحَةٌ لِي فِي دِينِي ،
وَلَا وَاللَّهِ لَا أَعْجَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْءًا [وَفِي نَفْسِي مِنْهُ حَاجَةٌ]^(٤) ، وَكَادَ^(٥) يَهْوِلُ عَنْ نَعْرِ
مَعَاوِيَةَ وَيُقَوِّفُ^(٦) ، فَلَقِيَ^(٧) لَهُ مَعَاوِيَةَ الرِّجَالُ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيَخْرُجُونَ ، وَيُعْطَمُونَ عِنْدَهُ قَتْلَ
عَمَّانَ ، وَيَرْمُونَ بِهِ عَلِيًّا ، وَيَقِيمُونَ الشَّهَادَةَ الْبَاطِلَةَ ، وَالْكِتَابَ الْخَطْلَقَةَ ؛ حَتَّى أَعَادُوا
رَأْيَهُ ، وَشَعَنُوا عَمَّهُ^(٨) .



- (١) العَضِيْبَةُ : الْإِنَّاكُ وَالْبَهَانُ . وَفِي مَدِّ : وَفِي ابْنِ هَدِيرٍ : وَالْوَجْهَ مَلَأَتْهُ مِنْ ج .
(٢) مَالًا عَلَيْهِ ، أَيْ : مَالًا . بِالْمَعْنَى : وَالْمَلَأَةُ : لَعَاوَةٌ . وَفِي صَفِيحٍ : « وَلَا جَلْبَ عَلَيْهِ » .
(٣) فِي صَفِيحٍ :

• مِنَ الزُّرُورِ وَالْبُهْتَانِ قَوْلُ الَّذِي احْتَمَلُ •

- (١) مِنْ كِتَابِ وَفْقَةِ صَفِيحٍ .
(٢) « . » فِي وَفْقَةِ صَفِيحٍ : « وَاسْتَرْقَاهُ الْقَوْمُ » .
(٣) كَذَا فِي ج ، وَفِي أ ، ب ، « لِقَوْلِهِ » نَصِيحَةٍ ، وَفِي صَفِيحٍ : « مَلَفٌ » .
(٤) بَقِيَّةُ الْمُبَرِّ فِي كِتَابِ كِتَابِ وَفْقَةِ صَفِيحٍ : « وَبَلَغَ ذَلِكَ قَوْمَهُ ، فَبِثَّ ابْنُ أَخِيهِ مِنْ بَارِقٍ - وَكَانَ
يَرَى رَأْيَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - فَبَايَعَهُ بِهِ ، وَكَانَ مِنْ خَلْقِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانَ نَاسِكًا ، فَقَالَ :
- لَعَمْرُ أَبِي الْأَشَقِّ ابْنِ هَدِيرٍ قَدَرَمِي شُرَحْبِيلَ بِالسَّهْمِ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
وَلَقَفَتْ قَوْمًا يَسْعَبُونَ ذُبُولَهُمْ جَمِيعًا وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالذَّنْبِ طَاعِلُهُ
قَالَتِي يَمِينًا ضَمِيمًا مَخَافُهُ إِلَى كُلِّ مَا يَهْوُونَ تَحْدَى رَوَاحِلُهُ
فَطَاطَا لَهَا لَهَا رَمَوْهُ بِشَقَايَا وَلَا يَرْزُقُ النُّقُوى مِنَ اللَّهِ خَاذِلُهُ =
- (٦ - هج - ٣)

قال نصر : وحدثنا^(١) عمر بن سعد بإسناده قال :^(٢) بعث معاوية إلى شُرَحْبِيل ابن السمط :

إنه قد كان من إجابتك إلى الحق ، وما وقع فيه أجرُك على الله ، وقبِلَه عنك صلحاء الناس ما علمت ؛ وإن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يتم إلا برضا العامة ، فيرتضى مدائن الشام ، ونادٍ فيهم بأن علياً قتل عثمان ، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه . فسار شُرَحْبِيل ، فبدأ بأهل حمص ، فقام فيهم خطيباً - وكان مأموراً في أهل الشام ناسكاً متأنهاً ، فقال :

أيها الناس ، إن علياً قتل عثمان ، فمضيت له قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ، فلقبهم فهرم الجمع ، وقتل صلحاءهم وعلم على الأرض ، فلم يبق إلا الشام ؛ وهو واضع سيفه على عاتقه ، ثم خاض غمرات^(٣) الموت ، حتى باتهمكم أو يحدث الله أمراً ، ولا نخذ أحداً أقوى على قتاله من معاوية ، فخذوا وأمهضوا .

فأجابته الناس كلهم إلا ناسكاً من أهل حمص ؛ فإنهم قالوا له : بيوتنا قبورنا ومساجدنا ، وأنت أعلم بما ترى .

قال : وجعل شُرَحْبِيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها ، لا يأتي على قوم إلا قبلوا

ليأكل ريباً لابن هذيل بدنيه ألا وابن هذيل قبل ذلك آكله
وقالوا على في ابن عفان خدعة ودبت إليه بالشنان غوائله
ولا والذي أرمى ثبيراً مكانه لقد كفت عنه كفه ووسائله
وما كنت إلا من صاحب محمد وكنتهم تغلي عليه مراجيله

فلما بلغ شُرَحْبِيل هذا القول قال : هذا بيت البيطان ؛ الآن امتحن الله قلبي ؛ وانه لأسيرين صاحب هذا الشعر أو ليفوتني ؛ فهرب الفتي إلى الكوفة - وكان أمه معها - وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

(١) صفين ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) في صفين : « محمد بن حبيب الله وعمر بن سعد بإسناده ، قال » .

(٣) صفين : « غمار الموت » .

ما أتاهم به ، فبعث إليه النجاشي بن الحارث^(١) - وكان له صديقا :

شُرَحْبِيلُ مَالِدِ بْنِ فَارَقَةَ دِينَنَا^(٢) وَلَكِنْ لِبَعْضِ الْمَالِكِيِّ جَرِيرٍ
وَشَعَفَاءَ دَبَّتْ بَيْنَ سَعْدٍ وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَتْ كَالْحَادِي بِصِيرٍ بِصِيرٍ
[وَمَا أَتَ إِذْ كَانَتْ مَحْمِلَةً عَانِبَتْ قَرِيبًا فَيَاقُفُ بُعْدَ نَصِيرٍ]^(٣)
أَتَفَصِّلُ أَمْرًا غَبَّتْ عَنْهُ شَهْرٌ وَقَدْ حَارَفِيهِ عَقْلُ كُلِّ بَصِيرٍ
بِقَوْلِ رَجَالٍ لَمْ يَكُونُوا أُمَّةً وَلَا لَقِيَ لِقَوَّكَهَا بِمَضُورٍ
[وَمَا قَوْلُ قَوْمٍ عَانِبِينَ تَقَاذَفُوا مِنْ الْعِيبِ مَا دَلَّاهُمْ بِرُورٍ]^(٤)
وَتَرَكْ أَنْ النَّاسَ أَعْطَوْا عَهْدَهُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْسٍ بِهِ وَسُرُورٍ
إِذَا قِيلَ هَاتُوا وَاحِدًا يَمْتَدِي بِهِ^(٥) نَظِيرًا لَهُ لَمْ يَنْصَحُوا بِنَظِيرٍ
لَكَ أَنْ تَتَّقِيَ الْمَدَاءَ مَحْمِلَةً قَلْبِي الَّذِي قَدْ جُمِعَ بِصَنِيرٍ

قال نصر: وحدثنا^(٦) عمر بن سعد عن ثُمث بن وهلة عن الشعبي، أن شُرَحْبِيلَ بْنَ السُّطِّ
ابن الأسود بن جَبَلَةَ [الكندي]^(٧) دخل على معاوية ، فقال له: أنت عامل أمير المؤمنين
وابن عمه ، ونحن المؤمنون ، فإن كنت رجلا تُعَاهِدُ عَلِيًّا وَتَقْتُلُهُ عِمَانُ حَقِّي نَدْرِكَ ثَارَنَا
أَوْ تَذْهَبُ أَرْوَاحُنَا اسْتِمْلَانًاكَ عَلِيًّا ؛ وَلَا هَذَا لَكَ وَاسْتَمْلَانًاكَ غَيْرَكَ مِنْ نَرِيدٍ ، ثُمَّ جَاهَدْنَا
مَعَهُ حَقِّي نَدْرِكَ بِدَمِ عِمَانٍ أَوْ نَهْلِكَ .

فقال جرير بن عبد الله - وكان حاضرا : مهلاً يا شُرَحْبِيلُ ؛ فإن الله قد حَقَّنَ الدَّمَاءَ ،
وَلَمْ يَلْمِ الشُّعْثَ ، وَجَمَعَ أَمْرَ الْأُمَّةِ ، وَدَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَكُونٌ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تُقِيدَ بَيْنَ النَّاسِ ،

(١) في حواشي صفين : « وللعروف في شعرائهم النجاشي الحارثي ؛ واسمه ليس بن عمرو بن مالك ؛
من بني الحارث بن كعب ؛ وهو ممن حده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لصرية الخمر » .

(٢) وقعة صفين : « أمرنا » .

(٣) من كتاب وقعة صفين .

(٤) وقعة صفين ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) وقعة صفين : « تقذونه » .

وَأَمْسِكَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَبْلَ أَنْ يَشِيْعَ وَيُظْهَرَ عَنْكَ قَوْلٌ لَا تَسْتَطِيعُ رَدُّهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْرَهُ أَبَدًا . ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : صَدَقَ صَدَقَ ! الْقَوْلُ مَا قَالَ ، وَالرَّأْيُ مَا رَأَى . فَأَبَسَ جَرِيرٌ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَمِنْ هَوَامِ أَهْلِ الشَّامِ .

■ ■ ■

قَالَ نَصْرٌ : ^(١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْجُرْجَانِيِّ ، قَالَ : كَانَ مَعَاوِيَةُ قَدْ أَتَى جَرِيرًا قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا جَرِيرُ ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا ، قَالَ : هَاتِهِ ، قَالَ : أَكْتُبُ إِلَى صَاحِبِكَ يَحْمِلُنِي إِلَى الشَّامِ وَمَعْرُجِيَّةً ، فَإِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ فِي عُنُقِي بَيْعَةً ، وَأَسْلَمَ لَهُ هَذَا الْأَمْرُ ؛ وَأَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ جَرِيرٌ : أَكْتُبْ مَا أَرَدْتَ أَكْتُبْ مِنْكَ ^(٢) .

فَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَكُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَرِيرٍ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِي فِي حَقِّهِ بَيْعَةٌ ، وَأَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَّتَكَ وَيُبَيِّنْتَكَ حَقِّي بِذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ ؛ وَإِنَّ الْمَبْرَةَ بَيْنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلِيٌّ أَنْ أَسْتَمْلَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ ، وَأَنَا حَمِيْدٌ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَيَّتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَفْقَهُ لِي أَنَا أَعْزِزُ الْمُضِلِّينَ عَصْدَاءَ ، فَإِنْ بَايَعَكَ الرَّجُلُ ؛ وَإِلَّا فَأَقْبِلِ وَالسَّلَامَ .

● ● ●

قَالَ نَصْرٌ : وَفَشَا ^(٣) كِتَابُ مَعَاوِيَةَ فِي الْعَرَبِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ :
مَعَاوِيَةُ إِنَّ الشَّامَ شَامُكَ فَاعْتَصِمْ بِشَامِكَ لَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْأَقَاعِيَا
وَحَامَ عَلَيْهِمُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَاقِنِ وَلَا تَكُ مَوْهُونُ الدَّرَاعِينَ وَإِنِّيَا ^(٤)
وَأَنْتَ عَلِيٌّ نَظَرْتُ مَا تَجِبُهُ فَأَهْدِرْ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا

(١) وثقة صفح ٥٨ .

(٢) صفح ٥٨ : أَكْتُبْ مَا أَرَدْتَ وَأَكْتُبْ مِنْكَ .

(٣) صفح ٥٩ ، ١٠ .

(٤) صفح ٥٨ : بِالْقَابِلِ . . . عَشُوشِ الدَّرَاعِينَ .

وَأَلْفَلَمْ إِنِّ فِي السَّلَامِ رَاحَةً
وَأَنَّ كِتَابًا بَابَ حَرْبٍ كَتَبْتَهُ
سَأَلْتَ عَلِيًّا فِيهِ مَا لَنْ تَنَالَهُ
وَسَوْفَ تَرَى مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ بِهَا
أَيْثَلٌ عَلَى تَعْرِيه مُنْذَرَةٌ
قَالَ : وَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ إِلَى معاوية أَيْضًا بِوَفْظَةِ وَبَشِيرٍ عَلَيْهِ بِالْحَرْبِ ، وَالْأَيْكَبِ

جواب جرير :

معاوية إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ جُبَّ غَارِبَةٌ
أَنَّكَ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ بِمُخْطَرَةٍ
فَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَاتِرِينَ مَوْتَةً
وَحَارِبَةٌ إِنْ حَارَبْتَ حَرْبَ ابْنِ حَرَّةٍ
فَإِنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ سَاحِبٌ مِنْكَ
[وَلَا قَابِلٌ مَا لَا يَرِيدُ وَهَذِهِ
فَلَا تَدَّعْنِ لِلْأَمْرِ مُقْبِلٌ
فَإِنْ كُنْتَ تَوَرَّى أَنْ يُجِيبَ كِتَابَهُ
وَإِنْ كُنْتَ تَنْوِي أَنْ تَرُدَّ كِتَابَهُ
فَأَلْقِ إِلَى الْحَيِّ الْيَمَانِينَ كَلِمَةً
تَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ
أَفَانِينَ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَتُحْرَضُ
وَأَنْتَ بِمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ سَاحِبُهُ
هِيَ الْفَضْلُ فَاحْتَرِئْ لَهُ أَوْ تُحَارِبُهُ
وَلَا تَأْمَنْ الْيَوْمَ الَّذِي أَسْتَرَاهُ
وَالْأَفْئِمُ لَا تَدْبُ حَقَارِيَهُ (١)
عَلَى مُنْذَرَةٍ مَا سَوْفَ الْمَاءُ شَارِبُهُ
بِقَوْمٍ بِهَا يَوْمًا عَلَيْهِ نَوَادِيهِ (٢)
وَتَطْلُبُ مَا أُعِيَتْ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ (٣)
فَقُبَّحَ تَمْلِيهِ وَقُبَّحَ كَاتِبُهُ
وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مَحَلَّةَ رَاكِبُهُ
تَنَالُ بِهَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
عَدُوٌّ وَمَالِئٌ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
بَلَا تَرَوْهُ كَانَتْ ، وَآخِرُ مَالِيَهُ

(١) ب : « حَرَابُ حَرَّة » ، والصواب ما أتته من أ ، ج وكتاب صبي .

(٢) من كتاب صبي .

(٣) ب : « عليه » ، والصواب ما أتته من ج وصبي .

وكنتم أميراً قبل بالشام فيكم فحسبي وإياكم من الحق واجبة
فجئوا ، ومن أرسى ثبيراً مكانه ندافع بجرأ لا ترد غوارية^(١)
فأقلل وأكثرت مالها اليوم صاحب سواك ، فصرح لست ممن ثوارية

قال نصر : وخرج^(٢) جرير يوماً يشجس الأخبار ؛ فإذا هو بفلام يتحنى على قوده ،
هو يقول :

حكيمٌ وعَمَارُ الشَّعَا وعَمْدٌ واشتروا الكشوح جرثوا الله وإهياً^(٣)
وقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزُّبَيْرِ تَهْجَاةٌ وصاحبه الأدنى أناروا الدواهيا^(٤)
فأما على فاستجار بيته فلا أمرٌ فيها ولم يكُ ناهياً
فَقُلْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَا شِئْتَ بَعْدَهُ فقلت : أخطأ الناسُ لم تكُ خاطياً
وإن قلت : ثم القومُ فيه إغثَةٌ كسبتك من ذاك الذي كان كافياً
فَقُولَا لِأَصْحَابِ اللَّهِ عَمِيدٌ وخُصَا الرِّجَالِ الْأَقْرَبِينَ الْأَذَانِيَا :
أَبْقَلُ عُمَانِ بْنِ عَفَانَ بَيْنَكُمْ على غير شيء ليس إلا تسامياً
فلا نومَ حتى نستريحَ حرِّ بَيْنَكُمْ ونغضبَ من أهلِ الشَّنَارِ الْعَوَالِيَا

قال جرير : يا بن أحمى ، من أنت ؟ قال : غلام من قريش ، وأصل من ثقيف ،
أنا ابن للغيرة بن الأخنس بن شريق ، قُتِلَ أبى مع عثمان يوم الدار . فمجب جرير

(١) كذا في ج ، وصفي و في ا ، ب : « تجبوا » ؛ والثوارب : أعالي اللوج .

(٢) وقعة سنين ٦٠ .

(٣) حكيم بن جبلة بن حسن السدي ، كان عبيد بنه إلى السد ؛ ثم نزل البصرة ، وقتل بها يوم
الجل . وعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ؛ والأشتر : مالك بن الحارث . والكشوح الرادى ،
واسمه عبيدة بن هلال ، ونسبه في جبلة .

(٤) سنين : « أهلب التواميا » .

من شعره وقوله ، وكتب بذلك إلى علي عليه السلام ، فقال علي : والله ما أخطأ
الغلام شيئاً .

قال نصر : ^(١) وفي حديث صالح بن صدقة ، قال : أبطأ جريرٌ عند معاوية حتى أتته
الناس ، وقال علي عليه السلام : قد وقت جرير وقتاً لا يُقيم بعده إلا مخدوماً أو عاصياً ،
وأبطأ علي علي حتى أيس منه .

قال : وفي حديث محمد وصالح بن صدقة ، قال : فكتب علي عليه السلام إلى
جرير بعد ذلك :

إذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على العجل ؛ ثم خيره وخذه بالجواب بين حرب
ومحزبة ^(٢) أو سلم مخطية ، فإن احتار الحرب فابذر إليه ، وإن اختار السلم نخذ بيته .
والسلام .

قال : فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية ، فقرأه الكتاب ، وقال له :
يا معاوية ، إنه لا يطعم علي قلب إلا بدنب ، ولا يُشرح صدر إلا بتوبة ، ولا أعلن
قلبك إلا مطبوخاً عليه ، أراك قد وقفت بين الحق والباطل ، كأنك تنتظر شيئاً في
يد غيرك .

فقال معاوية : أفتاك بالفصل ^(٣) في أول مجلس إن شاء الله .
فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم ، قال : يا جرير الحق بصاحبك ، وكتب
إليه بالحرب ، وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل :
أرى الشام تكثر أهل العراق وأهل العراق لهم كارهونا

(١) وقعة صين ٦١ .

(٢) صين : ٥ مجلة .

(٣) صين : ٥ بالفصل .

وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم .

• • •

وقال أبو العباس محمد بن يزيد اللبزدى في كتاب "الكامل" ^(١) : إن علياً عليه السلام لما أراد أن يبعث جريراً إلى معاوية ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أذخرك من نصرتي شيئاً ، وما أطعم لك في معاوية . فقال علي عليه السلام : إنما قصدى حجة أقيمها [عليه] . ^(٢) فلما أتى جرير معاوية دافعه بالبيعة ، فقال له جرير : إن المناق لا يصلح حتى لا يحد من الصلاة نداء . فقال معاوية : إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبن ، فأبلغني ريق ^(٣) ، إنه أمر له ما بعده .

قال : وكتب مع جرير إلى علي عليه السلام جواباً عن كتابه إليه : من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب : أهل بعد قلمري لو بأبيك القوم الذين بأبيك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ؛ ولست أكره أن أقرئت بعثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك ؛ حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، ولعمري ^(٤) ليس حبيبك علي كعجبتك على طلحة ^(٥) والزيير ، لأنها بأبيك ولم بأبيك ، وما حجتك على أهل الشام كعجبتك على أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يملئوك أهل الشام . فأما شرك في الإسلام ، وفراجتك من النبي صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش ، فليست أدفعه .

(١) الكامل ٣ : ٢٠٩ وما بعدها - بشرح الرضى ؛ مع تصرف في الخبر .

(٢) من كتاب الكامل .

(٣) أي أنظرني بمقدار ما أبلغ ريق .

(٤ - ٥) الكامل : « ما حجتك على كعجبتك على طلحة . . . » .

ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله :
أَرَى الشَّامَ تَكْرَهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَمْ يَكْرِهُوا

•••

قال أبو العباس للبرد^(١) رحمه الله تعالى : ^(٢) فكتب إليه علي عليه السلام جوابا عن كتابه هذا :

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صفير بن حرب^(٣) :
أما بعد ؛ فإنه أتاني منك كتابٌ امرى ليس له بصَرٌّ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ،
دعاه الهوى فأجابه ؛ وقاده الضلال فاتبعه ، زمتَ أنك إنما أفتد عليك يَمِيقَ خطيئتي
في عَمَانٍ ، ولمَ تَرى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين ، أوردتُ كما أوردوا ، وأصدرتُ
كما أصدروا ؛ وما كان الله ليجمعهم قُلُ الضلال ، ولا ليضربهم بالمعنى . وبعد ، فما أنت
وعثمان ! إنما أنت رجل من بني أمية ، وهو عثمان أولي بمطالبة دمه ، فإن زمتَ أنك
أقوى قُلُ ذلك ، فادْخُلْ فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى . وأما تحبيرك بينك
وبين طلحة والزبير ، وبين أهل الشام وأهل البصرة ، فلمعري ما الأمرُ فيما هناك
إلا سواء ؛ لأنها يمة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر . وأما شرفي
في الإسلام وقرايتي من رسول الله صلى الله عليه ، وموضي من قریش ، فلمعري لو استطعت
دفعه لدفعته .

قال : ثم دعا النجاشي^(٤) ، أحد بني الحارث بن كعب ، فقال له : إن ابن حُجَيل شاعرُ
أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجِبْ الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أسمعني قوله ،
قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، ثم أسمع ، فقال النجاشي يحميه :

(١) في الكامل ٣ : ٢٢٤ - بشرح الرصی ؛ وذكره للفری في كتاب صبح ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) في الكامل : فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذا الرسالة :
بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صفير .

دَعَا يَا مُعَاوِيَةَ مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا نَحْذَرُونَا
أَنَا كَمْ عَلَى بَآهِلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا ^(١)
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ خَيْفَانَةٌ وَأَشْمَتَ نَهْدٍ بِسُرِّ الْعُيُونَا ^(٢)
عَلَيْهَا فَوَارِسُ عَشْبَةِ كَأْسِدِ الْأَمْرِينِ تَحِينُ الْعَرَبِنَا
يَرَوْنَ الطُّغْمَانَ خِلَالَ الْعَجَاجِ وَصَرَبِ الْفَوَارِسِ فِي النَّقْعِ دِينَا ^(٣)
هُمْ هَزَمُوا الْجَمْعَ نَحْمَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَالْمُعَشَرَ النَّا كِثِينَا
وَأَلَوْا بِمَيْدَا عَلَى حَنْفَةٍ لِنَهْدِي إِلَى الشَّامِ حَرْبًا زَمُونَا ^(٤)
تَشِيبُ النَّوَاهِدَ قَلَّ الشَّيْبِ وَتُسْقِي الْحَوَامِلُ مِنْهَا الْجَنِينَا ^(٥)
فَارْتَكِرُوا الْمَلِكَ مُلْكَ الْعِرَاقِ فَقَدْ رَضِيَ الْقَوْمُ مَا كَرِهُونَا
فَقَسَلَ لِلْمَعْلَمِ مِنْ وَائِلٍ وَمَنْ جَمَلَ أَلَمْتُ بُونَا سَحِينَا
جَمَلْتُمْ عَلَيْنَا وَأَشْيَاعَهُ نَطِيرُ ابْنِ هِنْدٍ ، أَمَا نَسْتَعُونَا
إِلَى أَفْضَلِ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ وَصِنُو الرَّسُولِ مِنَ الْعَالِينَا
وَصِيهِرِ الرَّسُولَ وَمَنْ مِثْلُهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ يُشِيبُ الْقُرُونَا

قلت : آيات كعب بن جعيل خير من هذه الآيات ، وأخبت مقصدا
وأدهى وأحسن .

وزاد نصر بن مزاحم في هذه الرسالة بعد قوله : « ولا ليضربهم بالعصى » :
« وما ألبت ^(٦) فتلزمني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فيحب علي القصاص . وأما قولك إن

(١) لم يذكر اللد في السكامل سوى الجين الأولين ، وقال : « وبعد هذا ما نملك منه » .
(٢) الجرداء : القرس القصيرة الشعر . والخيفانة : الخيفة الوفاة . والتهد من الخيل : الجسيم للفرس
(٣) النقع : الزراب .
(٤) صفين : « وظلوا » . والإيلاد : الجلف .
(٥) صفين : « تشيب النواهد » .
(٦) ما ألبت ، أي ما حرضت . ولي صفين : « وما أمرت » .

أهل الشام هم الحكماء قتل أهل الحجاز ، فهت رجلاً من أهل الشام يقبل في الشورى ، أو تحمل له الخلافة ، فإن زعمت ذلك كذبتك المهاجرون والأنصار ؛ وإلا أتيتك به من قريش الحجاز . وأما ولوعك بي في أمر عثمان ، فاقلت ذلك عن حق العيان ، ولا يقين الخبر^(١) .

وهذه الزيادة التي ذكرها نصر بن مزاحم تقتضي أنه كان في كتاب معاوية إليه عليه السلام أن أهل الشام هم الحكماء قتل أهل الحجاز ؛ وما وحدنا هذا الكلام في كتابه .

• • •

[أخبار متفرقة]

وروى نصر بن مزاحم ، قال : لم^(٢) قتل عثمان صرمت الركب إلى الشام قتله ، فبينما معاوية يوماً إذا أقبل رجل متلفع ، فكشف عن وجهه ، وقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، أعرفني ؟ قال : نعم ؛ أنت الحجاج بن حريمة بن النصة ، فأين تريد ؟ قال إليك القرآن ، نعى ابن عفان ، ثم قال :

إن بي عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم عذر كذب
وأنت أولى الناس بالوئب قيت وأعصب معاوى للإله واخسب
وسير بسا سير الجربير المتشب واسهس بأهل الشام ترشد وتصب
• ثم اهزُر الصعدة للشأس الشعب^(٣) •

قال : يعنى عليا عليه السلام .

قلت : للتشب المسقيم للطرْد ، يقال : هذا قياس متشب ، أى مستمر مطرد .

(٢) وقعة معين ٨٦ ، ٨٧ .

(١) الخبر : العلم .

(٢) الصعدة ، بالفتح : القاة / السنوية .

ويقال : مكان شأس ، أى غليظ حلب . والشغب : المطيح للشر ، ومن رواء : « الشاسى »
بالياء فأصله « الشاسى » بالصاد ؛ وهو للترقع ، يقال : شعا السحاب إذا ارتفع ، فأبدل
الصاد سيناً ، ومراده هنا نسبة على عليه السلام إلى التيه والترقع عن الناس .

قال نصر : فقال له معاوية : أفيك مَمْز ؟ فقال : نعم ، فقال أخبر الناس ، فقال
الحجاج : يا أمير المؤمنين - ولم يخاطب معاوية بـ « أمير المؤمنين » قبلها - إني كنتُ فِيمَن
خرج مع يزيد بن أسد القسري ، منينا لعثمان ، فقدمتُ أنا وزفر بن الحارث ، فلقينَا
رجلاً زعم أنه يَمَن قتل عثمان ، فقتلناه ؛ وإني أخبرك يا أمير المؤمنين أملك لتقوى على
على بدون ما يقوى به عليك ؛ لأنّ معك قوما لا يقولون إذا قلت ، ولا يسألون إذا أمرت ؛
وإن مع على قوما يقولون إذا قال ، ويسألون إذا أمر ؛ قليلٌ ممن معك خيرٌ من كثيرٍ من
معه . واعلم أنه لا يرضى على إلا بالرضا ، وأنّ رضا سخطك ، ولستَ وعلى سواء ؛ على
لا يرضى بالعراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق .

قال نصر : فضاق معاوية صدرًا بما أتاه ، وتذمّر على خذلان عثمان ^(١) وقال :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِنَفْسٍ غَمَةٌ	وَفِيهِ مَكَاةٌ لِلْعُمُودِ طَوِيلُ
وَفِيهِ فَنَاءٌ شَامِلٌ وَخَزَايَةٌ	وَفِيهِ اجْدَاعٌ لِلْأَنْوِفِ أَصِيلُ
مَصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَةٌ ^(٢)	تَسْكَادُهَا صَمٌّ الْجِبَالِ تَزُولُ
فَقَدْ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَاقِ	أَصِيبَ بِلَا ذَنْبٍ وَذَلِكَ جَلِيلُ
تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالدِّينَةِ عُصْبَةٌ	فَرِيقَانِ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخَذُولُ
دَعَاهُمْ فَمَتَمُوا عَنْهُ عِنْدَ دُعَائِهِ	وَذَلِكَ عَلَى مَا فِي النَّفُوسِ دَلِيلُ
تَدِيمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ تَبِيعِي الْهَوَى	وَقَصْرِي فِيهِ حَسْرَةٌ وَعَوِيلُ ^(٣)

(١) وقعة صفين ٨٨ ، وفيه : « وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان » .

(٢) ج : « وهذه » .

(٣) قصري فيه ؛ أى حبي .

تَابِي أبا عمرو بكلُّ مُتَقَفٍ وَيَضِرُّ لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنَ صَلِيلٍ^(١)
 تَرَكْتُكَ لِعَوْمِ الدِّينِ مُمْ مُمْ شَجَاكَ فَمَاذَا مَدَّ ذَاكَ أَقُولُ
 ظَلْتُ مَقْباً مَاحِيَةً بِسَلْدَةٍ أَجَرَ بِهَا ذُبِيرٌ وَأَنْتَ قَصِيلٌ
 فَلَا نَوْمَ حَقٍّ تُشَجِّرُ الْخَيْلُ بِالْقَنَا قُشِقِي مِنَ الْقَوْمِ الْمَوَاتِ غَلِيلٌ^(٢)
 وَتَطْعَمُهُمْ طَعْنُ الرِّيحِ بِثَفَالِهَا وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَوْا إِلَيْكَ قَلِيلٌ^(٣)
 فَأَنَا الْبَقِيَّةُ فِيهَا مَوْدَةٌ يَنْبَسَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَاحِيَةٌ سَبِيلٌ
 سَأَلِفُهَا حَرْبًا عَوَانًا مُلِحَةً وَإِنِّي بِهَا مِنْ هَامِنًا لَكَفِيلٌ

قال نصر: واقتصر المحتاج على أهل الشام بما كان من نسيبه على معاوية

بإسرة المؤمنين .



قال نصر: ^(١) وحدثنا صالح بن خديجة ، عن ابن إسحاق ، عن خالد الخزازي وغيره ، عن
 لا يُبَيِّنُ أَنَّ عَمَّانَ لَمْ يُقْتَلْ وَأَنَّ مَعَاوِيَةَ بَكَّتَابٌ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَزْلِهِ عَنِ الشَّامِ ، صَعِيدُ الْمَبَرِّ وَبَادِي
 فِي النَّاسِ أَنْ يَحْضُرُوا ، وَغَضَرُوا ، نَفَطَهُمْ . فَعَيَّدَ اللَّهُ وَاشْتَرَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَهْلَ الشَّامِ ، قَدْ عَطَمْتُ أَنِّي خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَخَلِيفَةُ عَمَّانَ ، وَقَدْ قُتِلَ
 وَأَنَا ابْنُ مَهْزُولِيهِ ، وَاللَّهِ نَعَالِي يَقُولُ : ﴿ وَتَمَّ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا ﴾^(٢)
 وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعْلِمُونِي مَا فِي نَفْسِكُمْ مِنْ قَتْلِ خَلِيفَتِكُمْ .

(١) وقعة معين : « سَأَمِي » ، وسَأَمِي . أي سَأَطْلَبُ نَأْرَهُ ؛ وَأَبُو عَمْرٍو كَتَبَ عَمَّانَ .

(٢) تشجير الخيل : تطعم .

(٣) الكفال : جلد يمسح فتوضع موله الرما ليمسح به الذئبي . وفي اللسان : « ولي حديث على :
 وتعلمهم القتل دلى الرما بشفالها ، هو من ملك : وتعلم أنها تعلمهم دلى الرما للعب ؛ إذا كانت مثقلة ،
 ولا تنقل إلا عند الطعن » .

(٤) وقعة صفين ٩١ .

(٥) سورة الإسراء ٣٣

تقام شربة من كعب^(١) ؛ وفي المسجد يومئذ أربعمائة رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أو نحوها ، فقال : والله لقد قتُ مقامى هذا ، وإني لأعلم أن فيكم من هو أقدم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله مني ؛ ولكنني شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصف النهار في يوم شديد الحر ، وهو يقول : « لَنَكُونَنَّ فِتْنَةً حَاصِرَةً » ، فمررتُ رجل مُقَنَّع ، فقال رسول الله : وهذا [المقنع]^(٢) يومئذٍ على الهدى ، فقتت فأحدثت بمنكبه ، وحسرتُ عن رأسه ؛ فإذا عثمان ، فأقبلتُ بوجهه على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ؛ فأصفتُ أهل الشام مع معاوية حينئذ ، ويا بعموه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يطعم في الخلافة ثم الأمر شورى .



وروى إبراهيم بن الحسن بن دبريل في « كتاب صفين » عن أبي بكر بن عبد الله الهذلي أن الوليد بن عقبة كتب إلى معاوية يستدثنه في الطلب بدم عثمان ، ويحرضه وينهاه من قطع الوقت بالمكاتبه :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فإني من أخى قتة سليم^(٣)
قطعت الدهر كالسديم المعنى تهذر في دمشق ولا تريم^(٤)

(١) ولغة صفين : « كعب بن مرة السلمي » .

(٢) من صفين .

(٣) من أبيات ، في اللسان ١٥ : ٣٩ ، ٣٧ . وميم ، من قولهم : ألام الرجل ؟ إذا أتى ما يلام عليه .

(٤) السدم : الغل غير الكريم بكره أهله أن يصروا عليهم ؛ فبقي ولا يسرح في الإمل رغبة عنه ؛ فهو يصول ويهدر ، أي يصيح . والمعنى أصله : « المعنى » من المعنى ، فأبدلت إحدى التوئين ياء ؛ كما قالوا : تظني ، وأصله : « تظن » ، وفي اللسان : « كالهدر في المعنى » . واسطر يحج الأمثال للبيهقي

فإنك والكتاب إلى علي كداسة وقد حليم الأديم^(١)

لك الوبلات أقصمها عنهم غير الطائي الترة العشوم^(٢)

قال : فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أويس بن حجر :

وَمُسْتَجِيبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أَمَانَةٍ وَلَوْ رَنَنْتَ الْحَرْبَ لَمْ يَتَرَمَّرِمِ^(٣)

• • •

وروى ابن ديزيل قال : لما عزم علي عليه السلام على السير إلى الشام ، دعا رجلاً ، فأمره أن يتجهز ويسير إلى دمشق ، فإذا دخل أمانع راحلته بباب المسجد ، ولا يلقى من ثياب سمره شيئاً ؛ فإن الناس إذا رأوه عليه آثار العربة سألوه ، فليقل لهم : تركتُ علياً قد نهّد^(٤) إليكم بأهل العراق . فانظر ما يكون من أمرهم .

فصل الرجل ذلك ، فاجتمع الناس وسألوه ثم قتال لهم ، فكثروا عليه يسألونه فأرسل

(١) الحلم ، بالتحريك : أن يجد الخلد في العمل ويقع فيه دود يقتات ؛ يقول منه حلم ، بالكسر ، والحلمة : دودة تلع في الخلد فتأكله ؛ وإذا دبغ وهي موصغ الأكل ، فهو رقيقا ؛ تقول منه : حلم الأديم ؛ ومن البيت : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فساد كهدم المراء التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة فتقتله وأفسده فلا يلتصق به ، كذا نسرته صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٢) في اللسان بعد هذا البيت :

قَوْمُكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ تَرَدُّوا مِمَّ صَرَعَى كَأَهْمُ الْهَشِيمِ
فَلَوْ كُنْتَ الْمَصَابَ وَكَانَ حَيًّا تَجَرَّدَ لَا أَلْفَ وَلَا سَتُومُ
يَهْتِكُ الْإِمَارَةَ كُلَّ رَكَبٍ مِنَ الْآفَاقِ سِيرِمُ الرِّسَمِ

وراد الطبري بعد البيت الثاني من زيادات اللسان :

وَلَا نِكَلُ عَنْ الْأَوْتَارِ حَقِّي بِيءَ سَهَا وَلَا يَرْمُ جَنُومُ

وذكر الضبي في الفاخر ٣٠ من هذه الأبيات وسبها ابن مروان بن الحكم .

(٣) ديوانه ٢٧ ، ومقاييس اللغة ٢ : ٣٨٠ ، ٤ : ٢٤٤ ؛ ومُ يترمم ؛ أي ما حركه بالكلام ؛

كذا نسرته ابن فارس واستشهد بالبيت . واطر اللسان ١٥ : ١٤٧

(٤) يقال : نهّد لدوده ؛ إذا أسرع لقتاله .

إليه معاوية بالأعور السلي - ياله ، فأتاه فساه ، فقال له ، فأتى معاوية فأخبره ، فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، وقال لهم إن علياً قد نهّد إليكم في أهل العراق ، فأترون ؟ ف ضرب الناس بأذنانهم على صدورهم ؛ لا يتكلمون ، فقام ذو الكلاع الجعفي فقال : عليك أم رأيٌ وعلينا أم فقال ؛ وهي لمة خير ^(١) .

فنزّل ، ونادى في الناس بالخروج إلى مسكرهم ، وعاد إلى علي عليه السلام ، فأخبره فنادى : الصلاة جامعة ، ثم قام فخطب الناس ، فأخبرهم أنه قدّم عليه رسول كان بعثه إلى الشام ، وأخبره أن معاوية قد نهّد إلى العراق في أهل الشام ، فما الرأي ؟

قال : فاضرب أهل المسكد ؛ هذا يقول : الرأي كذا ، وهذا يقول : الرأي كذا ، وكثّر اللغظ والحب ، فلم يغهم علي عليه السلام من كلامهم شيئاً ، ولم يذّر للصيب من الخطي ، فنزل عن المنبر ، وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب بها ابن آكلة الأكباد ^(٢) - يعني معاوية .

مرحمة

وروى ابن ديزيل عن عتبة بن مكرم ، عن يونس بن بكير ، عن الأعمش ، قال : كان أبو مرثم صديقاً لعلي عليه السلام ، فسمع بما كان فيه علي عليه السلام من اختلاف أصحابه عليه ، فخافه ، فلم يرع علياً عليه السلام إلا وهو قائم على رأسه بالعراق ، فقال له : أبا مرثم ، ما جاء بك نحوي ؟ قال : ما جاء بي غيرك ؛ عهدي بك لو وليت أمر الأمة كفتيتهم ، ثم سمعت بما أنت فيه من الاختلاف ! فقال : يا أبا مرثم ؛ إني مُدبِتُ بشرار خلق الله ، أريدكم على الأمر الذي هو الرأي ، فلا يتهموني .

• • •

(١) وهي لمة نفلت من علي - أيضاً ؛ وعليها ورد الحديث : « ليس من أمر مصيبي في أسفر » .
 يعني الصيب لابن هشام ٩ : ٤٨ .
 (٢) آكلة الأكباد ؛ هي هند بنت حبة بن ربيعة ، زوج أبي سفيان وأم معاوية .

وروى ابن ديزيل عن عبد الله بن عمر ، عن زيد بن الحباب ، عن علاء بن جرير
 الصنبري ، عن الحكم بن عمار التميمي - وكانت أمه بنت أبي سفيان بن حرب - قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : كيف بك يا أبا بكر إذا وليت ؟ قال :
 لا يكون ذلك أبدا ، قال : فكيف بك يا عمر إذا وليت ؟ (١) قال : آكل حمرًا ، لقد
 قهيت إذن شرًا ، قال : فكيف بك يا عثمان إذا وليت ؟ قال : آكل وأطعم وأقسم
 ولا أنظم ، قال : فكيف بك يا علي إذا وليت ؟ قال : آكل الفتوة وأحى الجمرة ، وأقسم
 التمرة ، وأحى الصور - قال : أي المورقة - قال صلى الله عليه وسلم : « أما إني أراكم كلكم سبيل ،
 وسبيل الله أعمالكم » ، ثم قال : يا معاوية ، كيف بك إذا وليت ؟ قال : الله ورسوله أعلم
 فقال : « أنت رأس العلم ، ومفتاح العلم ، حصوا حقبًا ، تتعذ الحسن قبيحا ، والسيئة حسنة ،
 يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ؟ أجلكم فيكم ، وظلمك عظيم » .



وروى ابن ديزيل أيضا عن عمر بن عون ، عن هشيم ، عن أبي قلج ، عن عمرو بن
 ميمون ، قال : قال عبد الله بن مسعود : كيف أنتم إذا أقيمتكم فتنة يهرم فيها الكبير ،
 ويربو فيها الصغير ، تجري بين الناس ، ويتعذونها سئة ، فإذا غيبت قيل : هذا منكرا



وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا الحسن بن الربيع البجلي ، عن أبي إسحاق الفزاري
 عن حميد الطويل ، عن أس بن مالك ، في قوله تعالى : ﴿ قِيَامًا يَذُهِبُ بَكَ قِيَامًا مِنْهُمْ
 مُنْتَقِمُونَ ﴾ (٢) أَوْ نَرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَا نَاهُمْ قِيَامًا عَابَهُمْ مُنْتَقِدِينَ (٣) . قال : أكرم الله
 تعالى نبيه عليه السلام أن يريه في أمته ما يكره رفعه إليه ، وبقيت النعمة .

(١-١) في أ، ج : « فقال حمراء » ، وفي حاشية ج : « يحتمل أن يكون يكون الجيم ، بمعنى الخ » .

(٢) سورة الأخرف ١١ ، ١٢ .

قال ابن ديزيل : وحدثنا عبد الله بن عمر ، قال : حدثنا عمرو^(١) بن محمد ، قال : أخبرنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي الهيثم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « سألت ربي لأمتي ثلاث خلال ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة : سأله ألا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها ، وسأله ألا يذنبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها ، وسأله ألا يحمل بأسهم بينهم فنفعنيها » .

• • •

قال ابن ديزيل : وحدثنا يحيى بن عبد الله الكرايسي ، قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن عمار بن زريق ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : إن الله تعالى قد آمنتنا أن يظلمنا ، ولم يؤمننا أن يفتننا ، أرأيت إذا أزلت فتنة ، كيف أصعب ؟ فقال : عليك كتاب الله تعالى ، قال : أفأرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله تعالى ؟ قال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » ، يعني عمارا .

• • •

وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا^(٢) ، قال : حدثنا علي بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما إن نساءتم عليه لم تهلكوا ؟ إن ورائكم الله ، وإن إمامكم علي بن أبي طالب ، فناصروه وصدقوه ، فإن جبريل أخبرني بذلك » .
فإن قلت : هذا نص صريح في الإمامة ، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك ؟
قلت : يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعية ، لا في الخلافة .
وأيضا فإننا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما حصله : إن الإمامة كانت لعل

عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها ، وإن أفرها في غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير ، وقتلنا بصحة خلافة ، وأمير المؤمنين عليه السلام لم ينزع الأئمة الثلاثة ، ولا جرد السيف ، ولا استنجد بالناس عليهم ؛ فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه ؛ فذلك توليهم ، وقتلنا فيهم بالطهارة والخير والصالح ، ولو حاربهم وجرد السيف عليهم ، واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامه هذه للعامة ، من التفتيق والتضليل .

• • •

قل ابن ديزيل : وحدثننا عمرو بن الربيع ، قال : حدثنا السري بن شيبان ، عن عبد الكريم ، أن عمر بن الخطاب قال لما طعن : يا أصحاب محمد تفاصوا ، فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .

قلت : إن محمد بن النعمان المعروف بالمقيد أحد الإمامية قال في بعض كتبه : إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطاعتهما فيها ، لأن معاوية كان عاملاً وأميراً على الشام ، وعمرو بن العاص عاملاً وأميراً على مصر ، وخاف أن يضعف عمان عنهما ، وأن يصير إلى علي عليه السلام ، فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنتقل إليهما - وهما بمصر والشام - فيتعلبا على هذين الإقليمين إن أفضت إلى علي عليه السلام .

وهذا عندي من باب الاستنباطات التي يوجهها الشنآن والحنق ، وعمر كان أثق بالله من أن يخطر له هذا ، ولكنه من فراسته الصادقة التي كان يعلم بها كثيراً من الأمور المستقبلية ؛ كما قال عبد الله بن عباس في وصفه : والله ما كان أوس بن حابر عنى أحداً سواه بقوله :

الأمي الذي يظن بك الظن " كان قد رأى وقد صيماً ^(١)

• • •

وروى ابن ديزيل ، عن عفان بن مسلم ، عن وهب بن خالد ، عن أبوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن مرة بن كعب ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ففنة ففرت بها ، فمر رجل قد تقنع بثوبه ، فقال عليه السلام : « هذا وأصحابه يومئذ قتل الحق » ، ففنت إليه فأخذت بمنكبه ، فقلت : هو هذا ؟ فقال : نعم ، فإذا هو عثمان ابن عفان .

قلت : هذا الحديث قد رواه كثير من محققى أصحاب الحديث ، ورواه محمد بن إسماعيل البخارى فى " تاريخه الكبير " بمدة روايات . وليس لقائل أن يقول : فهذا الحديث إذا صححه كان حجة لسفوية ؛ لأننا نقول : الخبر يتضمن أن عثمان وأصحابه على الحق ، وهذا مذهبنا ، لأننا نذهب إلى أن عثمان قتل مطعوماً ، وأنه وناصرية يوم الدار قتل الحق ؛ وأن القوم الذين قتلوه لم يكونوا قتل الحق ؛ فأما معاوية وأهل الشام الذين حاربوا علياً عليه السلام يصفين فليسوا بدارجلين ، ولا فى العاقل الخبير لفظ عموم يقتضى به ، ألا ترى أنه ليس فيه كل من أظهر الانتصار لعثمان فى حياته وبعد وفاته فهو قتل الحق ، وإنما خلاصته أنه ستقوم فتنه ، يكون عثمان فيها وأصحابه على الحق ، ونحن لا نأبى ذلك ، بل هو مذهبنا .

وروى نصر بن مزاحم فى كتاب " صفين " قال : (١) لما قدم عبيد الله بن عمر ابن الخطاب على معاوية بالشام ، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أفيته خطيباً يشهد على قتل عثمان ، وينال منه ، فقال : الراى ما رأيت ، فبحث إليه ، فأتاه ، فقال له معاوية : يا بن أخى ، إن لك

اسمَ أيبك فانظر بمل عينيك ، وانطق بمل فيك ، فانت المأمون المصدق ، فاصد المنبر واشتم علياً ، واشهد عليه أنه قتل عثمان .

فقال : أيها الأمير ، أما شتمه ؛ فإن أباه أبو طالب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فاصي أن أقول في حسبه ؛ وأما بأنه فهو الشجاع للطريق ، وأما أياؤه فما قد عرفت ؛ ولكني ملزمه دم عثمان ، فقال عمرو بن العاص : قد وأيبك إذن نكأت القرحه .

فلما خرج عبيد الله بن عمر ، قال معاوية : أما والله لولا قتله المرمزان ، ومحافته علياً على نفسه ما أتانا أبداً ؛ ألا ترى إلى ترفظه علياً ؛ فقال عمرو : يا معاوية ، إن لم تغلب فاخلب ، قال : وخرج حديثهما إلى عبيد الله ، فلما قام خطيباً تكلم بحاحته ، فلما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئاً ، فلما نزل بعث إليه معاوية : يا بن أخي ؛ إنك بين حي وحياته ، فبعث إليه : إلى كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان ، وعرفت أن الناس يحتلوها عني فتركها .

قال : فجعزه معاوية واستحلف به وفقهه ، فقال عبيد الله :

مُعَاوِيَةُ لَمْ أَحْرَضْ مَعْطِيَةَ خَاطِبٍ وَلَمْ أَكُ عَيَا فِي لُؤْيٍ بِنِ ظَالِمٍ^(١)
وَلَكِنِّي زَاوَلْتُ نَفْسَ أَيُّسَةَ عَلَى قَذْفِ شَيْخٍ بِالْعَرَّاقِينَ غَائِبٍ
وَقَذْفِ عَلِيٍّ بَيْنَ هَفَّانَ جَهْرَةً كِذَابٍ ، وَمَا طَيَّ سَجَايَا الْكَاذِبِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ قَرَّبَ الْقَوْمَ جُهْدَهُ وَدَبُّوا حَوَالِيَهُ دَيْبَ الْقَارِبِ
فَمَا قَالَ : أَحْسَنُ وَلَا قَدْ أَسَاءْتُ وَأَطْرَقَ لِطَرِاقِ الشُّجَاعِ الْمَوَاتِبِ

(١) لم أحرض : لم أكل ولم أصر . وفي معنى : لم أحرض ، أي لم أكذب .

(٢) رواية كتاب سنين :

• يُجَدِّعُ بِالشُّعْنَةِ أَنْفَ الْأَرَابِ •

فَأَمَّا ابْنُ عَفَّانٍ فَأَشْهَدُ أَنَّهُ أَصِيبَ رِيثًا لَابِسًا ثَوْبَ تَائِبٍ^(١)
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزَّيْرِ عَجَاجَةٌ وَطَلْعَةٌ فِيهَا جَاهِدٌ غَيْرُ لَاعِبٍ
وَقَدْ أَظْهَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُمَا فِي الْمَوَاقِبِ !
قال : فلما طلع معاوية شعره بعث إليه فأرضاه ، وقال : حسبى هذا منك .



وروى نصر ، عن عبيد الله بن موسى ، قال : سمعتُ سُفْيَانَ بنَ سعيدٍ المعروف
بِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، يقول : مَا أَشْكُ أَنْ طَلْعَةُ وَالزَّيْرِ بَابِعَا عَلِيًّا ، وَمَا نَقَمَا عَلَيْهِ جَوْرًا
فِي حُكْمٍ وَلَا اسْتِثْنَاءَ بَنِي ؛ وَمَا قَاتَلَ عَلِيًّا أَحَدٌ إِلَّا وَعَلَى أُولَى بِالْحَقِّ مِنْهُ .

وروى نصر بن مزاحم أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي عُرَّةٍ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ
سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ إِلَى الْكَوْفَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، تَجَرَّى الْكَتُفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَعَاوِيَةَ وَهَرِيرِ بْنِ الْمَاصِ ، حَتَّى سَارَ إِلَى الشَّامِ .

قال نصر :^(٢) وَقَدْ رَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْكَنْدُودِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ الْكَوْفَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ
الْجَلِّ ، لِاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ .

قال نصر : فَدَخَلَ الْكَوْفَةَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ
أَهْلُ الْكَوْفَةِ ، وَفِيهِمْ قُرَاطُومٌ وَأَشْرَافُهُمْ ، فَدَعَوْا لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَيْنَ تَنْزِلُ ؟ أَنْتَزَلَ الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَنْزَلَ الرَّحْبَةَ ، فَتَزَلُّهَا وَأَقْبِلْ حَتَّى دَخَلَ
لِلْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَعَمِدَ اللَّهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى
رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) بعده في كتاب سفين :

حَرَامٌ عَلَى أَهْلِهِ نَتَفُ شِعْرِي فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزَهُ ضَرْبَةَ لَازِبٍ

(٢) وقعة صفين ٥ - ٨ .

أما بعد يا أهل الكوفة ؛ فإن لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا ،
دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبناتكم بالنكر فعبثتم ، ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله ،
فأما في الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم من أجابكم ، ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن
أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ أما اتساع الهوى فيصد عن
الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة ؛ ألا إن الدنيا قد ترحلت مديرة ، وإن الآخرة
قد ترحلت مقبلة ؛ ولكل واحدة منهما عون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل
ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل ؛ الحمد لله الذي نصر وليه ، وحذل عدوه ، وأعز
الصادق الحق ، وأذل الناكث للباطل .

عليكم بتوحي الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أول
بطاعتكم فيما أوصوا الله فيه من المتصلين بالمدعين القائلين ^(١) إلينا ؛ يتفضلون بفضلتنا ،
ويحادثونا أمرنا ، ويأذموننا حقنا ، ويباعدوننا عنه ، فقد ذاقوا وبأل ما اجتروا
فسوف يلقون غيا . ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم ؛ وأنا عليهم نائب زار ؛
فاجبروهم وأسموهم ما يكرهون ، حتى يعضوا ^(٢) ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .
فقام إليه مالك بن حبيب البرجمي - وكان صاحب شرطته - فقال : والله إنني
لأرى المجبر وسامع للكروه لم قليلا ، والله لو أمرتنا لنقتلهم . فقال علي عليه السلام :
سبعان الله يا مال ! جزت للذي ، وعدوت الحد ، فأغرقت ^(٣) في النزع . فقال : يا أمير
المؤمنين ، لبعض النشم أبلغ في أمر يثوبك من مهادة الأعدى ؛ فقال علي عليه السلام :
ليس هكذا قضى الله ، يا مال ، قال سبعانه : « النفس بالنفس » ^(٤) فما بال ذكر النشم !

(١) كذا في ج وصين ، وفي أ ، ب : « القائلين إلينا » .

(٢) الإعتاب : إعطاء العتي ، وهي الرضا . (٣) أ ، ج : « وأغرقت » .

(٤) سورة المائدة ٤٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِائِهِ سُلَافًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ ^(١) ، والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو العشم .

فقام إليه أبو برة بن عوف الأزدي - وكان ممن تخلف عنه - فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير ، علام قُتلوا ؟ - أوقال : سم قتلوا ؟ - فقال علي عليه السلام : قُتلوا بما قُتلوا شيعتي وموالي ، وقتلوا أخا ربعة العبدى في مصابة من المسلمين ، قالوا : إنا لا نملك كائنا كنتم ، ولا نفدركا غدرتم ؛ فوثبوا عليهم فقتلهم ، فسألهم أن يدفعوا إلى قنصة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتب الله حكمهم بيني وبينهم ، فأبوا علي ، وقتلوني - وفي أعناقهم بيعتي ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي - فقتلهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟ قال : قد كنت في شك ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وإنكم المتهدي المصيب .

قال نصر : وكان أشياخ الحمى يذكرون أنه كان حنائيا ، وقد شهيد على ذلك صفين مع علي عليه السلام ، ولكنه بعد ما رجع كان يكتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالملوكة ^(٢) ، وكان عليه كرما .

قال : ثم إن عليا عليه السلام تهيأ لينزل ، وقام رجال ليكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا .

قال : ونزل علي عليه السلام بالكوفة على جعدة بن هيرة الخزومي . قلت : جعدة ابن اخت أم هاني بنت أبي طالب ، كانت تحت هيرة بن أبي وهب الخزومي ، فأولدها جعدة ، وكان شريفا .

• • •

(١) سورة الإسراء ٢٣ .

(٢) في مراد الاطلاق : الملوك الكبرى والملوك الصغرى : قرنان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قريب عين النمر . قلت : وللمعهور من هذه إلى علي عاتق ، القرات ، عندنا من تهر الله من الجانب الغربي .

قال نصر: ولما^(١) قدم على عليه السلام إلى الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل
فصلّى، ثم تحول جلس إليه الناس، فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة،
فقال قائل: استأثر الله به، فقال على عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يستأثر بأحد
من خلقه؛ إنما أراد الله جلّ ذكره بالموت إعراز نفسه؛ وإذلال خلقه بموقراً: ﴿كُنْتُمْ
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِمِّيشُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)؛ قال نصر: فلما لحقه عليه السلام
ثقله قالوا: أنزل القصر! فقال: قصر الخيال، لا تنزلوا فيه^(٣).



قال نصر: ودخل^(٤) سليمان بن صرد الأنزاعي على على عليه السلام؛ مرجعه^(٥) من
البصرة، فتابه وعذله، وقال له: ارتبّت وتربّيت وراوغت؛ وقد كنت من أوثق
الناس في نفي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي؛ فما قدّ بك عن أهل بيت نبيك؟
وما زهدك في نصرتهم؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤثبنني بما مضى منها، واصنبي
مودتي لمخلصك نصيحتي؛ فقد بقيت أمور تعرف فيها صدوك من ورائك.

فكث عنه، وجلس سليمان قليلاً، ثم هض، فخرج إلى الحسن بن على عليه السلام؛
وهو قاعد في باب المسجد، فقال: ألا أمجّك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التوبيخ
والتبكيث؟ فقال الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته، فقال: لقد وثبتت
أمور سنشرع فيها القضا، وننفض فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا

(١) كتاب صفين ٨.

(٢) سورة القرة ٢٨.

(٣) صفين: ٥ لانهلونية.

(٤) ولعة صفين ٩.

(٥) ولعة صفين: ٥ بعد رجته.

سَتَفِثُوا عَنِّي^(١) ، وَلَا تَهْمُوا نَصْحِي .

قال الحسن : رحمت الله ، ما أنتَ عندما يظنن^(٢) .

قال نصر : ودخل عليه سعيد بن قيس الأزدي ، فسلم عليه ، فقال : وعليك السلام وإن كنتَ من المرتصين ! قال : حاش لله يا أمير المؤمنين ! فإني لست من أولئك . فقال : لعن الله فعل ذلك .

• • •

قال نصر : وحدثنا^(٣) عمر بن سعد ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عفيف ، قال : دخلتُ مع أبي علي عليه السلام ، مقدمه^(٤) من البصرة ، وهو طام بلمتُ الحلم ؛ فإذا بين يديه رجال بؤسهم ، ويقول لهم : ما أطأ بكم عني ، وأنتم أشرافُ قومكم ! والله إن كان من خُفِفتِ النية وتقصير البصيرة ؛ إنكم لبؤر^(٥) ، وإن كان من شك في فضل ومظاهرة علي ؛ إنكم لعدو .

فقالوا : حاش لله يا أمير المؤمنين ! نحن سلّمك وحرب عدوك . ثم اعتذر القوم فنههم من ذكر عذراء ، ومنهم من اعتل عمرض ؛ ومنهم من ذكر غيبة ؛ فنظرت إليهم ففرقتهم ؛ فإذا عبد^(٦) الله المسمّى العباسي ؛ وحفظة بن الربيع النخعي ؛ وكلاهما كانت له صحبة ؛ وإذا أبو بردة بن عوف الأزدي ؛ وإذا غريب بن شريحيل الهمداني .

قال : ونظر علي عليه السلام إلى أبي ، قال : ولكن عفيف بن مسلم وقومه لم يتخلفوا ، ولم يكن مثْلهم كمثل القوم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَإِنْ مِثْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ

(١) لا تستمشوا عني ؛ أي لا تفلتوا عني لكم عفا .

(٢) الظنن : اللهم ؛ وأصله : « مظنون » .

(٣) وقعة صفين ١٠

(٤) وقعة صفين : « حين قدم » .

(٥) لبور : أي مالم يكون ، جمع بقط للقرء .

(٦) في الأصول : « عبيد الله » صوابه من صفين .

أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَتَيْتُ أَهْلِي إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ مُسَيِّدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِنْ أَهْلِي لَيَقُولَنَّ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ^(١) .

قال مصر : ثم ^(٢) إن علياً عليه السلام مكث بالكوفة ، قال الشقي في ذلك ، [شن بن
عبد القيس] ^(٣) :

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ قَدْ خَبَرَ الْحَرْبُ بِ وَتَمَّتْ بِذَلِكَ النِّسْبَةُ ،
وَفَرَّقْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ تَحَمَّلَ الْعَهْدَ وَالْثَامَ حَيَّةً صَالَةً
تَنْفُتُ السَّمَّ مَا لَمْ يَنْتَهَ تَهْتَهُ - قَارِظَهَا قَبْلَ أَنْ تَعَضَّ - شِفَاهُ ^(٤)
إِنَّهُ وَالَّذِي بِحَجٍّ هَذَا النَّاسُ مِنْ دُونِ بَيْتِهِ الْيَسَّادَ
لَضَعِيفُ النَّخَاعِ إِنْ رُمِيَ الْبُؤْسَ بِمُحْمَلٍ كَأَنَّهَا أَشْلَاهُ ^(٥)
تَنْبَارِي كُلَّ أَمِيرٍ كَالْفَعْرِ لِي بِكُمُ صَفْدَةٌ تَمْرَاهُ ^(٦)
إِنْ تَذَرُهُ هَذَا مَعَاوِيَةُ الدَّهْرُ بِمِطْلِكِ مَا أَرَاكَ تَكَا
وَلَنْفِيلُ السَّمَاءِ أَقْرَبُ مِنْ ذَاكَ وَنَجْمُ الْمَيُوقِ وَالْمَوَاهِ ^(٧)
فَأَعْدُدْ بِالْحَدِّ وَالْحَدِيدِ إِلَيْهِمْ لَيْسَ وَالْفَقْرِ عَيْرَ ذَاكَ دَوَاهُ

(٢) كتاب صعب ١١ ، ١٢

(١) سورة النساء ٧٦ ، ٧٣

(٣) نسخة من كتاب وقعة صفين ، وهو الأعمور لشي ، واسمه بصر بن مقد ، أحد بني شن بن
أدنى بن عبد القيس . وانظر المؤلفات والمختص للأندلس ٣٨

(٤) في الهاء : « قبل الحجة التي لا تجيب الرأي صباه » لأن الرق لا تنفصا .

(٥) أشلاه : الإنسان : أعضاؤه ، وبمعنى في كتاب صعب :

جَاءَ نَحْلَتِ تَحْتَ الْعِجَاجِ سِحَالًا مُجْتَهَضَاتٍ تَحَالِيَا الْأَشْلَاهُ

(٦) الصلدة : القنطرة المستوية التي لا تحتاج إلى التثبيت .

(٧) الميوق : نجم آخر مضى في طرف الهرة الأيمن ، ينظر النجاشي لا يظلمها . والمواه : منزل القمر .

قال نصر : وأتم على عايه السلام صلاته يوم دخل الكوفة ، فلما كانت الجمعة خطب
الناس ، فقال :

الحمد لله الذي أحده^(١) وأستعينه وأستعديه ، وأعوذ بالله من الضلالة ؛ مَنْ
يَهْدِ الله فلا مضلَّ له ، وَمَنْ يَضِلْ فلا هاديَ له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اتَّخَذَهُ لأمره ، واختصَّ بنبوته . أكرمُ خلقه
عليه ، وأحبُّهم إليه ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأُمته ، وأدى الذي عليه .

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير ما تروا من به عباد الله ، وأقرب به إلى رضوان الله ،
وخيره في عواقب الأمور عند الله ، ويتقوى الله أميرُكم ، وللإحسان والطاعة خلقم ؛
فاحذروا من الله ما حذرَكم من نفسه ، فإنه حذر . يا أشدَّ بداء ، واخشوا خشيةَ ليست بعذير^(٢)
واعملوا في غير رياء ولا سُخْمة ؛ فإنه من عمل لئيل الله وَكَلَه الله إلى ما حمل له ، ومن عمل لله
مخلصا تولى الله أجره . اشتقوا من حذاب الله ؛ فإنه لم يخلقكم عبثا ، ولم يترك شيئا من
أمركم سُدى ؛ قد متى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ؛ فلا تفتروا بالله أنها
فإنها قرارة لأهلها ، منور من اختر بها ، وإلى فناء ما هي ، وإن الآخرة هي دارُ الحيوان
لو كانوا يعلمون . أسأل الله منازلَ الشهداء ، ومراقبةَ الأنبياء ، ومعيشةَ السدء ، فإنما
نحن به وله^(٣) .

قال نصر : ثم^(٤) استعمل على عليه السلام المال وفرَّقهم في البلاد ؛ وكتب
إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي ما تقدم ذكره .

(١) صنف : « إن الحمد لله أحده » .

(٢) التذير هنا : الإهمال والتقصير .

(٣) صنف ١٣ .

(٤) كتاب صنف ١٤ ؛ وفيه : « ثم إن عليا أظم بالكوفة واستعمل المال » .

قال نصر: (١) وقال معاوية لمرو بن العاص ، أيام كان جريراً عنده ينتظر جوابه : إنني قد رأيت أن نُلقيَ إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً ، تذكر فيه أمرَ عثمان ؛ فإما أن نذكر به حاجتنا ، أو نكتب القوم عنا ، فقال له عمرو : إنما تكتب إلى ثلاثة نفر : رجل راضٍ بعلٍ فلا يزيد كتابك إلا بصيرة فيه ، أو رجل يهوى عثمان ؛ فقلن يزيد كتابك حل ما هو عليه ، أو رجل معتزٍ ، فلت في نفسه بأوتق من علي .

قال : حلّ ذلك ، فكتبنا :

أما بعد ؛ فإنه مهما غابَ عنا من الأمور فلم يضب عنا أن علينا قتل عثمان ؛ والدليل على ذلك مكانُ قتلته منه ؛ وإنا نطلب قتلته ؛ حتى يُدفعوا إليها ، فنفتلهم بكتاب الله عزّ وجلّ ، فإن دفعهم على إلينا كفّنا عنه ؛ وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب . فأما الخلافة قلنا نطلبها ، فأهينونا على أمرنا هذا ، وانهمسوا من ناحيتكم ؛ فإنّ أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب على ما هو فيه ، والسلام .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فلمرى لقد أخطأتما موضع النصرة وتناولتماها من مكان بعيد ؛ وما زاد الله من شكت في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً ، وما أتانا وللشورة ، وما أتانا والخلافة أمانتٌ بالمعاوية فطليق ، وأما أنت يا عمرو فظنين (٢) ، ألا فكفنا أنفسكما ، فليس لكم فينا ولي ولا نصير . والسلام .

قال نصر : وكتب (٣) رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر :

(١) كتاب صفين ٧٠ ، ٧١ .

(٢) كتاب صفين : « ظنون » ، والظنن والظنون بمعنى الظن .

(٣) صفين ٧١ .

مُأْوَىٰ إِنَّ الْخَلْقَ أَهْلُجُ وَاضِعٌ وليس بما رَبَّعْتَ أَنْتَ وَلَا تَمُرُّو
نَصَبْتَ إِنْ عَفَانِ لَنَا الْيَوْمَ خُدْعَةٌ كَأَنْصِبَ الشَّيْخَانِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ^(١)
- يعني طلعة والزير رحهما الله -

فَهَذَا كَهَذَاكَ اللَّيْلَ حَذَوْنَهُ سواءَ كَرَفَرَاقٍ يُعْرُ به الصُّفْرُ^(٢)
رَمَيْتُمْ عَلِيًّا بِالَّذِي لَا بَصِيرَةَ وَإِنْ عَطَمْتَ فِيهِ الْمَكِيدَةَ وَالْمَكْرُ^(٣)
وَمَا ذُنُوبُهُ إِنْ نَالَ عَمَانَ مَعِشَرُ أَنْوَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ تَجْمَعُهُمْ مُضَرُ
فَسَارَ إِلَيْهِ الْمَلُوكُ سَبْعَةَ عِلَاقَةً مَا كَانَ فِيهَا لَمْ فَسَرُ
وَبَابُهُ الشَّيْخَانِ ثُمَّ تَحْمَلَا إِلَى الْمَمَرَةِ الْعَطْفَى وَيَأْطُهَا الْفَسْدُ
فَكَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا اقْتَصَامَهُ بِطُولُ : فَيَا فَمَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ^(٤)
وَمَا أَنَا وَالنَّصْرَ مِنَّا وَالنَّجَا تَهَيَّأْتُ حُرُوبَ عَابِيُوخَ لَهَا بَجْرُ^(٥)
وَمَا أَنَا اللَّهُ دَرُّ أَيُّكُمُ وَذِكْرُكَ الشُّورَى وَقَدْ وَضَحَ الْفَعْرُ^(٦)

•••

قال نصر^(٧) : وقام عدى بن حاتم الطائي إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن عدى رجلاً لا يوازي^(٨) به رجل ، وهو يريد أن يزور ابن عمه حاس بن سَعد
الطائي بالشام ، فلو أمرناه أن يلتق معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام ، فقال علي

(١) كتاب صعب : « إذ رُحِفَ الْأَمْرُ » .

(٢) الرِّقَاق : ما يبرأى للسام من رمال الصحراء كأنها الماء .

(٣) كتاب صعب : « لَا بَصِيرَةَ » .

(٤) القِصَاصُ : قصه وحكايته ، وقى صعب : « رَحِمَ مَا أَفْعَدَ الدَّهْرُ » .

(٥) يُوُخَ الْحَرِّ : يَصْرُ .

(٦) صعب : « وَقَدْ فُلِحَ الْفَعْرُ » .

(٧) صعب ٧١ - ٧٤ .

(٨) صعب : « لَا يُغَارَى بِهِ » .

عليه السلام : نعم ، فأمره عدي بذلك^(١) . وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله .

فقدم على ابن عمه حاس بن سعد بالشام - وحاس سيد طيها - لحدث خفاف حاسا أنه شهد عثمان بالمدينة ، وصار مع علي إلى الكوفة ، وكان خفاف لسان وهبة وشمر ، فعدا حاس لخفاف إلى معاوية ، فقال : إن هذا ابن عمي ، قدم الكوفة مع علي ، وشهد عثمان بالمدينة ، وهو ثقة . فقال له معاوية : هات ، حدثنا عن عثمان ، فقال : نعم حصرو الكوثوح [وحكم فيه حكيم ، ووليه عمر ، ونحردى أمره ثلاثة نفر : عدي بن حاتم]^(٢) والأشتر النخعي ، وعمرو بن الحمق ، وحدثني أمره رخلان وطلحة والزبير ، وأبرأ الناس منه علي . قل : ثم مة ، قال : ثم نهاقت الناس علي بالبيعة نهاقت الفرائش ، حتى ضاعت النمل^(٣) وسقط الرداء ، ووطي الشيع . ولم يذكر عثمان ولم يذكر له ، ثم نهيا للسير ، وخفت معه المهاجرون والأنصار ، وكره القتال معه ثلاثة نفر : سعد ابن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعمد بن مسلة ، فلم يستكبره أحدا ، واستغنى عن خفصمه عنن نقل . ثم صار حتى أتى جبل طي ، فأنته متاجعة كان ضاربا بهم الناس ؛ حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طلبة والزبير وطائفة إلى البصرة ، فسرح رجالا إلى الكوفة بدعوسهم ؛ فأجابوا دعوته ، فسار إلى البصرة ، فإذا هي في كفه ، ثم قدم الكوفة لحيل إليه الصبي ، ودنت إليه المحوز ، وخرجت إليه العروس فرحاً به وشوقاً إليه ؛ وتركه وليس له همة إلا الشام .

فذعر معاوية من قوله ، وقال حاس : أيها الأمير ، لقد أصبني شعرا غير به حالي عثمان ، وعظم به عليا عندي .

(١) صنف : « فرء بذلك » .

(٢) ما بين القلانتين نككة من كتاب صنف .

(٣) صنف : « حتى صلت النمل » .

فقال معاوية : أسمعني يا خفاف ، فأنشده شعرا أولا :

قُلْتُ وَاللَّيْلُ سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَلِجَنِّي عَنِ الْفِرَاشِ تَجَافٍ

— يذكر فيه حال عثمان وقته ، وفيه إطلاق عدلنا عن ذكره ^(١) . . . ومن جمله :

قَدْ مَضَى مَا مَضَى وَتَرَى بِهِ الْخَسِرُ كَأَمَرٍ ذَاهِبُ الْأَسْلَافِ ^(٢)

إِنِّي وَالَّذِي يَجُجُّ لَهُ النَّاسُ مِنْ عَلَى تَحْقِيقِ الْبُطُونِ بِجَافٍ ^(٣)

تَتَبَارَى مِثْلَ الْقَيْسِ مِنَ النَّوْصِ بِشُعْثٍ مِثْلِ السُّهَامِ نَحَافٍ ^(٤)

ارْهَبَ الْيَوْمَ إِنْ أَتَاكُمْ عَلَى صَبِيحَةٍ مِثْلَ صَبِيحَةِ الْأَحْقَافِ

إِنَّهُ الْيَتِّ غَلَابًا وَشُجْبًا مَطْرُقٌ نَافِثٌ بِسَمِّ زُفَافٍ ^(٥)

وَاضِعُ السِّيفِ فَوْقَ عَاتِقِهِ الْآبِ مَنْ يَقْرَى بِهِ شَتُونَ الْقِصَافِ ^(٦)

سَوِّمَ الْخَيْلَ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمٍ بِأَمْرِهِ إِلَى الطَّمَانِ خِطَافٍ ^(٧)

اسْتَمَدُوا لِحَرْبِ طَاغِيَةِ النَّاسِ مِثْلُ قَلْبُوهُ كَالْيَدَيْنِ الطَّافِ

ثُمَّ قَالُوا أَنْتَ الْجَنَاحُ لَكَ الرِّيشُ شُ الْقُدَامَى وَمِنْ مَتْنِهِ الْخَوَافِ ^(٨)

فَانْظُرْ الْيَوْمَ قَبْلَ بَادِرَةِ الْقَوْمِ مِثْلُ بِلْمِ نَهْمٍ أَمْ بِخِلَافٍ ^(٩)

قال : فانكسر معاوية ، وقال : يا حابس ، إني لأظن هذا عينا لعل ، أخرجه عنك

لئلا يُفِيدَ علينا أهل الشام .

(١) كلمة غم واحدة في جميع الأصول .

(٢) القصيدة كاملة في كتاب صفين ٧٣ - ٧٥ .

(٣) المعنى : هم لاحق ؛ وهو الناصر من الخيل .

(٤) صفين : « مثل الرصاص » .

(٥) الشجاع هنا : الحية .

(٦) القصاص : عظام الجحاش . والشئون : مجمع قبائل الرأس . وفي صفين : « يندى » .

(٧) سوم الخيل : ألقاها بعلامه .

(٨) القفاص : الربيعات التي تكون في مقعدة الجناح ، الواحدة قادمة . والخواف : ربيعات إذا ضم

الطائر جناحيه خلبت . وفي اللؤلؤ : « ليس القوادم كالخواف » .

(٩) صفين : « قاذية القوم » .

قال نصر : وحدثنا عطية بن غوث^(١) ، عن زياد بن رستم ، قال : ^(٢) كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصة ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، وإلى محمد بن مسلمة ، دون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجمع عليه الناس^(٣) بعد قتل عثمان منك ، ثم ذكرتُ خذلك إياه ، ووطنك على أنصاره ، فتميرتُ لك ؛ وقد هَوَّن ذلك على خلافك قلى على ، ومعاذك بعض ما كان منك ، فأعنا رحمتك الله قلى حق هذا الخليقة للظلم ؛ فإنى لست أريد الإمارة عليك ، ولكنى أريد هالك ؛ فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين^(٤) .

فأجابه عبد الله بن عمر :

أما بعد ، فإن رأى الذى أطعك فيه هو الذى صيرك إلى ما صيرك إليه . أتترك علياً فى المهاجرين والأنصار ، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ، وأتبعك أو أمأزحك أنى طمنت قلى على ، فلمرى ما أنا كليل على الإيمان والمهجرة ، ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكايته فى المشركين ؛ ولكنى عهد^(٥) إلى فـ هذا الأمر عهد ، فزعت فيه إلى الوقوف وقلت : إن كان هذا هذى ففصل تركته ، وإن كان خلافا فشره نبوت منه ، فأغن عنا نفسك ، والسلام^(٦) .

(١) كذا فى ١ ، وصح : و ب : ٤٠٠ ، و ج : ٤٠٠ ، و د : ٤٠٠ .

(٢) كتاب ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) ص ٤ : الأمة .

(٤) ذكر فى كتاب ص ٤١١ : أياها : .

أَلَا قُلْ لِعِدِّ اللَّهِ وَأَخْصُصْ مُحَمَّدًا وَفَارِسًا السَّامُونَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ

(٥) ص ٤ : ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) فى كتاب ص ٤ : ثم هل لآل ابن غزيرة : أحب الرجل - وكان أبوه ناسكا ، وكان من أحمر قريش فقال . . . وذكر آياتا مطلها :

صَلَوَى لَا تَرْجُوَ الَّذِي كُنْتَ تَائِلًا وَحَاوِلَ تَصِيرًا غَيْرَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

قال : وكان كتاب معاوية إلى سعد :

أما بعد ؛ فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش ؛ الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وما شريكان في الأمر ، ونظيرك في الإسلام ، وحققت لك أم المؤمنين ، فلا تسكرهن ما رصوا ، ولا تردن ما قبلوا ، فإننا نردّها شورى بين المسلمين ^(١) .

فأجابه سعد .

أما بعد ؛ فإن عُر لم يدخل في الشورى إلا من تحل له الخلاف من قريش ؛ فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا بإجماعنا ^(٢) عليه ؛ ألا إن علينا كان فيه ما فيها ، ولم يكن فيها ما فيه ؛ وهذا أمر قد كرهت أوله ، وكرهت آخره ؛ فأما طلحة والزبير فلوزما يوتهما لكان خيراً لهما ، والله يسمع لكم المؤمنين ما أنت . والله أعلم ^(٣) .

قال : وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة :

أما بعد ، فإن لم أكتب إليك وأما أرجو مبايعتك ^(٤) ؛ ولكنني أردت أن أذكرك التهمة التي خرجت منها ، والشك الذي صرت إليه ؛ إليك فارس الأنصار ، وعدة المهاجرين ؛ وقد أذعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع إلا أن تمضى عليه ؛ وهو أنه نهك عن قتال أهل القبلة ^(٥) ، أفلا نهيت أهل القبلة ^(٥) عن قتال بعضهم بعضاً ؟

(١) في كتاب صيف : ٨٣ « وهل شعرا » ؛ وذكر أيبانا أولاً .

أَلَا يَا سَعْدُ قَدْ أَظْهَرْتَ شُكَّا وَشَكًّا لِلرَّءِ فِي الْأَخْذَاتِ دَاهِ

(٢) كتاب صيف : « بإجماعنا » .

(٣) في كتاب صيف : ٨٤ : « ثم أجابه في الشعر » ، وذكر أيبانا أولاً :

معاوي دأوك ألداه ألعياه فليس لسا تجي به دواه

(٤) كتاب صيف : « متابعك » .

(٥) كتاب صيف : « الصلاة » .

فقد كان عليك أن تذكره لم ما كره رسول الله صلى الله عليه ، ألم تر عثمان وأهل النار من أهل القبلة (١) ! أما قومك فقد عصوا الله ، وحذثوا عثمان ، والله سائلهم وسائلك عما كان يوم القيامة . والسلام .

قال : فكتب إليه محمد بن مسلمة :

أما بعد ، فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه مثل الذي في يده ؛ قد أخبرني رسول الله صلى الله عليه بالذي هو كائن قبل أن يكون ، فلما كان كرت سيفي ، وجلست في بيتي ، واتهمت الرأي على الدين ؛ إذ لم يصح لي معروف أمر به ، ولا منكر أنهى عنه . وأما أنت فلعنري ما طلبت إلا الدنيا ، ولا أتبع إلا الهوى وإن تنصر عثمان ميتاً فقد خذته حياً ، والسلام (٢) .



[مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لملى]

قد اتبنا على ما أردنا ذكره من حال أمير المؤمنين عليه السلام ، مذ قدم من حرب البصرة إلى الكوفة ، وما جرى بينه وبين معاوية من المراسلات ، وما جرى بين معاوية وبين غيره من الصعابة من الاستنجاج والاستصراخ ؛ وما أجابوه به ؛ ونحن نذكر الآن ما جرى لجرير بن عبد الله عند عودته إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بمالأة معاوية عليهم ، ومفارقته جنباً أمير المؤمنين .

قال نصر بن مزاحم : (٣) حدثنا صالح بن صدقة ، بإسناده ، قال : قال لمراجع جرير

(١) كتاب صفين : « الصلاة » .

(٢) تهمة الرسالة كما في كتاب صفين ٨٦ : « فأخرجني الله من نعمة ، ولا صيرني لذتك ؛ إن كنت أبصرت خلاف ما ينبغي به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار ، فنحن أولى بالصواب منك » .

(٣) كتاب صفين ٦٦ - ٦٨ .

إلى علي عليه السلام ، كثر قول الناس في التهمة لجريير في أمر معاوية ، فاجتمع جريير والأشتر عند علي عليه السلام ، فقال الأشتر : أما والله يا أمير المؤمنين ، أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية ، لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى خنافة (١) ، وأقام عنده ؛ حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يحاف أمره إلا سده .

فقال جريير : لو كنت والله أنيتهم لقتلوك - وخوفه عمرو ، وذى الكلاع ، وحوشب - (٢) وقال : إنيهم يزعمون أنك من قتلة عثمان .

فقال الأشتر : والله لو أنيتهم يا جريير لم يعين جواسها ، ولم ينقل عليّ ثملها ، ولملت معاوية على شطة أجهل فيها عن الفكر .

قال : فأنيتهم إذا . قال : الآن وقد أنيتهم ووقع بينهم الشر !

وروى نصر ، عن عمير بن وعلة ، عن النبي قال : (٣) اجتمع جريير والأشتر عند علي عليه السلام ، فقال الأشتر : أليس قد بعيتك وأمر المؤمنين أن تبعث جريراً ، وأحبرتكم بمداوته وغشه ! وأقبل الأشتر بشيعة ، ويقول : يا أخا تحية ، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان (٤) ، والله ما أمت أهلي أن تترك تمشي فوق الأرض ؛ إنما أنيتهم لتتخذ عديم بدلاً بمسيرك إليهم ، ثم رحمت إلينا من عديم ، تهددنا بهم ، وأنت والله منهم ، ولا أرى سميتك إلا لم ؛ لأن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليعبستك وأشباهك في حبس لا يخرجون منه حتى تسد هذه الأمور ، ويهلك الله الظالمين .

قال جريير : وددت والله أن لو كنت مكاني بميت ؛ إذن والله لم ترجع .

(١) معتب : « من خنافة » .

(٢) معتب : « وحوشب بن ظليم » .

(٣) كتابه صفين ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) كفاي بيا وصفين ، وق جر : « بهمدان » .

قال : فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله ، فارق علياً عليه السلام ، فلحق بقر قيساء^(١) ولحق به ماس من قسر^(٢) من قومه ، فلم يشهد صيفين من قسر غير تسعة عشر رجلاً ؛ ولكن شهدا من أحس^(٣) سبعمائة رجل .

قال نصر : وقال الأشتر فيما كان من نخوف من جرير إياه بمرور وخوشب [وذى الكلام]^(٤) :

لعمرك يا جريرُ لقول عمرو	رصاحبه معاوى بالشام
وذى كاتم وخوشب ذى طليم	أحف على من ربى النعام ^(٥)
إذا اجتمعوا على نخل عهم	وعن باز محالبه دواى
ولست بخائف ما خوفوى	وكيف أخاف أحلام النيام !
وهمم الذى حاموا عليه	من الفتيا ، ومضى ما أمى ^(٦)
فإن أسلم - أعمهم حرب	يحيى لوطسار من العلام
وإن أهلك فقد قدمت أمراً	أفوز بقلبه يوم انحصام ^(٧)
وقد رادوا على وأوعدوى	ومن ذامات من خوف الكلام !



[لسب جرير بن عبد الله السجلى وبعض أخباره]

وذكر ابن قتيبة في "المصارف" ، أن جريراً أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قر قيساء : بك ، الجابور حد صعه .

(٢) قسر : رطل جرير بن عبد الله السجلى .

(٣) أحس : طلق في بجة .

(٤) من كتاب صيف .

(٥) صيف : « من زف النعام » . والزوف : صغار ريش النعام .

(٦) ب : « وهمما »

(٧) القليج : القور والاعتصار .

سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان ، فبايعه وأسلم ، وكان جرير صبيح الوجه جميلاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَانَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلَكٌ . » وكان عمر يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وكان طوالاً يقتل في ذروة البعير من طوله ، وكانت نعلها ذراعاً ، وكان يخفض لحية بالزعفران من الليل وبفيلها إذا أصبح ، فخرج مثل لون الثبر . واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية ، وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي بالشرية سنة أربع وخمسين في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة ^(١) .

• • •

فأما نسيبه فقد ذكره ابن الكلبي في " جبهة الأنساب " ، فقال : هو جرير بن عبد الله ابن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلب بن جشم بن عوف بن حرب بن علي بن مالك ابن سعد بن بدير بن قسرة - واسمه ملك - بن عكر بن أعمار بن أرش ابن عمرو بن الفوث بن نبت بن زيد بن كهلان .

ويذكر أهل السير أن علياً عليه السلام هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه ، حيث فارق علياً عليه السلام ، منهم أبو أراكة بن مالك بن عامر القسري ، كان حتنه على ابنته ، وموضع داره بالكوفة كان يعرف بدار أبي أراكة قديماً ، وأمله اليوم نسي ذلك الاسم .

(١) الحارث ٢٩٢ ، وانظر طبقات قتباء ابن الجدي ٤٥ ، ٤٦ .

(٤٤)

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد
اجتاع صبي بني ماجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه ، فلما طالبه بالمال خاس
به وهرب إلى الشام ، قال :

الأصل :

فَبَحَّ اللَّهُ مَصْقَلَةَ أَفْعَلْ فِعْلَ السَّادَةِ ، وَفَرَّارَ الْعَبِيدِ ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى
أَسْكَنَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى نَكَنَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَحْذَنَا مَيُورَهُ ، وَأَنْتَظَرُنَا
بِمَالِهِ وَفُورَهُ .

الشرح :

خاس به يحميس ويخوس : أى عذر به ، وخاس فلاں بالعهد : أى نكث .
وقبح الله فلانا : أى محاه من الخير ، فهو مقبوح .

والتبكيث ، كالتقريع والتعنيف . والوفور . مصدر وفّر المال : أى تّم ، ويحىء
معتدّياً . ويروى «موفوره» ، والوفور : التام ، وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

يَا مَنْ مَدَحْنَاهُ فَأَكْذَبْنَا بِفَعَالِهِ وَأَثَابْنَا خَجَلًا
بُرْدًا قَشِيبًا مِنْ مَدَائِحِنَا سُرِبَلَتْ فَارْدُودُهُ لَنَا سَمَلًا^(١)
إِنَّ التَّجَارِبَ تَهْتِكُ لَلْعُتُورِ مِنْ أَبْنَائِهَا وَتُبْهَرُجُ الرُّجُلَا

(١) السمل : الثوب النالى .

[نسب بنى ناجية]

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَسَبِ بَنِي نَاجِيَةٍ ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْسُبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى سَامَةِ بْنِ لُؤْيٍ بْنِ عَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مَدْرُكَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدَانَ بْنِ عَدْنَانَ . وَقَرِيشٌ تَدْفَعُهُمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ ، وَيَسْتَوْنَهُمْ بِبَنِي نَاجِيَةٍ - وَهِيَ أُمُّهُمْ - وَهِيَ امْرَأَةُ سَامَةَ بْنِ لُؤْيٍ بْنِ عَالِبِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ سَامَةَ حَرَجَ إِلَى نَاجِيَةِ الْبَحْرَيْنِ مُعَاصِبًا لِأَخِيهِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ فِي بُحَاثَةٍ^(١) كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَطَاطَطَتْ بَاقِيَةَ رَأْسِهَا لِتَأْخُذَ الْمُنْبَ ، فَطَلَّقَ يَمِشْقَرُهَا أَفْسَى ، ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَى قَتْلِهَا فَحَكَّتْهُ بِهِ ، فَدَبَّ الْأَفْسَى عَلَى الْقَتَبِ حَتَّى نَهَشَ سَاقَ سَامَةَ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَحِبُّهُ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ بِرَثِيهِ^(٢) :

عَيْنُ جُودِي لِسَامَةَ بْنِ لُؤْيٍ
رُبَّ كَاسٍ هَرَقْتُهَا ابْنُ لُؤْيٍ

قَالُوا : وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ نَاجِيَةٌ ، فَلَمَّا يَأْتِي تَزَوَّجَتْ رَجُلًا فِي الْبَحْرَيْنِ ، فَوَلَدَتْ مَدَةَ الْخَارِثِ ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا تَرَمَّجَ طَلَبَتْ أُمُّهُ أَنْ تُلْحِقَهُ بِقَرِيشٍ ، فَأَحْبَرَتْهُ أَنَّ ابْنَ سَامَةَ بْنِ لُؤْيٍ بْنِ عَالِبِ ، فَرَّكَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ أُمُّهُ ، فَأَحْبَرَ كَعْبُ ابْنَ لُؤْيٍ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ سَامَةَ ، فَصَرَفَ كَعْبُ أُمَّهُ نَاجِيَةَ ، فَظَنَّ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ ، فَقَبِلَهُ وَمَكَثَ عِنْدَهُ مَدَّةً ؛ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ رَكْبٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ؛ فَرَأَوْا الْخَارِثَ ، فَسَلَمُوا عَلَيْهِ ، وَحَدَّثُوهُ ، فَسَأَلَهُمْ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ : مَنْ أَيْنَ بِرَفُونَهُ ؟ فَقَالُوا : هَذَا ابْنُ رَحْلٍ مِنْ بِلَدِنَا يُتْرَفُ بِفُلَانٍ ، وَشَرَحُوا لَهُ حَبْرَهُ ، فَجَاءَهُ كَعْبُ مِنْ مَكَّةَ وَبَنَى أُمَّهُ ، فَجَاءَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَسَكَنَا هُنَاكَ ، وَتَزَوَّجَ الْخَارِثُ ، فَأَعْقَبَ هَذَا الْقَتَبُ .

(١) لِلْمَاطَةِ : الْخَاصَّةُ وَالْمُنَازَعَةُ .

(٢) وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الشُّعْرَاءَ أَمْرًا رَدِيَّةً كَلَّمَتْ سَامَةَ بِرَبِّهَا وَبِزَوْجِهَا ، وَبِأَيَّاتِ أُخْرَى ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْإِسْنَانِ

فِي ١٢ : ١٩٥ (٣) الْخَلَاةُ : الْمَنِيَّةُ .

وقال هؤلاء : إنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نعتي سامة لم يُعقب » ^(١) .

وزعم ابن الكلبي أن سامة بن لؤي ولد غالب بن سامة ، والحارث بن سامة - وأم غالب ابن سامة ناجية - ثم هلك سامة ، خلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، نكاح ممت ^(٢) ، ثم هلك ابن سامة ولم يُعقب ؛ وإن قوماً من بني ناجية بن جرهم بن ربان بن علف ، ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ، ونسبوا هذا النسب ، وانتموا إلى الحارث بن سامة ، وهم الذين باعهم على عايه السلام على معقلة بن هبيرة . وهذا هو قول المهيم بن عدى . كل هذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في " كتاب الأغاني الكبير " ^(٣) .

وحدث أناني " جمهرة النسب " لأن الكلبي كلاماً قد صرح فيه بأن سامة بن لؤي أعقب ، فقال : ولد سامة بن لؤي الحارث - وأمهم هند بنت تميم - وغالب بن سامة - وأمهم ناجية بنت جرهم بن ربان ، من قضاة ، فهلك غالب بعد أبيه ؛ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فولد الحارث بن سامة لؤياً وعبيدة وربيعة وسعداً ، وأمهم سُلَي بنت تميم بن شيبان ابن محارب بن فهر وعبد البيت ، وأمهم ناجية بنت جرهم ، خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح ممت ، فهم الذين قتلهم على عليه السلام

قال أبو الفرج الأصفهاني : أما الزبير بن بكار ، فإنه أدخلهم في قريش ؛ وهم قريش العازبة ، قال : وإنما سُموا العازبة ؛ لأنهم عَرَبُوا عن قومهم فَنَسَبُوا إلى أمهم ناجية بنت جرهم بن ربان بن علف ، وهو أول من اتخذ الرِّحالَ العِلَافِيَّةَ ، فسببت إليه ،

(١) نية المدح كما في الأمان : « وكان من حاجة ارتدوا عن الإسلام ، ولما ولي على بن أبي طالب رضي عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم وأقام سابقون على الردة ، فسلم واستسلم ، فاشترطهم بمقالة ابن هبيرة منه ، وأدى بنت ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعفاهم وحرره من تحت يده إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزمه الثمن ، فشعت على بن أبي طالب شيئا من داره ، وقبيل بل عندها . فلم يدخل بمقالة السكوة حتى قتل على بن أبي طالب رضي الله عنه » .

(٢) نكاح الممت أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ؛ وكان يصل في المعاملة وحرمة الإسلام .

(٣) الأمان ١٠ : ٢٠٥ - ٢٠٦ (طعة المار) .

واسم ناجية ليل ؛ وإنما سميت ناجية ، لأنها سارت مع سامة في مفازة ، فطشت ، فاستقته ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يُريها السراب ؛ حتى أتت إلى الماء فشربت ، فسميت ناجية .

قال أبو الفرج : والريير بن بكار في إدماعهم في قريش مذهب ؛ وهو مخالفة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وميله إليهم ، لإحسانهم على نفسه عليه السلام ، حسب للشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

• • •

[نسب علي بن الجهم وذكر طائفة من أخباره وشعره]

ومن المنسبين إلى سامة بن لؤي علي بن الجهم الشاعر ، وهو علي بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كوزاز بن كعب بن حابر بن مالك ابن عتبة^(١) بن الحارث بن عبدالمطلب بن سامة بن لؤي بن غالب .

هكذا ينسب نفسه ، وكان مبعوثاً لعل عليه السلام ، بنحو محم مروان بن أبي حفصة في مجاء الطالبين وذم الشيعة ، وهو القائل :

وَرَأَيْتُ تَقُولُ يَشِيبُ رَضْوَى : إمام ، خاب ذلك من إمام^(٢)

إمام من له عشرون ألفاً من الأتراك مشرعة السهام !

وقد هجاه أبو عباد البحتري ، قال فيه .

إِذَا مَا حُصِّلَتْ عَلَيَا قَرِيشٍ فَلَا فِي الصِّرِ أَنْتَ وَلَا التَّغِيرِ^(٣)

وَلَوْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا تَمْنَى زَادَ انْطِلَاقَ فِي عِظَمِ الْأَيُّورِ

(١) في الأغاني : « عينة » .

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٠٥ .

(٣) ديوانه ٢ : ١٠٣٨ (دار المعارف) ، والأغاني ١٠ : ٢٠٦ .

وما ألجمهم بن بدرٍ حين يعزى من الأفساركم ولا البدور^(١)
 علام هجوت عهداً علياً بما لفتت من كذبٍ وذور!
 أمالك في استك الوجماء شمل يكفك عن أذى أهل القبور!

• • •

وسمع أبو العياد علي بن الجهم يوماً بطعن علي أمير المؤمنين ، فقال له : أنا أدري لم
 . من علي أمير المؤمنين ! فقال : أننى قصة بينه أهل من مصفة بن هيرة ؟ قال : لا ،
 أنت أوضع من ذلك ؛ ولكنه عليه السلام قتل الفاضل من قوم لوط ، والفقول به ،
 وأنت أسفلها .

ومن شعر علي بن الجهم لما حسه للتوكل^(٢) :

الم تر مظهرين علي عتياً^(٣) وهم بالأنس إخوان الصفاء
 قلما أن بليت غدوا وراحوا^(٤) على أشد أسباب البلاء
 أبى أخطارهم أن يتصرفوني بمسالكهم بجاه أو ثراء^(٥)
 وخافوا أن يقال لهم : خذكم صديقا ، فادعوا قدم الجاه
 تظافرت الروافض والنصارى وأهل الإعتزال على هجائي

(١) الديوان والأغاني : « وما رغناؤك » ، ولحق حوش الأمانى : « الرغناء أسلها عصب أو عرق و
 التدى يدر الابن ؟ واستعملها البحري هنا في الأب » .

(٢) من قصيدة طويلة في ديوانه ٨١ - ٨٥ ، ول الأغاني ١٠ : ٢٠٦ - ٢٠٨ : « كان علي بن
 الجهم قد هجا مجتهداً ، فنه عند التوكل ، غلبه التوكل ، قال علي بن الجهم في حبه عمدة قصائد
 كتب بها إلى التوكل ، فأطلقه بعد ستة ثم هجا بعد ذلك إلى خراسان . فقال أول ما حبس قصيدة كتب
 بها إلى أخيه ؟ أولها قوله :

توكلنا على رب الساء وسئنا لأسباب القضاء

ثم أورد القصيدة .

(٣) الأغاني : « عيا » ، والديوان : « غشا » .

(٤) الديوان : « بليت بنسكة صلوا وراحوا » .

(٥) الديوان : « براء » ، وقال في شرحه : الثراء : الرأى .

وَعَاثُوهُ وَمَا ذَنْبِي إِلَيْهِمْ سِوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الرَّفَاءِ
يعني بالروافض : نجاج بن مسلمة^(١) ، والنصارى نَحْبِشُوع^(٢) ، وأهل الاعتزال
علي^(٣) بن يحيى بن المنجم^(٤) .

قال أبو الفرج : ^(٥) وكان علي بن الجهم من الحشوية^(٦) ، شديد المصيب^(٧)
عدوا للتوحيد والمذل ؛ فلما سخط المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وكفاه^(٨) ، قُتِلَ
به علي بن الجهم ، فبهناه ، وقال فيه^(٩) :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ دَعَاكَ بِمَشْرِئِكَ جَنَادِي لَا وَحْدِيدَا^(١٠)
مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي سَمَّيْتَهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ
أَفْسَدْتَ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلَيْتَهُ وَرَمَيْتَهُ بِأَبِي الْوَلِيدِ وَلِيدَا

(١) نجاج بن مسلمة ؛ كان على ديوان الخوارج والفتوح على العراق في عهد المتوكل ؛ لسكان جميع العراق
يتقونه ؛ وكان المتوكل ربيما غامضا ؛ وهو من أسكنوا سنة ٢٤٥ . تاريخ الطبري (وفیات سنة ٢٤٥) .

(٢) هو نحبشوع بن جبريل بن يحيى بن المنجم من أكبر النسطورية .

(٣) علي بن يحيى بن أبي منصور البحراني ، من أسكنوا سنة ٢٧٥ .
ابن حنكس ١ : ٣٥٦ .

(٤) في طبقات الشعراء لابن السمر ٣٢٠ . وإنما هي بالروافض الطائريين ؛ وأهل الاعتزال بن
دواد ، والنصارى نحبشوع بن جبريل ؛ فإنه كان بهناه .

(٥) الأغاني ١٠ : ٢١٧ .

(٦) الحشوية : فرقة من الرحضة يقولون : حكم الأحداث كلها واحد ؛ وعدم أن تترك الغل كترك
الفرس ، تصير القرطبي ٤ : ١٦٦ .

(٧) النواصب : قوم يتدينون ببنفسه على . (٨) كفاه ، أي طرده وأبعده .

(٩) ذكر صاحب الأغاني في هذا الخبر أنه لما حبس المتوكل على بن الجهم ، مدح أحمد بن أبي دؤاد عددها ،
وسأله أن يقوم بأمره ؛ منها قوله :

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا تَدْعِي لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
أَبْلَغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُرَّتُهُ خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَافُ لَا تَنْفَدُ
أَنْتُمْ بَنُو عِمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

فلم يسل وقد عته ؛ فلما حبس المتوكل أحمد بن أبي دؤاد تحت به علي بن الجهم ، وجهاه بهذه الأبيات
(١٠) ديوانه ١٢٥ ، ١٢٦ .

أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد، وكان رثبه قاضياً^(١) -

لَا تُحْكَمَا جَلْدًا وَلَا مُنْتَظَرًا كَهَلًا وَلَا مُتَّخَذًا تَحْمُودًا^(٢)
 شَرِّهَا إِذَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ وَالْمَلَا ذَكَرَ الْقَلَابَا مُبْدَاً وَسِيدًا^(٣)
 وَبَوْدَ لَوْ مُسِخَتْ رِيعةٌ كُلُّهَا وَبَنُو لِأَادٍ صَحْفَةً وَتَرِيدًا
 وَإِذَا تَرَبَّعَ فِي الْحَالِسِ خِلْتُهُ ضَمًّا وَخِلْتُ بَنِي أَبِيهِ قُرُودًا
 وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا شَهْتُهُ شَرِّقًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدُودًا
 لَا أُصْبَحَتْ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصَرَتْ يَتَكَ النَّسَاجِرَ وَالنَّسَايَا السُّودَا
 وَقَالَ يَهْجُوهُ لَمَّا قُلِيعَ^(٤) :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سَوَى خِيَالِكَ لَامًا فَوْقَ الْفِرَاشِ مُمَهَّدًا يَوْمًا
 فَرَحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَرِيَّةِ كُنْهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوَقِفًا بِمَعَادٍ
 كَمْ مَجْلِسٍ قَدْ قَدْ عَطَلْتُهُ كَى لَا يَحْدُثُ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
 وَلَكُم مَصَابِيحُ لَنَا أَطْفَالُهَا حَتَّى تَحِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَهَادَى^(٥)
 وَلَكُم كَرِيمَةٌ مَقْتَرٍ أَرْمَلَتْهَا وَتُحَدِّثُ أَوْثَقَتْ فِي الْأَفْيَادِ
 إِنْ الْأَسَارَى فِي الشُّجُونِ تَفَرَّحُوا لَمَّا أُنْتُكَ مَوَاكِيبُ الْعَوَادِ
 وَعَدَا الْمَصْرَعُ الْعَلِيبُ فَلَمْ يَحْدُ لَمَّوَاهُ دَائِكَ حَيْلَةُ الْمَرْتَادِ
 فَذُقِ الْمَوَانَ مَعْجَلًا وَمَوْجَلًا وَاقْ رُبَّ الْمَرَّشِ بِالْمِرْحَادِ
 لَا زَالٍ قَابِلُكَ الَّذِي بِكَ دَائِمًا وَفُجِئَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

(١) وكان يتولى للظالم سرا بسا مراء، وعمره للتوكل سنة ٢٣٧

(٢) الديوان والأغاني : « لَا تُحْكَمَا جَرَلًا » والجزل هنا : الجيد الرأي .

(٣) القلابا : اللقيبات ؛ مفردة قلية .

(٤) ديوانه ١٢٨ ، ١٢٩ ، والأغاني ١٠ : ٢٢٩ .

(٥) الأغاني : « حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَهَادَى » .

وروى أبو النرج الأصفهاني في كتاب "الأغاني" ، في ترجمة مروان بن أبي حفصة^(١) الأصغر
 أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش ، فلم يزوجه ، وبلغ التوكل ذلك ، فسأل عن
 السبب ، فحدث بقصة بنى سامة بن لؤي ، وأن أبا بكر وصر لم يَدْخُلَا في قريش ، وأن
 عثمان أدخلهم فيها ، وأن علياً عليه السلام أخرجهم منها ، فارتدوا ، وأنه قتل من ارتد
 منهم ، وسقى بقتلهم ، فباعهم من مَصْقَلَة بن هيرة ، فضحك التوكل ، وبعث إلى علي بن
 الجهم فأحضره ، وأخبره بما قال القوم ، وكان فيهم مروان بن أبي حفصة المكشي بالسمط
 وهو مروان الأصغر ، وكان التوكل يغربه بعل بن الجهم ، ويضعه على عاتقه وتلبه ،
 فيضعك منها ، فقال مروان :

إِنْ جَهْمًا حِينَ تَنْسُبُهُ لَيْسَ مِنْ عَجْمٍ وَلَا عَرَبٍ
 لَيْجٌ فِي شَتَّى بِلَا سَبَبٍ سَارِقٌ لِلشَّرِّ وَالنَّسَبِ
 مِنْ أَنْاسٍ يَدْعُونَ أَبَا مَالَهُ فِي النَّاسِ مِنْ قَبِ

فغضب علي بن الجهم ، ولم يحبه ، لأنه كان يسمّوه ، فأومأ إليه التوكل أن
 يزیده ، فقال :

أَنْتُمْ يَا بَنَ جَهْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ بَاعَكُمْ عَنْ تَرْبَةٍ
 أَرْجُو أَنْ تَكَاثُرَ مَا جِهَاراً بِأَصْلِكُمْ وَقَدْ بَاعَ الْجَدُودُ

فلم يحبه ابن الجهم ، فقال فيه أيضا :

عَلَى تَعَرَّضَتْ إِلَى ضَلَّةٍ لَجَهْمِكَ بِالشَّرِّ يَا مَارِئِقُ^(٢)
 تَرُومُ قُرَيْشًا وَأَنْسَابَهَا وَأَنْتَ لَأَنْسَابِهَا سَارِقُ
 فَإِنْ كَانَ سَامَةً جَدًّا كَلَّمُ فَتَمْلِكُ مِنِّي إِذَا طَلَّقُ

(١) لم أجده هنا الخبر وهذا الشعر فيها طبع من كتاب الأغاني .
 (٢) المارئي : الأحمق .

[نسب مصقلة بن هيرة]

فَأَمَّا نَسَبُ مَصْقَلَةَ بْنِ هِيرَةَ ، فَإِنَّ ابْنَ الْكَلْبِيِّ ، قَدْ ذَكَرَهُ فِي " جَهْرَةِ النِّسَبِ " ،
فَقَالَ : هُوَ مَصْقَلَةُ بْنُ هِيرَةَ بْنِ شَيْثَلٍ بْنِ يَثْرُبَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَنْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ بْنِ قَاسِطٍ بْنِ
هَنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ ذُعَيْمٍ ، مِنْ جَدِيدِلَةَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعْدَةَ بْنِ عَدْنَانَ .

• • •

[خبر بني ناجية مع علي]

وَأَمَّا خَبَرُ بَنِي نَاجِيَةٍ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ النَّقْفِيُّ
فِي كِتَابِ " الْفَارَاتِ " ، قَالَ :  :
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ ، عَنْ تَصْرِ بْنِ مَزَاهِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هَمْرُ بْنُ سَعْدٍ ،
عَنْ حَدِيثِهِ مِنْ أَدْرَكَ أَمْرَ بَنِي نَاجِيَةٍ ، قَالَ : لَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلِيًّا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، دَخَلُوا
فِي الطَّاعَةِ عِوَرََ بَنِي نَاجِيَةٍ ، فَإِنَّهُمْ هَنَكُرُوا ، فَبِثَّ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِهِ فِي خَيْلٍ لِيُقَارِنَهُمْ ، فَأَنَامَ ، فَقَالَ : مَا بَالُكُمْ هَكَرْتُمْ ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي الطَّاعَةِ
غَيْرَكُمْ فَأَعْتَرَقُوا ثَلَاثَ فُرُقٍ : فَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا ، وَدَخَلْنَا فِيهَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ
مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَبَحْنُ نَهَائِجٍ كَمَا بَايَعَ النَّاسُ ؛ فَأَسْرَمَ فَأَعْتَرَلُوا . وَفَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَلَمْ نَسْلَمْ ،
وَخَرَجْنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا ؛ فَهَرَمُوا فَأَخْرَجُونَا كَرَّهَا ، فَخَرَجْنَا مَعَهُمْ فَهَزَمُوا ،
فَنَعْنُ مَدْخُلٌ فِيهَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ ، وَنُعْطِيكُمْ الْجُزْيَةَ كَمَا أُعْطِينَاهُمْ ؛ فَقَالَ : اعْتَرَلُوا فَأَعْتَرَلُوا .
وَفَرَقَةٌ قَالُوا : كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا فَلَمْ يُعْجِبْنَا الْإِسْلَامُ ، فَخَرَجْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، فَنَعْنُ نُعْطِيكُمْ
الْجُزْيَةَ كَمَا أُعْطَاكُمْ النَّصَارَى . فَقَالَ لَهُمْ : تَوْبُوا وَارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَبَوْا ، فَفُتِلَ مُقَاتَلَتُهُمْ
وَسَقَى فِرَارَهُمْ ، وَقَدَّمَ بِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

[قصة الخريت بن راشد الناجي وخروجه على علي]

قال ابن هلال الثقفي : وروى محمد بن عبدالله بن عثمان ، عن أبي سيف ، عن الحارث ابن كعب الأزدي ، عن عمه عبد الله بن قعين الأزدی ، قال : كان ^(١) الخريت بن راشد الناجي ، أحد بني ناجية ، قد شهد مع علي عليه السلام صفين ، فجاء إلى علي عليه السلام بعد انقضاء صفين ، وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه ، يمشی بينهم حتى قام بين يديه ، فقال : لا والله لا أطيعُ أمرك ، ولا أصلي خلفك ، وإني غدا لمفارق لك ؛ فقال له : ثبكتك أمك ! إذا تنقض عهدك ، وتعمي ربك ، ولا تضر إلا نفسك ، أخبرتني لم تفعل ذلك ! قال : لأنك حكمت في الكتاب ، وضفت عن الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك رادة ، وعليهم ناقم ، ولكم جميعا مباين .

فقال له علي عليه السلام : وَيَعْلَمُ إِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ أَمْرًا سَنَك وَأَمَّا ظُرُك فِي السَّن ، وَأَمَّا تَمَكْ أُمُورًا مِنْ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ ؛ فَلِمَ تَعْرِفُ مَا أَمَّا الْآنَ لَهُ مِنْكَ ، وَتُبْصِرُ مَا أَمَّا الْآنَ مِنْهُ عَمَّ وَبِهِ جَاهِل ، فقال الخريت : فَإِنِّي غَدًا عَلَيْكَ غَدًا . فقال علي عليه السلام : اغْدُ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ، وَلَا يَفْضَحَنَّ بِكَ رَأْيُ السُّوءِ ، وَلَا يَسْتَحْفَنَنَّكَ الْجَهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنْ اسْتَرَشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ .

فخرج الخريت من عنده مُنْصَرَفًا إِلَى أَهْلِهِ .

قال عبد الله بن قعين : ففعلت في أمره مُسْرِيًا ، وكان لي من بني عمه صديق ، فأردت أن أُلْقِيَ إِلَيْهِ مِنْ عَمِّهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَعْلَمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَحْمِلَهُ أَنْ يَشْتَدَّ بِلِسَانِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُصَاحَبَتِهِ ، وَيَحْبِرَهُ أَنَّ ذَلِكَ حَيْرٌ لَهُ فِي هَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ .

قال : فخرجت حتى انتهيت إلى منزله - وقد سقي - فقامت عند باب دار فيها رجال من أصحابه ، لم يكونوا شهدوا معه دحوه على أمير المؤمنين عليه السلام ، فوالله ما رَجَعَ

(١) وانظر الخبر أيضاً في تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ وما بعدها .

ولا نديم على ما قال لأمر المؤمنين وما ردّ عليه ، ولكنه قال لهم : يا هؤلاء ، إنى قد رأيت
أن أفارق هذا الرجل ، وقد فارقت على أن أرحع إليه من غير ، ولا أرى إلا المفارقة ؛ فقال
له أكثر أصحابه : لا تفعل حق تأتيه ، فإن أنك بأمر نعرفه قبلت منه ، وإن كانت
الأخرى فما أفدرك على فراقه ! قال لهم : نعم ما رأيتم ؛ قال : فاستأذنت عليهم فأذموا
لي ، فأقبلت على ابن عمه - وهو مدرك بن الربان الناجي - وكان من كبار العرب - فقلت
له : إن لك على حقاً لإحسانك ووؤدك وحقك للسلم على السلم^(١) . إن ابن عمك كان منه ما قد
ذكر لك ، فاحلّ به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى ؛ واعلم أنّي خائف إن فارق
أمر المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته فقال : جراك الله خيراً من أبع ! إن أراد فراق
أمر المؤمنين عليه السلام فني ذلك هلاكه ، وإن اختار مناصحته والإقامة معي فني
ذلك حفظه ورؤسده .

قال : فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لأعليه الذي كان ؛ ثم اطمأنت إلى
قول صاحبي ، فرجعت إلى منزلي ، فبثت ثم أصبحت ، فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين
عليه السلام ، فجلست عنده ساعة ، وأما أريد أن أحدثه بالقى كان على خلوة ، فأطلت
الجلوس ، ولا يزداد الناس إلا كثرة ، فدموت منه ، فجلست وراءه ، فأصغى إلى برأسه ،
فأخبرته بما سمعته من الخريبت ، وما قلت لابن عمه وما ردّ علي ، فقال عليه السلام :
دعه ؛ فإن قيل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلم
لا تأخذه الآن فتستوثق منه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكل من يُتهم من الناس ملأنا
السجون منهم ، ولا أراي يستفي الثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يُظهروا
لى الخلاف .

قال : فسكت عنه وتنعيت ، فجلست مع أصحابي هنيهة ، فقال لي عليه السلام :

(١) في الطبري : « بد حق السلم على السلم » .

اذن مني ، فدوت ، فقال لي مسيراً : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل ؛ فإنه قل يوم لم يكن يأتي في هذه الساعة ، فأتيت إلى منزله ، فإذا ليس في منزله منهم دينار ، فدرت على أبواب دور أخرى ، كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها دايغ ولا عجيب . فأتيت إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي حين رأي : أوطنوا^(١) فاقاموا ، أم جبنوا فظلموا ؟ قلت : لا بل ظلموا ، فقال : أبعدهم الله كما بعث نوح ! أما والله لو قد أشع عت لم الأيتة ، وصبت على هامهم السيوف ، لقد ندموا ؛ إن الشيطان قد استهواهم وأصلهم ، وهو غدا متبري منهم ، ومحل عهم ؛ فقام إليه رباد بن خصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لو لم يكن من مفرقة هؤلاء إلا مراقهم إيتا لم يعظم قدوم علينا ، فإتهم قلما يزدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقتلنا يتقصون من عددنا مخرجهم منا ، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك ؛ فاذن لي في اتاعهم حتى أردم عليك إن شاء الله .

فقال له عليه السلام : فأخرج في آثارهم راشداً ؛ فلما ذهب ليخرج قال له : وهل تدري أين توجه القوم ؟ قال : لا والله ؛ ولكني أخرج فأسأل وأنسج الأثر ، فقال : أخرج رحك الله حتى تنزل دبر أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمرى ؛ فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة ؛ فإن عمالي ستكتب إلى ذلك ، وإن كانوا متفرقين مستخفين ؛ فلك أحق لهم ، وسأكتب إلى من حولي من عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرى عليه كتابي هذا من العمال ، أما بعد ، فإن رجالاً لنا عندهم تبعه ، خرجوا هرباً لنظمتهم خرجوا نحو بلاد البصرة ، فأسأل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العميون في كل ناحية من أرضك ، ثم اكتب إلى بما ينهي إليك عنهم . والسلام .

(١) وطن بالمكان ، أي أطم ، وانظر تاريخ الطبري : ١١٥ .

نخرج زياد بن خَصَّة حتى أتى داره ، وجمع أصحابه لحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
يا معشر بكر بن وائل ؛ إن أمير المؤمنين قد نبى لأمر من أموره مهم له ، وأمرنى بالانكماش
فيه بالمشيرة ؛ حتى أتى أمره ؛ وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوثق حتى من أحياء العرب في
نفسه ، فانتدبوا منى الساعة ، وتجهلوا . هو الله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليهم مائة وثلاثون
رجلا ، فقال : اكنفينا لا يريد أكثر من هؤلاء ؛ نخرج حتى قطع الجسر ،
ثم أتى دير أبي موسى فزله ، فأقام به بقية يومه ذلك ، ينتظر أمر أمير المؤمنين
عليه السلام .

قال إبراهيم بن هلال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، عن أبي
العلاء التيمي ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن وائل التيمي ، قال : أتى لعند
أمير المؤمنين ؛ إذا فجع^(١) قد جاءه بكتابه من قمر ظلة بن كعب بن عمرو الأنصاري . وكان
أحد عماله - فيه :

لعبد الله على أمير المؤمنين من قرظة بن كعب ، سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد :

فإني أخبر أمير المؤمنين ، أن خيلا مرث من قبل الكوفة متوجهة [بحر يفر]^(٢) وأن رجلا
من دهاقين أسفل القرائن قد أسلم وصلى ، فقال له : رادان فروخ ؛ أقبل من عند أحوال له
فلقوه ، فقالوا له : أسلم أم ستام كافر ؟ قال : بل مسلم ، قالوا : فما تقول في علي ؟ قال : أقول
فيه خيرا ؛ أقول : إنه أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البشر ووصي رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقالوا : كفرته يا عدو الله أنتم حملت عليه عصاة منهم ، فقتلوه بأسيافهم ،
وأخذوا معه رجلا من أهل القبة يهوديا ، فقالوا له : ما يدريك ؟ قال : يهودي ، فقالوا :

(١) الفجع : رسول السلطان على رجليه ؛ فارسي معرب « بيك » . تاج العروس ٢ : ٨٩ .

(٢) تسكة من تاريخ الطبري . وقر : بلدة على نهر العرس .

خَلَّوْا سَبِيلَ هَذَا ، لَسَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الْقَوْمُ ، فَأَخْبَرَنَا الْخَبْرَ ، وَقَدْ سَأَلَتْ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ شَيْءً ، فَلْيَكْتُبْ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ بِرَأْيِ أَنتَ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَكْتُبْ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ فَهِمْتُ مَا مَازَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْعَصَاةِ الَّتِي مَرَرْتَ بِعَمَلِكَ ، فَقَتَلْتَ الْبِرَّ الْمُسْلِمَ ، وَأَمِنْ عِنْدَهُمُ الْخَالِفُ الْمَشْرُوكُ^(١) ؛ وَإِنَّ أَوْلَئِكَ قَوْمٌ اسْتَهْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَضَلُّوا ، كَالَّذِينَ حَسِبُوا أَنَّهُ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَضَمُّوا ، فَاسْمَعْ بِهِمْ وَأَنْصِرْ يَوْمَ تَخْرُجُ^(٢) أَعْمَالُهُمْ ؛ فَالَّذِينَ كَفَرُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى خُرَاجِكَ ؛ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَبَصِيحَتِكَ ، وَالسَّلَامُ .

قَالَ : فَكْتُبْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصَفَةَ ، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَائِلِ بْنِ التَّيْمِيِّ ، كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَنْزِلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ؛ وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ أَيْنَ نَوَاحِ الْقَوْمِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ آتَهُمْ أَخَذُوا بِمَوْقِفَةٍ مِنْ قُرَى السَّوَادِ ، فَاتَّبَعْتُ آثَارَهُمْ وَوَسَّلْتُ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُصَلِّيًّا ، فَإِذَا أَنْتَ لَحَقْتَ بِهِمْ فَارْجِعْهُمْ إِلَيَّ ، فَإِنَّ أَبَوَاءَ فَنَاجِرِهِمْ ، وَاسْتَمِعْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ ، وَفَكَّرُوا فِي الدَّمِ الْحَرَامِ ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ . وَالسَّلَامُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَائِلٍ : فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ فَضِيتُ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا أَمْضِي مَعَ زِيَادِ بْنِ خَصَفَةَ إِلَى هَلْوَكَ ، إِذَا دَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى أَخِي ، الْفَلَّ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصَوَانِي عَلَى الْحَقِّ وَأَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَحَبَّ أَنْ لِي بِمَقَالِهِ

(١) الطَّبْرِيُّ : « الْكَافِر » .

(٢) كَذَا فِي ج وَالتَّبْرِيُّ ، وَفِي أ ، ب : « تَخْرُجُ » .

تلك حُرَّة النعم ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أما والله كذلك من أولئك ؛ أنا والله حيث نحب .

ثم مضيت إلى زياد بالكتاب ، وأما على فرس رافع كريم ، وعلى السلاح ، فقال لي زياد : يا ابن أخي ، والله مالي عنك من غنى ^(١) ، وإني أحت أن تكون معي في وجهي هذا ، فقلت : إني قد استأذنت أمير المؤمنين في ذلك فأذن لي ، فسرّ بذلك ، ثم خرجنا حتى أتينا للوضع الذي كانوا فيه ، فألنا عنهم ، فقيل : أخذوا نحو المدائن فلحقناهم ؛ وهم نزول بالمدائن ، وقد أقاموا بها يوماً وليلة ، وقد استراحوا وعلفوا خيولهم ، فهم جاثون مريحون ، وأنبياءهم وقد تقطعنا وإفينا ونصينا ؛ فلما رأونا وثبوا على خيولهم ، فاستروا عليها ، لجئنا حتى انتهينا إليهم ؛ فنادى الخريّيت بن راشد : يا عريان القلوب والأبصار ، أمع الله وكتابه أمم أم مع التوم الطالين ؟ فقال له زياد بن حصّة : هل مع الله وكتابه وسنة رسوله ، ومع من الله ورسوله وكتابه أثرٌ عنده من الدنيا نواباً وتوأنها منذ يوم خلقت إلى يوم تفتق لأثر الله عليها . أيها العمى الأبصار ، الصمّ الأسماع !

فقال الخريّيت : فأحبرونا ما تريدون ؟ فقال له زياد : وكان محمّداً رقيقاً : قد ترى ما بيننا من النصب والفتوب ^(٢) ، والذى جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية على رؤوس أصحابك ؛ ولكن تنزلون وتنزل ، ثم نخلو حبيماً ، فتذاكر أمرنا وننظر فيه ؛ فإن رأيت فينا جئنا له حظاً لنفسك قبلته ، وإن رأيت فيها أسمع منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أردّه عليك .

فقال الخريّيت : انزل ، فنزل ، فأقبل إلينا زياد ، فقال : انزلوا على هذا الماء ، فأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فنزلنا به ، فها هو إلّا أن نزلنا فخرقنا ، فتعلّقنا عشرة وتسعة وثمانية وسبعة ، نضع كل حلقة طعامها بين أيديها ، لتأكل ثم تقوم إلى الماء فتشرب

(٢) الخبى : من السبب والفتوب .

(١) الطبرى : غنى .

وقال لنا زياد : علقوا على حيولكم ، فملقنا عليها بحاليها ، ووقف زياد في خسة
 موارس ؛ أحدهم عبد الله بن أبي يزيد وبين القوم ، وانطلق القوم فتتبعوا ، هزلوا وأقبل
 إلينا زياد ، فلما رأى نفرنا ومملقنا ، قال : سبحان الله ! أنتم أصحاب حرب ! والله لو أن
 هؤلاء جاءوكم الساعة على هذه الحالة ما أرادوا من غيرتكم أفصل من أعمالكم التي أنتم
 عليها ؛ مجلوا ، قوموا إلى حيولكم . فأسرعت فتنا من بقوصاً ، ومنا من بشر ، ومنا من
 بسق فرسه ، حتى إذا فرغنا من ذلك أتينا زيادا ، وإن في يده لمرقا^(١) ينهسه ، قنيس منه
 هسيتين أو ثلاثة ، ثم أتى بإداوة فيها ماء ، فشرب ثم ألقى العرق من يده ، وقال : يا هؤلاء ؛
 إنا قد لقينا العدو ، وإن القوم لي عذتكم ، ولقد حرزتهم فما أظن أحد الفريقين
 يزيد على الآخر خسة نفر ؛ إني أرى أمركم وأمرهم سيمير إلى القتال ؛ فإن كان ذلك فلا تكونوا
 أمجزاً للفريقين .

ثم قال : لياخذ كل رجل منكم بسان فرسه ، فإذا دنوت منهم وكلت صاحبهم ، فإن
 تأمن على ما أريد ؛ وإلا فإذا دعوتكم فاستولوا على متون خيلكم ، ثم أقبلوا ممّا عبر
 متفرقين . ثم استقدم أمامنا وأنا معه ، فسمعت رجلاً من القوم يقول : جاءكم القوم وهم
 كالون مغيون ، وأنتم جائون^(٢) مريجون^(٣) ، فذكرتهم حتى مرّوا فأكلوا وشربوا ،
 وأراحوا دوابهم ؛ هذا والله سوء الرأي .

قال : ودعا زياد صاحبهم انخرت ، فقال له : اعتزل منظر في أمرنا ، فأقبل إليه في
 خسة نفر ؛ فقلت لزياد : أدعوك ثلاثة نفر من أصحابنا ؛ حتى ندقاهم في عددهم ؟ فقال :
 ادع من أحببت . فدعوت له ثلاثة ؛ فكما خسة وهم خسة .

فقال له زياد : ما الذي نمت على أمر المؤمنين وعلينا حتى طرقتنا ؟ فقال : لم أرض

(١) العرق بالفتح : الظم بلحمه ، ويقال : بهش اللحم ، أي أخذه بقدم أسنانه .

(٢) حم ، من الجمام ، وهو الراحة

(٣) مريجون ؛ من لولهم : أراح فلان ؛ إذا رحمت إليه نفسه بعد الإعياء .

صاحبكم إماما، ولم أرضَ بديرتكم سيرة، فرأيتُ أنْ أُعزِلَ، وأكونَ مع مَنْ يدعو إلى الشورى بين الناس؛ فإذا اجتمع للناسُ على رجلٍ هو لجميع الأمة رِضاَ كنتُ مع الناسِ . فقال زياد : ويحك ! وهل يجتمع الناسُ على رجلٍ يُداني عليًّا عالمًا بالله وبكتابه وسنة رسوله ، مع قرابته وساهته في الإسلام ! فقال الخِزَيت : هو ما أقول لك ، فقال : فقيم قتلتم الرجل المسلم ؟ فقال الخِزَيت : ما أنا قتلته ؛ قتلته طائفة من أصحابي ، قال : فادفعهم إلينا قال : ما إلى ذلك من سبيل ، قال : أو هكذا أنت فاعل ! قال : هو ما تسمع .

قال : فدعونا أصحابنا ، ودعنا الخِزَيت أصحابه ، ثم اقتتلنا ؛ فوافقه ما رأيت قتالا مثله منذ خلق الله ، لقد تطاعنا^(١) بالرمح حتى لم يبقَ في أيدينا رُمح ، ثم اضطررنا بالسيوف حتى انمحت ، وعُقرت^(٢) طامة حيلنا وخيلهم ، وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم ، وقتل مِنَّا رجلان : مولى لزياد كانت معه رأيتُه يدعى سويلم ورجلٌ من الأبناء يدعى واقد بن بكر ، وصُرع منهم خمسة نفر ، وحال الأهل بيننا وبينهم ؛ وقد وافقه كرهونا وكرهناهم ، وهزونا وهزرتناهم^(٣) ، وقد جرح زياد وجرحنا . ثم إنا بتنا في جانب وتنجسنا ، فسكنوا ساعة من الليل ثم مضوا ، فذهبوا وأصبحنا ، فوجدناهم قد ذهبوا ؛ فوافقه ما كرهنا ذلك ؛ ففضينا حتى أتينا للضرورة ، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز^(٤) ، فزلوا في جانب منها ، وتلاحق بهم ناسٌ من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة ، لم يكن لهم من القوة ما ينهضون به^(٥) معهم حين نهضوا ؛ فاتبعوهم من بُعد لحوقهم بالأهواز ، فأقاموا معهم . قال : وكتب زياد بن خصفة إلى عليّ عليه السلام :

أما بعد ، فإننا لقينا عدو الله التاجي وأصحابه بالمدائن ؛ فدعوناهم إلى الهدى والحق وكلمة

(١) الطبرى : « اطمنا » .

(٢) عُقرت الذاة ؛ إذا قُسمت قواها بالسيف .

(٣) هزونا وهزرتناهم ؛ أى كرهونا وكرهناهم .

(٤) الأهواز : سبع كور بين البصرة و فارس .

(٥) الطبرى : « ما يهضم » .

السواء ؛ فحولوا عن الحق وأخذتهم العرة بالإثم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل ؛ فصدّونا وصدّنا صدم ، وقتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن دَلَّكَ^(١) الشمس ، واستشهد منا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسة نفر ، وغلّوا لنا الممرّة ، وقد شتفتنا وفيهم الجراح - ثم إن القوم لما أدركوا القبل خرجوا من تحت متكرّين إلى أرض الأهواز ؛ وقد بلّغنا أنهم زلوا من الأهواز جابها ، ونحن بالبصرة نداوى جراحنا ، وننظر أمرك رحمتك الله ؛ والسلام .

فلما أتاه الكتاب ، قرأه على الناس ، فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ! إنما كان ينبغي أن يكون مكان كل رجل من هؤلاء الذين يشتمهم في طاهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقهم استأصلوا شأفهم^(٢) ، وقطعوا دابرهم ؛ فأما أن تلقاهم بأعدادهم ؛ فلعمرى (يصدرون لهم) فكمهم قوم عرب ، والمدة نصير للمدة ، فيقاتلون كل القتال .

قال : فقال عليه السلام له : تجهّز يا معقل إليهم ، وتذبّ معه ألفين من أهل الكوفة ، فهم يزيد بن معقل ، وكشب إلى عبدالله بن العباس بالبصرة رحمه الله تعالى : أما بعد ، فابست رجلا من قبلك صديقا شجاعا ، معروفا بالصلاح في ألقى رجل من أهل البصرة ، فليتبّع معقل بن قيس ؛ فإذا خرج من أرض البصرة ، فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقلا ؛ فإذا لقيه فمعقل أمير الفريقين ، فليبع^(٣) منه وليعطه ولا يخالفه ؛ ومُرّ زاد بن خصّة فليقبل إلينا ، فنعم المرء زاد ؛ ونم القليل قبيله ؛ والسلام .

(١) دلّك الشمس : اصفرّت وحنعت للحم .

(٢) الشأفة في الأصل : فرجة تفرح و أصل الدم فتكوى فتذهب ؛ وإذا تمنت مات صاحبها ؛ وقولهم : استأصل الله شأفه ؛ أي أذهب كما تذهب الفرجة ، ومما أزاله من أصله .

(٣) فليبع : فليبع من معقل .

قال : وكتب عليه السلام إلى زياد بن خصفة :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت به الناجي وأصحابه ، الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ؛ فهم حيارى ضلون ، يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ؛ فما أنت وأصحابك فله سبيكم وعليه جراؤكم ؛ وأيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يقتل الجاهلون بأنفسهم عليها ، ف (ما عندكم) بنفذ وما عند الله باق ؛ ولنغريز الدين صبروا أجرتهم بأحسن ما كانوا يعملون (١) : وأما عدوكم الذين لقيم غشيتهم حرواحهم من الهدى ، وارتكاسهم في الصلاة ، وردهم الحق ، وجاحهم في النية ، فزعم وما يفترون ، ودفعهم في طغيانهم يعمهون ، فاسمعهم وأبصر ؛ فكأنك منهم عن قليل بين أسير وقَتيل ، فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتم ، وأحسنتم البلاء واللام

قال : ونزل الناجي جاسا من الأهواز ، واجتمع إليه علاج كثير من أهلها ؛ فمن أراد كسر الخراج ومن المصوص ، وطاعة أخرى من الأعراب ترى رأيه .

قال إبراهيم بن هلال : فحدثنا محمد بن عبدالله ، قال : حدثني ابن أبي سيف ، عن الحارث بن كعب ، عن عبدالله بن قمين ، قال : كنت أما وأخي كعب بن قمين في ذلك الحيش مع معقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين (٢) عليه السلام يودعه ، فقال : يا معقل بن قيس ؛ اتق الله ما استطعت ؛ فإنه وصية الله للمؤمنين ؛ لا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الدمة ولا تكبر ؛ فإن الله لا يحب المتكبرين . فقال معقل : الله السعمان ، فقال : خير سعمان .

(١) سورة النحل ٩٦ .

(٢) الطبري : « أقبل إلى علي » .

ثم قام فخرج ، وخرجنا معه ؛ حتى نزل الأهواز ، فأقنا ننتظر بمَثَ البصرة ، فأبطأ علينا ، فقام معقل فقال : أيها الناس ؛ إنا قد احتظرنا أهل الحيرة ، وقد أبطئوا علينا ، وليس بنا بحمد الله قلة ولا وحشة إلى الناس ؛ فسيروا بنا إلى هذا المدوّ القليل الذليل ؛ فإني أرجو أن يصبركم الله ويهلكهم . فقام إليه أخى كعب بن قعب فقال : أصبت إن شاء الله رأينا رأيك ، وإني لأرجو أن ينصرنا الله عليهم ؛ وإن كانت الأخرى ؛ فإن في الموت على الحق لتعزية عن الدنيا . فقال : سيروا على بركة الله . فسيرنا ، فوالله ما زال معقل ابن قيس لي ولأخى مُكرماً واداً ، ما يبدل بنا أحداً من الجند ، ولا يزال يقول لأخى : كيف قلت ؛ إن في الموت على الحق لتعزية عن الدنيا اصدقت والله وأحسنت ، ووقفت وقلك الله ؛ قال : فوالله ما سيرنا يوماً ؛ وإذا بخيخ (") يشتد بصحيفة في يده .

من عهد الله بن عباس إلى معقل بن قيس ، أما بعد ؛ فإن أدركك رسول بالمكان الذي كنت مقباً به ، أو أدركك وقد شغصت منه ؛ فلا تبرحن من المكان الذي ينتهي إليك رسول وأنت فيه ، حتى يقدم عليك بمنّا الذي وجهناه إليك ، فقد وجهت إليك خالد بن معدان الطائي ، وهو من أهل الدين والصلاح والنجدة ، فاسمع منه واعرف ذلك له إن شاء الله والسلام .

قال : فقرأ معقل بن قيس على أصحابه . فسرّوا به ، وحمدوا الله ، وقد كان ذلك الوجه هالهم . وأقنا حتى قدم علينا خالد بن معدان الطائي ، وجاءنا حتى دخل على صاحبنا ، فسلم عليه بالإمرة ، واجتمعنا جميعاً في عسكر واحد ، ثم خرجنا إلى الناجى وأصحابه ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رَامَهْرُمَز ، يريدون قلعة حصينة ، وجاءنا أهل البلد ، فأخبرونا بذلك ، فخرجنا في آثارهم فلمعناهم ، وقد دنّوا من الجبل ، فصفقنا لهم ، ثم أقبلنا نحوهم ، فجعل معقل على ميمته يزيد بن المحقل الأزدي ، وعلى يسرته معجب بن راشد الضبي ، ووقف

الخزيم بن راشد الناحي عن معه من القرب ، فكانوا ميمنة ، وحمل أهل البلد والعلوج^(١) ومن أراد كسر الحراج وجماعة من الأكراد ميسرة .

قال : وسار فيما مقل بحرنا ، ويقول : يا عباد الله ، لا تبدهوا القوم ، وغضوا الأبصار ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والصرب ، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقة مرقّت وعلوجا^(٢) ممنوا الحراج ، ولصوصا وأكرادا ، فانتظرونا فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد .

قال : فر في الصف يكلمهم ، يقول هذه المقالة ، حتى إذا مرّ بالناس كلهم أقبل فوقف وسط الصف في القلب ، ونظروا إليه ما يصنع ، فحرك رأسه تحريكين ، ثم حمل في الثالثة ؛ وحملنا معه جنينا ، فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولّوا واهزموا ، وقتلنا سبعين عربيا من بني ناجية ، ومن بمصل من اتبعنا من العرب ، ونحو ثلثمائة من العلوج والأكراد .

قال كعب : ونظرت ، فإذا صديق مدرك بن الزيات قليلا ، وخرج الخزيم منهمزما ، حتى لحق بسيف^(٣) من أسياف البحر ؛ وبها جماعة من قومه كثير ، فزال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علي عليه السلام ، ويزن لهم فراقه ، ويحرمهم أن الهدى في حربه ومخالفته ، حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح ، وكنت أنا الذي قدّم بالكتاب عليه ، وكان في الكتاب :

لعبد الله علي أمير المؤمنين ، من معقل بن قيس . سلام عليك ، فإنني أحتد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإننا تعيننا المارقين ؛ وقد استظهروا علينا بالمشركين ؛

(١) العلوج : كفار الجبل ؛ واحد علج .

(٢) السيف ، بالكسر ؛ ساحل البحر .

فقتلنا منهم مائتا كثيرا ولم تعد فيهم سيرتك فلم تقتل منهم مذبرا ولا أسيرا ؛ ولم تدف (١) منهم على جريح ، وقد نصر الله المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

قال : فلما قدمت بالكتاب على علي عليه السلام ، قرأه على أصحابه ، واستشارهم في الرأي ، فاجتمع رأي عاتمهم على قول واحد . قالوا : نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس ؛ ينزع آثارهم ، ولا يزال في طلبهم حتى يقتلهم أو يبعيهم من أرض الإسلام ؛ فإننا لا نأمن أن يفسدوا عليك الناس .

قال : فردني إليه ، وكتب معي :

أما بعد ؛ فالحمد لله على تأييده أو لياؤه ، وخدله أعداءه ، جراك الله والمسلمين خيرا ؛ فقد أحسنتم اللاء ، وقصصتم ما عليكم ، فاسأل من أحيى نبي ناحية ، فإن نلتك أنه استقر في بلد من البلدان ، فسير إلى الله حتى تقتله أو يفتيه ، فإنه لم يزل للمسلمين عدوا ، وللمسلمين وليا ، والسلام .

قال : فسأل معقل عن مسيره والمكان الذي انتهى إليه ، فبقي بمكانه بسبب البحر بفارس ، وأنه قد رد قومه عن طاعة علي عليه السلام ، وأفسد من قبله من عبد القيس ، ومن والاه من سائر العرب ، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام حنين ، ومنعوها في ذلك العام أيضا ، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الخيش من أهل الكوفة والبصرة ، فأخذوا على أرض فارس ، حتى انتهوا إلى أسياف البحر ؛ فلما سمع الحرث بن راشد بمسيره ، أقبل على من كان معه من أصحابه ، ثم يرى رأي الخوارج ، فأسر إليهم : إني أرى رأيكم ، وإن عليا ما كان يبغى له أن يحكم الرجال في دين الله ، وقال لمن يرى رأي عثمان وأصحابه : إنا على رأيكم ، وإن عثمان قتل مطلوما معقولا ؛ وقال لمن منع الصدقة :

(١) دفع على الجريح : أجهز عليه .

شدوا أيديكم على صدقاتكم ، ثم صبروا بها أرحامكم ، وعودوا إن شئتم على قرائكم ؛ فأرضى كل طائفة بصرب من القول ؛ وكان فيهم نصارى كثير ، وقد كانوا أسلموا ؛ فلما رأوا ذلك الاختلاف ، قالوا : والله لندبنا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذين لا بهام ديبهم من سلك الدماء ، وإخافة السبل ؛ فرجعوا إلى ديبهم .

فلقى الخريت أولئك ، فقال : ونحكم ! إني لا أبتجيك من القتل إلا الصبر هؤلاء القوم ولقائهم ، أتدرون ما حكم على فيمن أسلم من النصارى ثم رجع إلى النصرانية ! لا والله لا يسمع له قولاً ، ولا يرى له عزراً ، ولا يقبل منه توبة ، ولا يدعو إليها ؛ وإن حكه فيه أن يضرب عنقه ساعة يستمكن منه ؛ فإزال حتى خدعهم وجاءهم من كان من بني ناجية في تلك الناحية ومن غيرهم ؛ فاجتمع إليه ماس كثير ، وكان منكراً داهياً .

قال : فلما رجع معقل ، قرأ على أصحابه كتاباً من على عليه السلام فيه :
 من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا ؛ من المسلمين والمؤمنين والمارقين والنصارى والمرتدين . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه ، والبيت بعد الموت وأتيا بمهد الله ؛ ولم يكن من الخائنين ؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ؛ وأن أعمل فيكم بالحق وبما أمر الله تعالى في كتابه ، فمن رجع منكم إلى رَحْله وكف يده ، واعتزل هذا المارق ^(١) المالك الحارِب ^(٢) ؛ الذي حارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى في الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودينه . ومن تابعه على حربنا وانخرج من طاعتنا ، استمنا بالله عليه ، وجعلناه بيننا وبينه ، وكفى بالله ولياً . والسلام .
 قال : فأخرج معقل راية أمان ففصبها ، وقال : من أتاها من الناس فهو آمن إلا الخريتين وأصحابه الذين نابذوا أول مرة ، فنفروا عن الخريتين كل من كان معه من غير قومه ، وعقباً معقل بن قيس أصحابه ، ثم زحف بهم محو ، وقد خصر مع الخريتين جميع

(١) : د الفاسق .

(٢) : ساقطة من ج .

قومه ! مسلمهم ونصرانيهم ؛ ومائتي الصدقة منهم ، فجعل مسلمهم بمئة ، والنصارى ومائتي الصدقة بيسرة ، وجعل يقول لقومه : امنعوا اليوم حريمكم ، وقاتلوا عن سائكم وأولادكم ، والله لئن ظهروا عليكم ليقُتلنكم وليُسلبنكم .

فقال له رجل من قومه : هدا والله ماجرمتُه علينا يدك ولسانك ، فقال لهم : قاتلوا فقد سبق السيفُ العدل .

قال : وسار معقل بن قيس يحرّض أصحابه فيما بين اليمنة واليسرة ، ويقول : أيها الناس ، مائندرون ما سبق إليكم في هذا الموقف من الأحر العظيم ! إن الله ساقكم إلى قوم تمنعوا الصدقة ، وارتدوا عن الإسلام ، وسكنوا البيعة طلما وعدوانا ؛ إني شهيد لمن قُتل منكم بالجنة ، ومن طش بأن الله يُقرّ عبيد بالفتح والعنيفة ؛ فعل ذلك حتى مرّ بالناس أجعين ، ثم وقف في القلب بجراحه ، ثم بعث إلى يزيد بن المعقل الأزدي ، وهو في اليمنة ؛ أن أحمل عليهم ، فحمل ، فقتلوا له ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان فيه من اليمنة ، ثم بعث إلى المنعاب بن راشد الصبي ، وهو في اليسرة : أن أحمل عليهم ؛ فحمل فقتلوا له ، فقاتل طويلا وقاتلوه ، ثم رجع حتى وقف موقفه الذي كان في اليسرة ، ثم بعث معقل إلى ميسته وميسرته : إذا حملت فاحملوا جميعا . ثم أجرى فرسه وحربها ، وحمل أصحابه ، فصبروا لهم ساعة .

ثم إن النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخرّيت ، فحمل عليه ، فصرعه عن فرسه ، ثم نزل إليه وقد جرحه ، فاحتلقا بينهما ضربتين ، فقتله النعمان وقتل معه في الحركة سبعون ومائة ، وذهب الباقون في الأرض يمينا وشمالا ، وبعث معقل الخليل إلى رحالم ، فسبى^(١) من أدرك فيها رجالا ونساء وصبياناً ، ثم نظر فيهم ، فمن كان مسلما خلّاه وأخذ

(١) السبي : الأسر .

بيعتة ، وخلق سبيل عياله ، ومن كان ارتد عن الإسلام عَرَض عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا القتل ؛ وأسلموا . فخلق سبياتهم ، وسبيل عيالاتهم ؛ إلا شيئا منهم نصرانيا يقال له : الرماحس ^(١) بن منصور ؛ فإنه قال : والله ما رلت ^(٢) مصيبا مد عقلت ؛ إلا في خروجي من ديبى ؛ دين الصدق ، إلى دينكم ، دين سوء ؛ لا والله لا أدع ديني ولا أقرب دينكم ما حييت .

فقدّمه مقل فصر ب عنقه ، وجمع الناس ، فقال : أدوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة ، فأخذ من المسلمين عقالين ، وعهد إلى النصارى وعيالاتهم فاحتلهم معه ، وأقبل المسلمون الذين كانوا معهم ؛ يشتموهم ، فأمر مقل ردم ؛ فلما ذهبوا لينصرفوا ، تصابحوا ودعا الرجال والنساء بمصمهم إلى مصر .

قال : فلقد رحمتهم رحمة ما رحمتها أحدا قبلهم ولا بعدهم . وكتب مقل إلى علي عليه السلام :

أما بعد ؛ فإني أخبر أمير المؤمنين عن جنده وعن عدوه أنا دفنا إلى عدونا بأسياف البحر ، فوجدنا بها قتائل ذات حدّ وعد ؛ وقد جمعوا لنا ، فدعوناهم إلى الجماعة والطاعة ، وإلى حكم الكتاب والسنة ؛ وقرأ ما عليهم كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ، ورفضنا لهم راية أمان ؛ فالت إلينا طائفة منهم ، وثبتت طائفة أخرى ، فقبلنا أمر التي أقبلت ، وصعدنا إلى التي أدبرت ، فصرب الله وجوههم ، ونصرتنا عليهم ؛ فأما من كان مسلما ؛ فإننا مدنا عليه ، وأخذنا بيعته لأمر المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم ؛ وأما من ارتد فعرّضنا عليهم الرجوع إلى الإسلام ؛ وإلا فقتلهم ؛ فرجعوا إلى الإسلام ؛ غير رجل واحد قتلناه ؛ وأما النصارى ؛ فإننا سبيناهم وأقبلنا بهم ؛ ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، كي لا يمنموا الجزية ، ولا يجترؤا على قتال أهل القبلة ؛ وهم للصغار والقلة

(١) كذا في تاريخ الطبري ١ : ١٢٨ ، وفي الأصول : « الرماحس » ، تحريف .

(٢) وفي الأصول : « ما رلت » ، والصواب ما أخرجه من الطبري .

أهل . رحمتك الله يا أمير المؤمنين ، وعيبك الصلاة والسلام ، وأوجب لك جنات النعيم . والسلام .

قال : ثم أقبل بالأسارى حتى مرّ على مصفّة بن هُبيرة الشيباني ، وهو عامل لعلّ عليه السلام على أردشير حرّة ^(١) وهم خمسمائة إنسان ، فبكى إليهم النساء والعبيان ، ونصائح الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامل الثقل ^(٢) ، يا مؤوى الضعيف ، وفكّك العصاة ، امنن علينا فاشترينا وأعتقنا . فقال مصفّة : أقسم بالله لأتصدقن عليهم ، إن الله يحزى للتصدقين . فبلغ قوله معقل بن قيس ، فقال : والله لو أعده قلما توجّعا لم وإرراء على نصرت عتقه ، وإن كان في ذلك فناء بنى نعيم وبكر بن وثل .

ثم إن مصفّة مث ذهل بن الحارث قد علّ إلى معقل ، فقال : رثنى نصارى ناحية ، فقال : أبيعكم ألف ألف درهم ، فأبى عليه ، فلم يزل يُرأوده حتى ماعه إليهم بمسماة ألف درهم ، ودفعهم إليه ، وقال : تجمل بالمال إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال مصفّة : أنا باعث الآن بصدر منه ، ثم أتبعك بصدر آخر ، ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء . وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخبره بما كان من الأمر ، فقال له : أحسنت وأصبت ووقفت .

وانظر على عليه السلام مصفّة أن يبعث بالمال ، فأبطأ به . وبلغ علياً عليه السلام أن مصفّة خلّى الأسارى ولم يسألم أن يسبوه في فكّك أنفسهم بشيء . فقال : ما أرى مصفّة إلا قد حمل حلة ، ولا أراكم إلا ستروته عن قريب مبلّداً ^(٣) ، ثم كتب إليه :

(١) أردشير حرّة ، بالفتح ثم السكون ومع اللام للهمة وكسر الشين للصحة وراء سا كنة وراء ، وراء مصفّة مضبوطة ، وراء مفتوحة مشددة وهاء : من كورقارس (مراد الاطلاع) .

(٢) الثقل . متاع الإنسان وحشمه .

(٣) الملاح : للقاء على الأرس من الضرب .

أما بعد ؛ فإن من أعظم الخيانة خيانة^(١) الأمة ، وأعظم الفتن على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حقّ المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فابست بها إلى حين يأتيك رسولى ؛ وإلا فأقبل إلى حين تنظر فى كتابى ؛ فإنى قد قدّمت إلى رسولى ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قلوبهم عليك ؛ إلا أن تبعث بالمال ، والسلام .

وكان الرسول أبو جرة الحنفى ، فقال له أبو جرة : إن تبعث بهذا المال إلا فاشخصنى معى إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة ، وكان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس ؛ فيكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم أقبل من البصرة حتى أتى عليها عليه السلام بالكوفة ، فأقره أيا ما لم يذكر له شيئاً ، ثم سأله المال ، فأدى إليه مائتى ألف درهم ، وعجز عن الباقي .

قال : فروى ابن أبى سيف ، عن أبى الصلت عن ذهل بن الحارث ، قال : دعانى مصقلة إلى رحله ، فقدم عشاء فطمنا منه ، ثم قال : والله إن أمير المؤمنين عليه السلام يسألنى هذا المال ، والله ما أقدر عليه ، فقلت له : لو شئت لم يمض عليك ثمرة حتى تجمع هذا المال ، فقال : ما كنت لأحلبها قوى ، ولا أطلب فيها إلى أحد .

ثم قال : والله لو أن ابن هند مطايعى بها ، أو ابن عفان ، لتركها لى ؛ ألم تر إلى عفان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج أذربيجان فى كل سنة ؟ قلت : إن هذا لا يرى ذلك الرأى ، وما هو بشارك لك شيئاً . فسكت ساعة ، وسكت عنه ؛ فامكث ليلة واحدة^(٢) بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية .

فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال : ماله تركه الله أفضل من قتل السيد وفرار المبدء ، وخان غيابة الناجر ؛ أما إنه لو أقام فصعبر مازدنا على حبسه ، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه ،

(١) كلمة « خيانة » ساقطة من « ب » ؛ فالتاء فى « ج » والطبرى .

(٢) الطبرى : « فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة » .

وإن لم نجد له مالا تركناه . ثم سار على عليه السلام إلى داره فهدمها .
وكان أخوه نعيم بن هبيرة الشيباني شيعته لعل عليه السلام مناصحا ، فكتب إليه مصقلة
من الشام مع رجل من نصارى نعلب ، يذل له حلوان :
أما بعد ؛ فإني كتبت معاوية فيك ، فوعدتك الكرامة ، ومثلك الإمارة ، فأقبل
ساعة تلقى رسولي . والسلام .

فأخذ مالك بن كعب الأرحبي فرسح به إلى علي عليه السلام ، فأخذ كتابه فقرأه
ثم قدمه فقطع يده ، فات . وكتب نعيم إلى [أخيه] مصقلة شعرا لم يرده عليه ^(١) :
لا ترمين هـذاك الله معترضا بالظن منك فما بالي وحلوانا
ذاك الحريص على مال من طمع وهو البعيد فلا بورثك أحزاننا ^(٢)
ماذا أردت إلى إرساله سقيا ترجو يفسط امرئ لم تلف وسنانا
مرضته لعل إلهي تخشى المرضنة من أسد سخانا ^(٣)
قد كنت في خير مصطاب ومرتب تخشى العراق وتدعى خير شيبانا ^(٤)
حتى تقحت أمرا كنت تكفه لراكبين له ميرا وإعلانا
لو كنت أدبت مال الله مصطبرا لحق زكيت أحيانا وموتانا ^(٥)
أكن لحقت بأهل الشام ملتصبا فضل ابن هند فذاك الرأي أشعانا
فاليوم تفرع من العجز من ندم ^(٦) ماذا تقول وقد كان الذي كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة لم يرفع الله بالمصيان إسانا ^(٧)

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٥ : ١٣٠ وما بعدها .

(٢) الطبري : « فلا يحرثك إرسانا » .

(٣) المرسنة : المعنى في المفسر من النشاط . وخان : مأسدة قرب الكوفة .

(٤) الطبري : « قد كنت في مطر من دا وسنم » .

(٥) رواية الطبري : « »

لو كنت أدبت ما للقوم مصطبرا لحق أحييت أحيانا وموتانا

(٦) الطبري : « سن النرم » .

(٧) الطبري : « بالبضاد إسانا » .

فما بلغ الكتاب إليه علم أن النصراني قد هلك^(١)، ولم يلبث التملّيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم، فأنوا مصقلة، فقالوا: أستاذ هلك صاحبنا؛ فإما أن نجئنا^(٢) به، وإما أن تدب^(٣)؛ فقال: أما أن أجى^(٤)، فقلت أستطيع ذلك؛ وأما أن أدب^(٥) فسم، فوداه.

قال إبراهيم: وحدثني ابن أبي سيف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: قيل لعل عليه السلام حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا ولم تستوف أمانتهم في الرق، فقال: ليس ذلك في القضاء بحق؛ قد عتقوا إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي ديناً على الذي اشتراهم.

وروى إبراهيم أيضا، عن إبراهيم بن ميمون، عن عمرو بن القاسم بن حبيب التمار، عن عمار الدقني، قال: لما هرب مصقلة قال أصحاب علي عليه السلام له: يا أمير المؤمنين، قبيحا! قال: إنه قد صار على قريم من العرماء، فاطلبوه.

وقال غلبان بن ضارة، أحد بني سعد بن زيد مناة في بني ناجية:

هَلَّا صَبَرْتَ لِلْفِرَاعِ نَاجِيَا وَلِلْمَرْهَمَاتِ تَحْتَلُو الْهَوَادِيَا^(١)

وَالطُّغْنِ فِي نَحُورِكُمْ تَوَالِيَا وَصَائِبَاتِ الْأَسْهَمِ الْقَوَائِيَا

وقال غلبان أيضا:

الْأَفَاصِرُ وَالطُّغْنُ وَالضَّرْبُ نَاجِيَا وَلِلْمَرْهَمَاتِ يَحْتَلِينَ الْهَوَادِيَا

فَقَدْ صَبَرْتُ النَّاسَ خِزْيَا عَلَيْكُمْ وَصَبَرْتُكُمْ مِنْ بَعْدِ عِزِّ مَوَالِيَا

(١) الطبرى: « فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك ».

(٢) الطبرى: « نجيه ».

(٣) الطبرى: « أحياه ».

(٤) تَحْتَلُو: تَهْز، وَالْمَوَادِي هُنَا: الْأَعْنَاق.

تَمَّالَكُمْ بِالتَّحْلِيلِ جُرْأًا عَوَادًا أَخُو قَتْلَ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ غَايَا
فَصَبَّحَكُمْ فِي رَحِيلِكُمْ وَخِيُولِكُمْ يَصْرَبُ يَرَى مِنْهُ اللَّذَجُ جُحَاوَا
فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَسَدٍ مِزٍّ وَكَثْرَةٍ حَبِيدَ الْعَصَا لَا تَحْمُونَ الذَّرَارِيَا

قال إبراهيم بن هلال : وروى عبد الرحمن بن حبيب ، عن أبيه ، أنه لما بلغ علياً عليه السلام مصاب بني ناجية ، وقتل صاحبهم ، قال : هوت أمه أما كان أخص عقله وأجرأه ! إنه جاءني مرة فقال : إن في أصحابك رجالاً قد حشيت أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ قلت : إني لا آخذ على التهمة ، ولا أمارق على الظن ، ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني ، وأظهر العداوة لي ؛ ثم استمقنته حتى أدهوه وأعزروه^(١) ؛ فإن تاب ورجع قبلنا منه ، وإن أبي إلا الاعتزام على حرماننا بالله عليه ، وماجزاه . فكف عني ما شاء الله ، ثم جاءني مرة أخرى ، فقال لي : إني قد تحشيت أن يفد عليك عبدالله بن وهب وزيد بن حصين الطائي ، إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لم يسمعهما لم تفارقهما حتى تقتلتهما أو تورقتهما ، فلا يزالان بمحببتك أبدا . قلت له : إني مستشيرك فيهما ، فلماذا تأمرني به ؟ قال : إني آمرك أن تدهوا بهما فغضب رقابتهما ، فقلت أنه لا ورع له ولا عقل . قلت له : والله ما أعلن لك ورعا ولا عقلا ، لقد كان يبنى لك أن تعلم أني لا أقتل من لم يقاتلني ، ولم يظهر لي عداوته للذي كنت أعلمتك من رأيي ، حيث جئتني في المرة الأولى ؛ ولقد كان يبنى لك - لو أردت قتلهم - أن تقول لي : اتق الله ! ثم تسعمل قتلهم ولم يقتلوا أحدا ، ولم يباذوك ولم يخرجوا من طاعتك !

• • •

فأما ما يقوله النعمان في مثل هذا السب ، فقبل أن تذكر ذلك تقول : إن الرواية قد

(١) أي يكون له عنده مندر .

اختلفت في المرتدين من بنى ناجية ، فالرواية الأولى التي رواها محمد بن عبد الله بن عثمان ، عن نصر بن مزاحم ، تتضمن أن الأمير الذي من قبل علي عليه السلام قتل مقاتلة المرتدين منهم بعد امتناعهم من العودة إلى الإسلام ، وسعى فرارهم ، فقدم بها علي عليه السلام ؛ فملى هذه الرواية يكون الذين اشتراهم مصقة فرارى أهل الردة .

والرواية الثانية التي رواها محمد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، تتضمن أن معقل بن قيس ، الأمير من قبل علي عليه السلام لم يقتل من المرتدين من بنى ناجية إلا رجلا واحدا ، وأما الباقون فرجعوا إلى الإسلام ، والاسترقاق إنما كان للنصارى الذين ساعدوا في الحرب وشهروا السيف على جيش الإمام ؛ وليسوا مرتدين ؛ بل نصارى في الأصل ، وهم الذين اشتراهم مصقة .

فإن كانت الرواية الأولى هي الصحيحة ففيها إشكال ؛ لأن المرتدين لا يجوز عند الفقهاء استرقاقهم ، ولا أعرف خلافا في هذه المسألة ، ولا أظن الإمامية أيضا ^(١) تخالف فيها ؛ وإنما ذهب أبو حنيفة إلى أن المرأة المرتدة إذا لحقت بدار الحرب جاز استرقاقها ، وسائر الفقهاء على خلافه ؛ ولم يختلفوا في أن المذكورين من المرتدين لا يجوز استرقاقهم ، فلا أعلم كيف وقع استرقاق المرتدين من بنى ناجية على هذه الرواية ؛ على أني أرى أن الرواية المذكورة لم تصرح فيها باسترقاقهم ، ولا بأنهم يبعوا على مصقة ، لأن لفظ الراوى : « فأبوا ، قتل مقاتلتهم وسعى فرارهم فقدم بهم علي عليه السلام » ؛ وليس في الرواية ذكر استرقاقهم ولا بيعهم على مصقة ؛ بل فيها ما ينافي ببيعهم على مصقة ، وهو قوله : « فقدم بهم علي عليه السلام » ؛ فإن مصقة ابتاع النبي من الطريق في أرض شيرخرة قبل قدومه علي عليه السلام ؛ ولفظ الخبر : « فقدم بهم علي عليه السلام » .

وإنما يبقى الإشكال على هذه الرواية أن يقال : إذا كان قد قدم بهم علي عليه

السلام ، فصلة من اشترى ! ولا يمكن دفع كون مصفلة اشترى قوما في الجلبة ، فإن الخبر بذلك مشهور جدا يكاد يكون متواترا .

فإن قيل : فما قولكم فيما إذا ارتدت البالغون من الرجال والنساء ، ثم أولدوا ذرية صفارا بعد الردة ؟ هل يجوز استرقاق الأولاد ؟ فإن كان يجوز ، فهلا حملتم الخبر عليه !
قيل : إذا ارتدت الزوجان حملت منه في حال الردة وأنت بولد كان محكوما مكفرا ؛ لأنه ولد بين كافرين .

وهل يجوز استرقاقه ؟ فيه للشافعي قولان ؛ وأما أبو حنيفة فقال : إن ولد في دار الإسلام لم يحز استرقاقه ، وإن ولد في دار الحرب جاز استرقاقه ، فإن كان استرقاق هؤلاء القرية موافقا لأحد قولي الشافعي ، فقله ذلك .

وأما الرواية الثانية ، فإن كانت هي الصحيحة - وهو الأول - فالنقطة في المسألة أن الذي إذا حارب المسلمين قد تقضى عهده ، قصار كالمشركين الذين في دار الحرب ، فإذا ظفر به الإمام جاز استرقاقه ويضعه ؛ وكذلك إذا امتنع من أداء الجزية أو امتنع من التزام أحكام الإسلام .

واختلف الفقهاء في أمور سبعة : هل ينتقض بها عهدهم ، ويجوز استرقاقهم أم لا ؛ وهي أن يزني الذي بمسلمة ، أو يصيبها باسم نكاح ، أو يقتل مسلما عن دينه ، أو يقطع الطريق على المسلمين ، أو يؤوي^(١) لكفار عينا ، أو يذل على عورات المسلمين ، أو يقتل مسلما . فأصحاب الشافعي يقولون : إن شرط عليهم في عقد الذمة الكف عن ذلك ، فهل ينتقض عهدهم بفعله ؟ فيه وجهان . وإن لم يشترط ذلك في عقد الذمة ، لم ينتقض عهدهم بذلك .

وقال الطحاوي من أصحاب أبي حنيفة : ينتقض عهدهم بذلك ، سواء شربوا من

(١) ب : « يؤدى » ، تحريف .

الكف عنه في عقد الذمة ، أو لم يشارطوا عليه .

فنعصرى بي ناجية على هذه الرواية قد انتصر عهدهم بحرب المسلمين ، فأبيحت دماؤهم ،
وجاز للإمام قتلهم وجاز له استرقاقهم كالمشركين الأصليين في دار الحرب ؛ وأما استرقاق
أبي بكر بن أبي قحافة لأهل الردة وسببه فرأيتهم ؛ فإن صحّ كان مخالفا لما يقول
الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين ، إلا أن يقولوا إنه لم يتسبب المرتدين ، وإنما سبّه
من ساعدتهم وأعطاهم في الحرب من المشركين الأصليين .
وفي هذا الموضع نظر .

(٤٥)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا تَحْزِينٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ،
وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ ؛ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .
وَالدُّنْيَا دَارُ مَنِيٍّ لَهَا الْفَنَاءُ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ مَنِيٍّ لَهَا الْبَقَاءُ ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَاصَّةٌ ، وَقَدْ
عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ ، وَالْقَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّازِلِ ؛ فَلَوْ تَحَلَّوْا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا عَمَّرَتْكُمْ مِنْ الزَّادِ ،
وَلَا تَنَالُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَغِ .

•••

الشرح :

مَنِيٍّ لَهَا الْفَنَاءُ ، أى قَدَر . وَالْبَقَاءُ ، بفتح الجيم : الخروج عن الوطن ، قال سيبعانه :
(وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبَقَاءَ) (١) .
وحلوة خَاصَّةٌ ؛ مأخوذة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ
خَاصَّةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَعَاظِرُكُمْ نَسْلُونَ » .
وَالْكَفَافُ مِنَ الرِّزْقِ : قَدَرُ الْقَوْتِ ؛ وهو ما كَفَتْ عَنْ النَّاسِ ، أى أَغْنَى .
وَالْبَلَغُ وَالْبُلْفَةُ مِنَ الْعَيْشِ : مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ .

■ ■ ■

واعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : أحدهما تحمد الله والثناء عليه إلى قوله : « ولا تمقده رتبة » ، والفصل الثاني ذكر الدنيا إلى آخر الكلام . وأحدهما غير مختلط بالآخر ولا منسوق عليه ؛ ولكن الرضى رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام للتخاطب ، ولا يقف مع الكلام المتوالى ؛ لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير ، ولو أتى بحطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذى جمعه .



[فصل بلاغى فى الموازنة والسجع]

فأما الفصل الأول ، فشمس من علم البيان على باب كبير يعرف بالموازنة ، وذلك « غير مقطوع » فإنه وازنه فى الفقرة الثانية بقوله : « ولا مخلوط » . ألا ترى أن كل واحدة منهما على وزن « مفعول » ، ثم قال فى الفقرة الثالثة : « ولا مأبوس » ، فجاء بها على وزن « مفعول » أيضا ؛ ولم يمكن فى الفقرة الرابعة ما أمكن فى الأولى ، فقال : « ولا مستنكف » فجاء به على وزن « مستفعل » وهو وإن كان خارجا عن الوزن ؛ فإنه غير خارج عن الفعلية ، لأن « مستفعل » « مفعول » فى الحقيقة ، كقوله : زيد مستحسن ، ألا ترى أن « مستحسنا » من استحسنه ، فهو أيضا غير خارج عن الفعلية .

ثم وارن عليه السلام بين قوله : « لا تبرح » وقوله : « لا تفقد » ، وبين « رحة » و « رتبة » ؛ فأعطت هذه اللوازمات الكلام من الطلاوة والصنعة مالا تجده عليه لو قال : الحمد لله غير مخلوط من نصته ، ولا مبعد من رحته « لأن » « مبعد » بوزن « مفعول » ، وهو غير مطابق ولا مماثل لمفعول ، بل هو بناء آخر .

وكذلك لو قال : « لا تزول منه رحة » ، فإن « تزول » ليست فى المائة وللوازنة

١ « يفقد » كـ « يبرح » ألا ترى أنها معتلة ، وتلك صحيحة ! وكذلك لو قال : « لا يبرح »
منه رحمة ولا يفقد له إنعام » فإن « إنعاما » ليس في وزن « رحمة » ، والموازنة مطلوبة
في الكلام الذي يقصد فيه التوضيح ، لأجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع
الأشياء . والموازنة أعم من التسجع ، لأن التسجع تماثل أجزاء الفواصل لو أوردناها على حرف
واحد ، نحو القريب ، والغريب ، والتسبب ، وما أشبه ذلك . وأما للموازنة فنعمو القريب
والشديد ، والجليل ؛ وما كان على هذا الوزن وإن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحداً ،
وكل تسجع موازنة ، وليس كل موازنة تسجماً ؛ ومثال الموازنة في الكتاب العزيز :
﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١) ؛ وقوله تعالى :
﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَيَكُونُوا عَلَيْهِمْ عِزًّا ﴾ ، ثم قال : ﴿ تَوَازَوْهُمْ
أَزًّا ﴾ ثم قال : ﴿ نَدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾^(٢) فهذه الموازنة .

ومما جاء من المثال في الشعر قوله :

بأشدِّهم بَأْسًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزِّمَ فَقْدًا عَلَى الْأَصْعَابِ

فقوله : « وأعزم » بإزاء « أشدم » ، وقوله : « فقدا » بإزاء « بأسا » .
والموازنة كثيرة في الكلام وهي في كتاب الله تعالى أكثر .



[نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع]

فأما الفصل الثاني فيشتمل على التحذير من الدنيا ، وعلى الأمر بالقناعة ، والرضا
بالكفاف ؛ فأما التحذير من الدنيا فقد ذكرنا ونذكر منه ما يحضرنا ؛ وأما القناعة فقد
ورد فيها شيء كثير .

(٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(١) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخوين من الأنصار : « لا تيشا من روح الله ما تهز هزرت رُموسكما ، فإن أحدكم يولد لا قشر عليه ، ثم يكسوه الله ويرزقه » .
ومنه صلى الله عليه وسلم - ويُعزى إلى أمير المؤمنين عليه السلام - : « القناعة كنز لا يفقد » .

وما يقال إنه من كلام لقمان الحكيم : « كفى بالقناعة عراً ؛ وبطيء النفس نعيماً » .
ومن كلام عيسى عليه السلام : اتخذوا البيوت منازل ، وللساجد مساكن ، وكلوا من بقل البرية ، واشربوا من لاء القراح ، واحرجوا من الدنيا بسلام . لعمري لقد انقطعتم إلى غير الله فما ضيعكم ، أفصافون الصبيحة إذا انقطعتم إليه !

وفي بعض الكتب الإلهية القديمة : يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، اتخاف أن أهلك بطاعتي هزلاً ، وأنت تتفتق بمصيبي همتاً !

قال أبو وائل : ذهبتُ أما وصاحب لي إلى سلمان الفارسي ، جلستا عنده ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء مخبز وملح ساذج لا أضرار عليه ، فقال صاحبي : لو كان لنا في ملحننا هذا سقر^(١) ! فبعت سلمان يطهرته ، فرفهنا على سقر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي قمتنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قمت بما رزقك لم تكن يطهرتي مرهونة !

عباد بن منصور : لقد كان بالبصرة من هو أفتة من عمرو بن عبيد وأفصح ؛ ولكنه كان أصبرهم عن الدنار والدرهم ، فساد أهل البصرة .

قال خالد بن صفوان لسرو بن عبيد : لم لا تأخذ مني ؟ قال : لا يأخذ أحد من أحدٍ إلا نل له ؛ وأنا أكره أن أذل لغير الله .

(١) السقر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبر .

كان معاشُ عمرو بن عبَّيد من داري وريثها ، كان يأخذ أجرتها في كل شهر ديناراً واحداً فيتبلغ به .

الخليل بن أحمد : كان الناس يكتبون الرغائب بـ **بـ** عليه ، وهو بين أخصاص البعرة ، لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها .

وهب بن منبه : أرملتُ مرة حتى كدت أفتط ، فأتاني آتٍ في المنام ومعه شبة لوزة ، فقال : افضضْ ، ففضضتها ، فإذا حريرة فيها ثلاثة أسطر : لا ينهي لمن عقل عن الله أمره ، وعرف الله حله ، أن يستبطن الله في رزقه ، قدمت وصبرت ، ثم أعطاني الله فأكثر .

قيل للحسن عليه السلام : إن أبا ذرٍّ كان يقول : الفقرُ أحبُّ إلى من الفنى ، والسَّقمُ أحبُّ إلى من الصحة ، قال : رحم الله أبا ذرٍّ ، أما أنا فأقول : من اتَّكل إلى حسن الاختيار من الله لم يمت أنه في غير الحال التي اختارها الله له ، لعمري إن آدم ، الطير لا تأكل رَفْعاً ، ولا تخبأ لندء ، وأنت تأكل رَغداً ، وتخبأ لندء ، فالطيرُ أحسنُ خلقاً منك بالله عزَّ وجلَّ .

حبس عمر بن عبد العزيز المداء من مَسَلَمَة ، حتى برَّح به الجوع ، ثم دعا بسويق فسقاه ، فلما فرغ منه لم يقدر على الأكل ، قال : يا مَسَلَمَة ، إذا كفأك من الدنيا ما رأيت ، فسلام التهافت في النار !

عبد الواحد بن زيد : ما أحسب شيئاً من الأعمال يقدرُ الصبرُ إلا الرضا والقناعة ، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا ، وهو رأس المحبة .

قال ابن شبرمة في محمد بن واسع : لو أن إنساناً اكتفى بالتراب لا كفى به .

يقال من جملة ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل لبيادى للتسخطلين لرزق ، إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا .

كان لبعض اللوك تديم ، فَكِر ، فَفَاتَتْهُ الصَّلَاةُ ، فَجَاحَت جَارِيَةٌ لَهُ بِمِرَّةٍ نَار ،
فَوَضَعَهَا عَلَى رِجْلِهِ ، فَانْتَبَهَ مَذْعُورًا ، قَالَتْ : إِنَّكَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا ، فَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى نَارِ الْآخِرَةِ ! فَتَرَكَ الدُّنْيَا وَاضْطَمَعَ إِلَى الْعِبَادَةِ ، وَقَدْ سَبَّحَ الْبَقْلَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضِيلُ
وَابْنُ عُيَيْنَةَ ؛ فَبَاذَتْ تَحْتَ رَأْسِهِ لَبَنَةً ، وَلَيْسَ نَحْتُ جَنْبِهِ حَصِيرٌ ، فَقَالَا لَهُ : إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ
لَمْ يَدْعُ أَحَدٌ شَيْئًا لَهُ إِلَّا عَوَّضَهُ خَيْرًا مِنْهُ ، فَا عَوَّضَكَ ! قَالَ : الْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا بِمَا أَنَا فِيهِ .
أَصَابَتْ دَاوُدَ الطَّائِي ضَائِقَةً شَدِيدَةً ، لَجَاءَ حَمَادُ بْنُ أَبِي حَنِيْفَةَ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ مِنْ تَرْكَةِ
أَبِيهِ ، فَقَالَ دَاوُدُ : هِيَ لِمَنْ شَرَى مِنْ مَالِ رَجُلٍ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ أَحَدًا فِي زَهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَطَيْبِ
كَيْفِهِ ، وَلَوْ كُنْتُ قَابِلًا مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا لَقَبَلْتُهَا إِعْظَامًا لِلدَّيْتِ ، وَابْتِجَابًا لِلْعَنَى ، وَلَكِنِّي أَحَبُّ
أَنْ أَعِيشَ فِي عِزِّ الْقَنَاعَةِ .

سَفِيَانُ التَّوْرِيُّ : مَا أَكَلْتُ طَعَامَ أَحَدٍ قَطُّ إِلَّا هُنْتُ عَلَيْهِ .

مِسْرُورُ بْنُ كِدَّامَ : مَنْ صَبَرَ عَلَى الْخُلُقِ وَالْبَقْلِ لَمْ يُسْتَعْبَدْ .

فُصَيْلٌ : أَصْلُ الزَّهْدِ الرِّضَا بِمَارَرَفِكَ اللَّهُ ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ يَصْنَعُ بِعَبْدِهِ مَا تَصْنَعُ الْوَالِدَةُ
الشَّفِيقَةُ بِوَلَدِهَا أَنْ تَطْلِمَهُ مَرَّةً خَبِيصًا ^(١) ، وَمَرَّةً صَيِّمًا ، تَرِيدُ بِذَلِكَ مَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُ .

الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا الَّذِي كَبِيتَ الدُّنْيَا قَلْبِي وَجْهَهَا ، وَقَدَّرْتُهَا بِخَدْرِهَا ، لَيْسَ لِي
وَلَدٌ يَمُوتُ ، وَلَا بَيْتٌ يَخْرُبُ ؛ وَسَادَى الْحَجَرِ ، وَفَرَّاشِي الْمَدَرِ ، وَسَرَايِي الْقَمَرِ .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَكَلْتُ تَمْرًا دَقَلٌ ^(٢) ، ثُمَّ شَرَبْتُ عَلَيْهِ مَاءً ، وَمَسَحْتُ بِطَلْعِهِ ،
وَقَالَ : مَنْ أَدَخَلْتَهُ بَطْنُهُ النَّارَ ، فَأَبْطَسَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَشَدَّ :

فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سَوْؤَهُ وَفَرَجَكَ فَأَلَا مُنْتَهَى الدَّهْمِ أَحَقُّمَا ^(٣)

(١) الخبيص : القمير المصقول من السن والصل .

(٢) الدقل : أرمأ القمير .

(٣) البيت لحاتم الطائي ، ديوانه ١٧ (طبع بيروت) .

في الحديث الصحيح المرفوع: « إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا ، فَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ » .

من كلام الحكماء : من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيساء الأعظم .

الحسن : الحريص المراغب ، والتدبيع المراهق كلاهما مستوفٍ أجله ، مستكمل أكمله ؛ غير مُزداد ولا منقوصٍ تمامًا ، فعلام التفهم في النار !

ابن مسعود ، رفعه : « إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ بِأَكْيَسَ مِنْ أَحَدٍ ؛ فَدُكِّتِ النَّصِيبَ وَالْأَجَلَ ، وَقُسِمَتِ الْمَعِيشَةُ وَالْعَمَلُ ؛ وَالنَّاسُ يَمْجُرُونَ مَعَهَا إِلَى مَنْهَى مَعْلُومٍ » .

المسيح عليه السلام : انظروا إلى طير السماء تعدو وتروح ، ليس معها شيء ، من أوزانها ، لا تحرث ولا تحصد ؛ والله يرزقها ، فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير ؛ فهذه الوحوش من البحر والحمر ، لا تحرث ولا تحصد ؛ والله يرزقها .

سويد بن غفلة : كان إذا قيل له : قد ولي فلان ، يقول : حسبي كثيرني ومينعي .

وقد عروة^(١) بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه خطته ، فقال له :

أأنت القائل :

قَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي^(٢)
أَسَى لَهُ فِيمَنِّي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَسَسْتُ أَنَا فِي لَا يُعْثِنِي

فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق ! ثم اشتغل عنه ، فخرج وقد على ناقته ونصّها راجعا إلى الحجاز ، فذكره هشام في الليل ، فسأل عنه فقيل : إنه رجع إلى الحجاز ، فسلمه وهدم ، وقال : رجل قال حكمة ، ووفد على مستجديا ، فجهته ،

(١) الجبري الشعر والنمراء ٥٦ .

(٢) الإشراف . الحرم ، كذا فسرده صاحب الممان واستشهد بالبيت .

وردته ! ثم وجه إليه بالنبي درهم ، فجاء الرسول وهو بالمدينة ، فدفعها إليه ، فقال له : قل
لأمير المؤمنين ، كيف رأيت ! سميت فأكدت ، وقعدت في منزلي فأتاني رزقي .

عمر بن الخطاب : تعلم أن الطمع فقر ؟ وأن اليأس غنى ، ومن يئس من شيء
استغنى عنه .

أهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم طائران ، فأكل أحدهما عشيّة ، فلما أصبح
طلب غداء ، فأتته بعض أزواجه بالطائر الآخر ، فقال : « ألم أسألك أن ترفعي شيئاً لفدي ،
فإن من خلق القدر خلق رزقه » .

وفي الحديث المرفوع : « قد أفدع من رزق كفافا وقتنه الله بما آتاه » .
من حكمة سليمان عليه السلام : قد جرمنا بين العيش وشِدته ، فوجدنا
أهنا أدناه .

وهب ، في قوله تعالى : (فَتَحَيَّيْمَةُ حَيَاةً طَيِّبَةً)^(١) ، قال : القناعة .
بعض حكماء الشعراء :

فَلَا تَجْزَعْ إِذَا اعْتَرَتْ بِوَمَا قَدْ ابْتَسَرْتَ فِي الدَّهْرِ الطُّوبَى
وَلَا تَقْلَنْ بِرَبِّكَ ظَنُّ سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَهْلِ
وَإِنَّ الْعُسْرَ يَنْبَعُهُ بِسَّاسِرٍ وَقِيلَ اللَّهُ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ
وَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَحْرُ رِقَاً لَكَانَ السَّالُّ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ

عائشة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أردت العُوق بي فيمكنك
من الدنيا زاد الراكب ؛ ولا تُخلقي نوبا حتى ترُقمية ؛ وإياك ومجالسة الأغنياء » .

يقال : إن جبرائيل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمفتاح خزائن الدنيا ، فقال : « لا حاجة لي فيها ، بل جوعتان وشبعة » .

وُجِدَ مكتوبا على صخرة عادية^(١) : يا بن آدم ، لست ببالغ أمك ، ولا سابق أجلك ، ولا مغلوب على رزقك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، فعلام تقتل نفسك !

الحسين بن الضحالك :

يَارُوحُ مَنْ سَطَمَتْ قَنَاقَتُهُ حَسَمَ لِلطَّامِعِ مِنْ غَدٍ وَقَدَرُ^(٢)
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَثَبٌ لَمْ يُمْسِ مُخْتَابًا إِلَى أَحَدٍ

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أندرى لم رزقت الأحق ؟ قال : لا ، قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال .

قَطَّ^(٣) يوسف بن يعقوب عليه السلام في ألبلب لجوع اعتراه ، فأوحى إليه : انظر إلى حائط البئر ، فنظر فافرج الحائط عن خزانة على صخرة ، معها طعامها ، فقيل له : أتراني لا أغفل عن هذه الذرة ، وأغفل عنك ، وأنت نبي ابن نبي !

دخل على عليه السلام للسجد ، وقال لرجل : أميك على بقلتي ، نفلع لجامها ، وذهب به ، فخرج على عليه السلام بعد ما قضى صلاته ، ويده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له ، فوجد لهنقة عطلا ، فدفع إلى أحد فلبانه الدرهمين ؛ ليشتري بهما لجاما ، فصادف النلام اللجام للسروق في السوق ؛ قد باعه الرجل بدرهمين ، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه ، فقال على عليه السلام : « إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ،

(١) عادية ، أي قديمة ؛ نسبة إلى لغة عاد البائدة .

(٢) من أبيات في الحيوان : « ٤٨٠ : قال الجاحظ : « وهذا شعر رويته له على وجه الدهر ، وزعم حسين بن الضحالك أنه له ، وكان يدمي ما ليس له » .

(٣) قط قنوطا ؛ أي يلس .

ولا يزداد على ما قُدِّر له .

سليمان بن المهاجر البجلي :

كَسَوْتُ بَجِيلَ النَّسْرِ وَجَيْسَ فَصَانَهُ بِرِ افْتٍ عَنْ غِثْمَانٍ كُلِّ بَجِيلٍ
قَلَمٌ يَتَبَذَلُنِي الْبَخِيلُ وَلَمْ أَقْمُ قَلَى بِأَيْهِ يَوْمًا مَقَامَ ذَلِيلٍ
وَإِنْ قَلِيلًا بَسْتُ الْوَجَةَ أَنْ يُرَى إِلَى النَّاسِ مَبْذُولًا كَعِيرٍ قَلِيلٍ
وَقَفَ بِمِصْرَ الْمَلُوكِ عَلَى سُقْرَاطِ وَهُوَ الْمَشْرِقَةُ^(١) ، فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ، قَالَ :
حَاجَتِي أَنْ تُزِيلَ عَنِّي طَلَّكَ ، فَقَدْ مَنَعَتْنِي الرَّفْقُ^(٢) بِالشَّمْسِ ؛ فَأَحْصَرَ لِي دَهَبًا وَكُسُوءَ
دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَا حَاجَةَ سُقْرَاطِ إِلَى حَجَارَةِ الْأَرْضِ وَلُعَابِ الدُّودِ ؛ إِنَّمَا حَاجَتُهُ إِلَى أَمْرِ
يَصْحَبُهُ حِينَما تَوَجَّهَ .

صلى معروف الكرخي حاتم إمام ؛ فلما افتقر حال ذلك الإمام معروفًا : من أين
تأكل ؟ قال : أصبر على حتى أعيده ما صليعه حاتم ؛ قال : لماذا ؟ قال : لأن من شك
في الرزق شك في الرزق ، قال الشاعر :

وَلَا تُهْلِكَنَّ النَّفْسَ وَجَدًا وَحَسْرَةً قَلَى الشَّيْءُ أَسَدَاءُ لِمِيرِكَ قَادِرُهُ^(٣)
وَلَا تَيْأَسَنَّ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ وَإِنْ كَانَ نَهَبًا بَيْنَ أَيْدٍ تُبَادِرُهُ
فَإِنَّكَ لَا تُعْطَى أَمْرًا حَظًّا تَفِيَهُ وَلَا تَمَسُّ الشَّقَّ الَّذِي الْعَيْثُ نَاصِرُهُ
قال عمر بن الخطاب لملئ بن أبي طالب عليه السلام : قد ملئت الناس ، وأحببت
أن ألقى بصاحبي ، فقال : إن سرك اللُّحُوقَ بهما فقصر أملك ، وكلّ دون الشَّعْبِ ،
واخفف التَّمَلُّ^(٤) وكن كَيْبِش^(٥) الإزار ، مرقوع القميص ، تلعق بهما .

(١) المشرق : موضع يعود في الشمس في الشتاء

(٢) الرفق بالشئ : الاعتناء به .

(٣) ١ : « أسداء لميرك » ؛ أي أعطاه .

(٤) التمل : كش لإزاره ؛ إذ قصره وشمره .

(٥) حصف النمل : خرزها بالخصف .

وقال بعض شمراء العجم :

عَلَا السُّرُوفُ فِي بَغْدَادٍ مِنْ تَعْدِ رُحْبِهِ وَإِنِّي فِي الْحَالَيْنِ بِاللَّهِ وَاثِقُ
فَلَسْتُ أَخَافُ الضِّيقَ وَالْفَقْرَ غِنَاَهُ ، وَلَا الْحِرْمَانَ وَاللَّهْزَاقُ
قِيلَ لِمَنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ أَنَّ عَلَى رَجُلٍ بَابَ يَتِ وَتَرِكَ فِيهِ ، مَنْ أَيْنَ كَانَ بَأْتِيهِ
رِزْقُهُ ؟ قَالَ : مِنْ حَيْثُ كَانَ بَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

قال بعض الشمراء :

صَبَرْتُ النَّفْسَ لَا أَجْزَ عَ مِنْ حَادِثَةِ الدَّهْرِ
رَأَيْتُ الرِّزْقَ لَا يُكْتَفَى بِالْعَرَفِ وَلَا التَّكْوِينِ
وَلَا بِالسَّلَفِ الْأَجَلِ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَاللَّحْزَنِ
وَلَا بِالشُّرَى الْبَدْرِ وَلَا مَا تُخْدِمُ الْبُشْرِ^(١)
وَلَا بِالْعَقْلِ وَالْهَيْبِ وَلَا الْجَوْرِ وَلَا الْقَدْرِ
وَلَا بِدُرِّ الْغَيْبِ وَلَا الْجَهْلِ وَلَا الْهَذْرِ
وَلَكِنْ قِسْمٌ تَجْرِي بِمَا تَدْرِي وَلَا تَدْرِي

جاء فتح بن شخرف إلى منزله بعد العشاء ، فلم يجد عندهم ما يعشون به ، ولا وجد
دهناً للسراج وهم في الظلمة ، فجلس ليلة يبكي من الفرح ، ويقول : بأى يد قد كانت معي ،
بأى طاعة تنعم عليّ بأن أترك على مثل هذه الحال !

لَقِيَ هَرَمٌ بْنُ حَيَّانٍ أَوْسًا الْقَرَفِيَّ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوْسُ بْنُ عَامِرٍ ! قَالَ :
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ ، قَالَ هَرَمٌ : أَمَا إِنِّي مَرَقْتُكَ بِالصَّفَةِ ، فَكَيْفَ مَرَقْتُ ؟
قَالَ : إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَتُشَامُ كَاتِلُهَا الْخَلِيلُ ، فَيَعْرِفُ بِمَضْنَاهَا بَعْضًا . قَالَ : أَوْسِي ،

(١) السر : جمع أسمر ، وهو الرمح المثلج اللون . والخم : جمع خلم : أى ضلع .

قال : عليك سيف البحر ، قال : فمن أين للعاش ؟ قال : أتراك ! خالطت الشك
للعظمة ، أتقر إلى الله بدينك وتهمه في رزقك !

عنصور الفقيه :

التوت أستهل عندى بين القنا والأينس
والخيل تجري ميراً مقطعات الأعنة
من أن يكون لتذلي على فصل ومنه

أعرابي :

أثبش أن يغارتك النجاح فإين الله والقدر المتاح^(١)

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرونى ، قال : « إياك والطمع ! فإنه مقر
حاضر ، وعليك بالياس بما في أيدي الناس » .
حكيم : أحسن الأحوال حال يسطك بها من دونك ، ولا يحقر لك لها
من فوقك .

أبو العلاء المعري :

فإن كنت تهوى العيش فابخر توشطاً فندد التمامي بخضر للطلال^(٢)
توق البذور النقص ونهى أهلة^(٣) ويذكرها النقصان ، ونهى كوايل
خالد بن صفوان : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً ، أقل ما تكون
في الباطن مآلاً ؛ فإن الكريم من كرمته عند الحاجة خلت^(٤) ، والقيم من لؤمته عند
الفاقة طمعت .

(١) لجاج : للياً . (٢) شروح سقط الزند ٥٥٢ .
(٣) الملة : الحاجة .

شعر:

وَكَمْ مَلِكٍ جَانِبُهُ مِنْ كَرَاهَةٍ لِإِغْلَاقِ بَابٍ أَوْ لِنَشْدِيدِ حَاجِبٍ
وَلَوْ فِي غَنَى هَيْسٍ مَرَادٌ وَمَذْهَبٌ إِذَا أُبْهِمَتْ دُورِي وَجُوهُ الْمَذَاهِبِ^(١)

بعض الحكماء: ينبغي للماتل أن يكون في دنياه كالدعوى إلى الوليمة، إن أتته صحفة تناولها،
وإن جازته لم يرصد لها ولم يطلبها .

(١) أبهم الأمر : إغشاها .

(٤٦)

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام :

الأصل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ النَّظَرِ ،
فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ؛
وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ السُّتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَمْعَبًا ، وَالْمُسْتَقْصَبُ
لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .



قال الرضی رحمہ اللہ :

وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قناه
أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام ، وتتمه بأحسن تمام ، من قوله : « وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ » ،
إلى آخر الفصل .

• • •

الشرح :

وَغَاءِ السَّفَرِ : مشقة ، وأصل الوَغَتْ للكان القنهل الكثير الذهب ، تَفِيْبُ
فيه الأقدام ، ويشق على مَنْ يمشي فيه ، أَوْغَتْ للقوم ، أى وقعوا في الوَغَتْ . وَالْكَآبَةُ :
الحزن . وَالْمُنْقَلَبُ ، مصدر من انقلب مقلبا ، أى رَجَعَ ، وسوء النظر : قُبْحُ للرأى .

وصدر الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المائدة الصحيحة ،
وختمه أمير المؤمنين عليه السلام وتممه بقوله : « ولا يحصها غيرك » ؛ وهو الصحيح ؛
لأنَّ مَنْ يُتَصَحَّبُ لا يكون مستغلفاً ؛ فإنه مستحيل أن يكون الشيء الواحد في المكانين
مقياً وسائراً ؛ وإنما تصيح هذه القضية في الأجسام ؛ لأنَّ الجسم الواحد لا يكون في جنتين
في وقت واحد ؛ فأما ما ليس بجسم وهو الباري سبحانه ؛ فإنه في كل مكان ؛ لا على معنى
أنَّ ذاته ليست مكانية ؛ وإنما المراد علمه وإحاطته ونفوذه حكمه وقضائه وقدره ؛ فقد صدق
عليه السلام أنه المستغلف وأنه المستصحب ؛ وأنَّ الأمرين مجتمعان له جل اسمه .

وهذا الداء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب ، من منزله
بالكوفة متوجهاً إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه ؛ ذكره نصر بن مزاحم في كتاب
« صفين »^(١) ، وذكره غيره أيضاً من رواة الكوفة .



[أدعية على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية]

قال نصر : لما وضع على عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى
صفين ، قال : بسم الله ؛ فلما جلس على ظهرها ، قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا
وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِرِينَ ۖ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلِبُونَ »^(٢) اللهم إني أعوذ بك من وفناء السفر...
إلى آخر الفصل . وزاد فيه نصر : « وَمِنَ الْخَيْرِ بِمَدِيقَيْنِ » . قال : ثم خرج أمامه
الحزب بن سهم بن طريف ، وهو يرتجز ويقول :

يَا قَوْسِي سِيرِي وَأَمِّي السَّلَامَا وَتَقَطِّي لِمُزُونٍ وَالْأَعْلَامَا^(٣)
وَنَا بَدِي مَنْ خَالَفَ الْإِمَامَا إِنْ لَأَزْجُو إِنْ كُنِينَا الْعَامَا

(٢) سورة الزخرف ١٣ ، ١٤ .

(١) كتاب صفين ١٤٩ .

(٣) صفين : « وأطمي » ، والمزون : جمع حزن ، وهو عند السهل من الأرض .

يَجْعَلُ بَيْنَ أُمَّةٍ الطَّعَامَ^(١) أَنْ تَقْتُلَ الْعَاصِيَ وَالْمُحَامَا

• وَأَنْ تُزِيلَ مِنْ رِجَالِ حَامَا •

قال : وقال حبيب بن مالك ، وهو على شُرطة على عليه السلام ، وهو آخذُ بعتان دابته : يا أمير المؤمنين ، أخرجُ بالمسلمين فيصيبوا أجرَ الجهاد بالقتال ، وتخلقني بالكوفة لحشر الرجال ! فقال عليه السلام : إنهم لن يُصيبوا من الأحر شيئاً إلا كنتَ شريكهم فيه ؛ وأنتَ ها هنا أعظم غناء عنهم منك لو كنتَ معهم . فخرج على عليه السلام ، حتى إذا حاذى الكوفة صلى ركعتين^(٢) .

قال : وحدثنا عمرو بن خالد ، عن أبي الحسين زيد بن علي عليه السلام ، عن آبائه : أن^(٣) علياً عليه السلام خرج وهو يريد صيفين ؛ حتى إذا قطع النهر ، أمر مناديه ، فنادى بالصلاة ؛ فتقدم فصلى ركعتين ؛ حتى إذا قضى الصلاة ، أقبل على الناس بوجهه ، فقال : أيها الناس ؛ ألا من كان مُشيعاً لم يقبأ فليتم الصلاة ؛ فإننا قوم سقر ، ألا ومن صحبنا فلا يصوم من لفروض . والصلاة المفروضة ركعتان .

قال نصر : ثم خرج حتى نزل دبر أبي موسى . وهو من الكوفة على فرسخين . فصلى به المصّر ، فلما انصرف من الصلاة ، قال : سبحان الله ذي الطول والنعم ! سبحان الله ذي القدرة والإفضال ، أسأل الله الرضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، والإنابة إلى أمره ؛ إنه سميع الدعاء^(٤) .

قال نصر : ثم^(٥) خرج عليه السلام حتى نزل على شاطئ نرس^(٦) بين موضع حقام أبي يردة وحقام عمر ، فصلى بالناس المغرب ، فلما انصرف ، قال : الحمد لله الذي بولج

(١) الطعام : أوغاد الناس .

(٢) كتاب صفين ١٥٠ : « حتى إذا جاز حد الكوفة » .

(٣) كتاب صفين ١٥٠ .

(٤) كتاب صفين ١٥١ .

(٥) نرس ، بالفتح ثم الكون وآخره سين مبهمة : نهر حمره نرس بن بهرام بنواحي الكوفة ؛ مأخذه من الفرات ، وعليه عدة قرى . (مراد الاطلاع) .

الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ؛ والحد فله كلما وغسق ؛ والحد فله كلما
لاح نجم وخفق .

ثم أقام حتى صلى العداة ، ثم شخص حتى بلغ إلى قبة قبين^(١) ، وفيها نخل طوال إلى
جانب البيعة من وراء النهر ، فلما رآها ، قال : ﴿ وَالْمُحَلَّ مَائِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَصِيدٌ ﴾ . ثم
أقام دابته النهر ، فمير إلى تلك البيعة فرمها ، ومكث قدّر العداة .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن محمد بن محنف بن سليم^(٢) قال : إني لأنظر إلى
أبي وهو يسير علياً عليه السلام ، وعلى يقول له : إن بابل أرض قد حُف بها ، فحرك
دايتك لعلنا نصلي العصر خارجاً منها . فحرك دابته ، وحرك الناس دوابهم في أثره ؛ فلما
جاء جسر العرات^(٣) ، نزل فصرى بالناس العصر .

قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مكرم الثقفي ، عن أبيه ، عن عهد خير ، قال :
كنت مع علي أسير في أرض بابل ، قال : وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال : فجعلنا
لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح^(٤) من الآخر ؛ قال : حتى أتينا على مكان أحسن مارأينا ؛
وقد كادت الشمس أن تمس . قال : فنزل علي عليه السلام ، فزلت معه ، قال : فدعا الله ،
فرجعت الشمس كقدارها من صلاة العصر . قال : فصليت العصر ، ثم غابت الشمس ، ثم
خرج حتى أتى دير كعب ، ثم خرج منه فيات بسباط ، فأتاه دهاقها برصون عليه
النزل^(٥) والطعام ، فقال : لا ، ليس ذلك لنا عليكم . فلما أصبح وهو بمظلم سباط^(٦) ،

(١) قبين ، بالهم ثم الكسر والشديد ؛ قال صاحب مراصد الاطلاع : « ولاية بالمرال » .

(٢) صفح ١٥١ ، والسيد هناك : نصر : عمر ، من رجل - من أبي عنت ، من عهد ابن عنت .

(٣) صفح : « حصر العرات » ؛ والحصاة من أنهار الفرات .

(٤) أفيح ، من القبيح وهو البه .

(٥) النزل : طعام الضيف .

(٦) مظلم سباط ؛ موضع مضاب إلى سباط ابن جرب للمائي ؛ قليل الضوء : مراصد الاطلاع ١٢٨٩

قرأ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ ^(١) .

قال نصر : وبلغ عمرو بن العاص سيرة فقال :

لَا تَحْسَبْنِي يَا عَلِيٌّ غَافِلًا لِأُورِدَنَّ السَّكُوفَةَ الْقَنَابِلَ ^(٢)
• بِحَسْبِي الْعَامَ وَبِحَسْبِي قَائِلًا •

قال : فبلغ ذلك علياً عليه السلام ، فقال :

لَأُورِدَنَّ الْعَاصِيَ ابْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفًا حَاقِدِي النَّوَاصِي
مُسْتَعْفِينَ حَلَقَ الْفُلَاسِ ^(٣) قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ مَعَ الْفُلَاسِ ^(٤)
• أَسُودَ فَيْلٍ حِينَ لَا مَنَاصِ •

•••

[نزول علي بكر بلاء]

قال نصر : وحدثنا منصور بن سلام التميمي ، قال : حدثنا حيوان التميمي ، عن أبي
صبيدة ، عن هرثمة بن سليم ، قال ^(٥) : غزونا مع علي عليه السلام صفين ، فلما نزل
بكر بلاء صلى بنا ، فلما سلم رفع إليه من ثوبها فشتها ، ثم قال : واهالك يا ثربة ^(٦) !
ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب .

قال : فلما رجع هرثمة من غزائه ^(٨) إلى امرأته جرداء بنت ميمر - وكانت من شيعة
علي عليه السلام - حدثها هرثمة فيما حدث ، فقال لها : ألا أجبئك من صدقك أبي حسن !

(١) سورة الشعراء ١٢٨

(٢) صفين ١٥٣

(٣) القنابل : جماعات الخيل والناس .

(٤) مستعفين : حاملي ، والفلأس : الدروع الملبية .

(٥) يقال : جب الرجل الفرس إذا دفعه إلى حبه . والفلأس : جمع فلوس ؛ وهي الشاة من الإبل ؟
بحالة الجارية من النساء .

(٦) كتاب صفين ١٥٧ .

(٧) صفين : ٥ واهالك أيتها الثربة .

(٨) صفين : ٥ من غزوته .

قال : لما نزلنا كركر^(١) بلاء ، وقد أخذ حَفَنَةً مِنْ تَرْبَتِهَا فَنَشَمَهَا ، وقال : « واهلك أيتها التربة ! لِيَحْشُرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » : وماعِظُهُ بِالغَيْبِ ؟ فَقَالَتْ لِلرَّأَةِ لَهُ : دَعْنَا مِنْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا .

قال : فلما نَدَّثَ عُبيد الله بن زياد البعث الذي نَمَثَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَفَتْ فِي الْخَلِيلِ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ ؛ فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه ، عَرَفْتُ الْمَذَلَّ الَّذِي نَزَّلْنَا فِيهِ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالنُّقْمَةَ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا وَالْقَوْلَ الَّذِي قَالَه ، فَكِرِهْتُ مَسِيرِي ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى فَرَسِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْمَذَلِّ ؛ فَقَالَ الْحُسَيْنُ : أَمِنَّا أَمْ عَلَيْنَا ؟ فَقُلْتُ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا مَمْلَكَ وَلَا عِلِيكَ ؛ تَرَكْتُ وَلَدِي وَعِيَالِي^(٢) أَحَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَوْلُ هَرَبٍ حَتَّى لَا تَرَى مَقْتَلَنَا^(٣) ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ حُسَيْنٍ^(٤) بِيَدِهِ لَا يَرَى الْيَوْمَ مَقْتَلَنَا أَحَدٌ نَحْنُ لَا بِسَيِّدٍ^(٥) إِلَّا دَخَلَ النَّارَ .

قال : فَأَقْبَلْتُ فِي الْأَرْضِ أَشَدَّ هَرْبًا ، حَتَّى سَوَّيْتُ عَلَى مَقْتَلِهِمْ .

♦ ♦ ♦

قال نصر : وَحَدَّثَنَا مُصَنَّبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ عَنْ أَبِي جُعَيْفَةَ ، قَالَ : جَاءَ^(٦) عُرْوَةُ الْبَارِقِ إِلَى سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : حَدِيثُ حَدَّثْتَنَاهُ^(٧) عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : نَحْنُ بِمَنْعَى يَخْشَفُ بْنُ سَلِيمٍ إِلَى عَلِيٍّ عِنْدَ تَوَجُّعِهِ إِلَى صِفِّينَ ، فَأَنْبِئْتُهُ بِكَرَّ بَلَاءٍ ، فَوَجَدْتُهُ يُشِيرُ يَدَهُ ، وَيَقُولُ : هَاهُنَا ، هَاهُنَا ؛ فَقَالَ لَهُ

(١) صفي : « تَرَكْتُ أَهْلَ وَوَدِي » .

(٢) صفي : « حَتَّى لَا تَرَى لَنَا مَقْتَلًا » .

(٣) صفي : « فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ » .

(٤) صفي : « لَا يَنْبِئُنَا » .

(٥) صفي : ١٥٨ .

(٦) صفي : « حَدَّثْتَنِي » .

رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ثَقُلَ لآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا ، فَوَيْلٌ لِمَنْ مِنْكُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ! فقال له الرجل : مامنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : وَيْلٌ لِمَنْ مِنْكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ يَدْخُلُكُمْ اللَّهُ فَيَقْتُلُهُمُ النَّارُ .

قال نصر : وقد روى هذا الكلام على وجه آخر ، أنه عليه السلام قال : « فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ » ؛ فقال الرجل أما « وَيْلٌ لَنَا مِنْهُمْ » ، فقد عرفناه ؛ فَوَيْلٌ لَنَا عَلَيْهِمْ ، مامنناه ! فقال : تَرَوْنَهُمْ يُقْتَلُونَ لَا نَسْتَطِيعُونَ نُصْرَتَهُمْ .

قال نصر : وحدثنا سعيد بن حكيم العمسقي ، عن الحسن بن كثير ، عن أبيه ، أن علياً عليه السلام أتى كَرْبَلَاءَ ، فوقف بها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، هذه كَرْبَلَاءُ ، فقال : « ذات كَرْبٍ وبلاء » ؛ ثم أومأ بيده إلى مكان ، فقال : هاهنا موضع رحلهم ، ومُتَنَاحِ رِكَاكِهِمْ ؛ ثم أومأ بيده إلى مكان آخر ، فقال : هاهنا سَرَّاقُ دِمَائِهِمْ ، ثم مضى إلى ساباط ^(١) .



[خروج على الحرب معاوية وما دار بينه وبين أصحابه]

وينبغي أن نذكر هاهنا ابتداء عزمه على مفارقة الكوفة ، والمسير إلى الشام وما خاطب به أصحابه ، وما خاطبوه به ، وما كاتب به المال وكاتبوه جواباً عن كتبه ؛ وجميع ذلك منقول من كتاب نصر بن مزاحم .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : لما أراد علي عليه السلام السير إلى الشام ، دعا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، لَجَسَهُمْ ؛ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكُمْ مِيَامِينَ

الرأى ، مَرَّاجِيحِ الْحِلْمِ ، مَبَارَكُو الْأَمْرِ ، وَمُقَاوِيلِ بِالْحَقِّ ؛ وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى السَّيْرِ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ ؛ فَاشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ .

فَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، بِحَمْدِ اللَّهِ وَأَتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَنَا بِأَقْوَمِ جِدِّ خَيْرٍ ؛ مِمَّنْ لَكَ وَلِأَشْيَاعِكَ أَعْدَاءٌ ؛ وَمَنْ لَنْ يَطْلُبَ حَرْثَ الدُّنْيَا أَوْلِيَاءَ ؛ وَمَنْ مَقَاتِلُكَ وَمُجَادِلُكَ ^(١) لَا يَبْقَوْنَ جَهْدًا ، مَشَاقَّةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَصَنَاءَ بِنَافِي أَيْدِيهِمْ مَسَاءَ ؛ لَيْسَ لَمْ إِزْبَةِ غَيْرَهَا ؛ إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَهْلَالُ مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ؛ كَذَبُوا لَيْسَ لَدُنْهُمْ يَنْفِرُونَ ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ؛ أَنَّهُمْ بَنَاءُ إِلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ فَيَسِرْ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَالُ ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّقَّ ؛ فَمَا ذَاكَ ظَنِّي بِهِمْ ^(٢) ؛ وَاللَّهِ مَا أَرَاهُمْ يُبَاسِمُونَ وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ بَطَّاعٌ إِذَا نَهَى ؛ وَيُسْمِعُ إِذَا أَمَرَ ^(٣) .

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبِي الْكَتُودِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ بَاسِرٍ قَامَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَأَتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا قَافِلٌ ، اشْخَصْ مَا قَبْلَ اسْتِعَارِ نَارِ الْعَجَبَةِ ، وَاجْتِمَاعِ رَأْيِهِمْ عَلَى الصُّلُوحِ وَالْفِرْقَةِ ، وَادْعُهُمْ إِلَى حَطِّهِمْ وَرَشْدِهِمْ ؛ فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا ؛ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَقَتْ دِمَائِهِمْ ، وَالْجِدَّةُ فِي جِهَادِهِمْ ، لَقُرْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَكَرَامَةٌ ^(٤) .

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، بِحَمْدِ اللَّهِ وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، انْكَشِرْ ^(٥) بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَلَا تَعْرِجْ ^(٦) ؛ فَوَاللَّهِ لَجَهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ جِهَادِ الْفَرَسِ .

(١) مَلِيحٌ : « مُجَادِلُكَ » .

(٢) مَنِيحٌ : « فَذَلِكَ الظَّنُّ بِهِمْ » .

(٣) كِتَابُهُ مَنِيحٌ ١٠٣ .

(٤) مَنِيحٌ : « وَهُوَ كَرَامَةٌ مِنْهُ » .

(٥) الْإِنْكَشَافُ : الْجِدَّةُ فِي السَّيْرِ .

(٦) مَنِيحٌ : « لَا تَعْرِجْ » وَالتَّعْرِجُ : التَّغَرُّرُ .

والروم ؛ لإدعائهم^(١) في دين الله ، واستذلّهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا عَضِبُوا على رجل حبّسوه وضربوه وحرّموه وسبّوه ، وميّنّا لهم في أنفسهم حلال ، ونحن لم فيها بزعمون قتلين^(٢) - قال :
يعنى رقيق .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزّعة بن ثابت وأبو أيوب ؛ وغيرها : لِمَ تقدّمت
أشياخ قومك وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أما إنّ عارف بفضلكم ، معظّم
لشأنكم ؛ ولكنى وجدّت في نفس المؤمن لدى في صدوركم جاش حين ذكرت
الأحزاب .

فقال بعضهم لبعض : لِيَقُمْ رجلٌ منكم فليُجِبْ أميرَ المؤمنين عن جماعتكم ، فقام
سهل بن حنيف ، فخّيد الله واثق عليه^(٣) ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ نحن سنلّم لمن سألت ،
وحرب لمن حاربت ، ورأينا رأيك ، ونحن^(٤) بميثك موحد رأينا أن نقوم [بهذا الأمر]^(٥)
في أهل الكوفة فأمّروهم بالشخص بوجعهم بما صنع لهم في ذلك من العسل ، فإنهم أهل
البلد وهم الناس ؛ فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب ؛ فأما نحن فليس
عليك خلاف بنا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى أمرتنا أطعناك^(٦) .

قال نصر : فحدثنا عمر بن سعد ، عن أبي جحيف ، عن زكريا بن الحارث ، عن
أبي خشيش ، عن معبد ، قال : قام رجلٌ عليه السلام خطيباً قلى منبره ، فكنت تحت المنبر ،
أسمع تمرّضه^(٧) الناس وأمره لم بالمسير إلى حنين لقتال أهل الشام ، فسمعتُه يقول :

(١) الإدعائ : الفتي والمندبة . (٢) القتلين : الضم والأبواب .

(٣) صفين : « ونحن كف بميثك » .

(٤) من صفين

(٥) صفين ١٠٥

(٦) صفين : « حين حرض الناس » .

سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسنة ، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة
للمهاجرين والأنصار . قام رجل من بني فزارة ، فقال له : أريد أن تسير بنا إلى إخواننا
من أهل الشام فنقتلهم لك ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلهم ! كلاً ،
ها الله ^(١) إذا لا تفعل ذلك .

قام الأشتر ، فقال : مَنْ هذا اللارق ! ^(٢)

فهرب الفزارى ، واشتد الناس على أثره ، فلحق في مكان من السوق تباع فيه
البراذين ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قُتل ؛ فأتى على
عليه السلام ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، قُتل الرجل ، قال : وَمَنْ قَتَلَهُ ؟ قالوا : قتلته
عُمدان ومعه شوب من الناس ، قال : قُتل عُمَيْة ^(٣) ، لا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ ! ديت من
بيت مال المسلمين ؛ قال مص بن عُمَيْرٍ : ثم اللات من شطبة ^(٤) :

أعوذُ برؤي أن تكونَ لَمِيَّةٌ كما ماتَ في سوقِ البراذينِ أربدٌ
تعاوَرَه عُمدانُ خفقَ نِعالُهُمْ إِذَا رُفِعَتْ عنه يدٌ وُصِفَتْ يَدٌ

قام الأشتر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يهدمك ما رأيت ، ولا يؤسستك من نصرنا
ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ؛ إن جميع مَنْ ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون
بأنفسهم من نفسك ، ولا يحبون البقاء عندك ، فإن شئت فسير بنا إلى عدوك ، فوالله
ما ينجو من الموت مَنْ خافه ، ولا يملأ البقاء مَنْ أحبه ، وإنا لَمَلَى بَيْنَهُ مِنْ رَبَّنَا ؛ وإن
أنفسنا لن تموت حتى يأتى أجلها . وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ،
وقد وثبت عصاة بهم على طائفة من المسلمين بالأمس ، وباعوا حلالهم تعرض
من الدنيا يسير !

(٢) صعب : « من هذا أيها الناس » .

(٤) صعب : « قال طائفة التبي » .

(١) الهاء ما قبله ينقسم بها .

(٣) قيل عُمَيْة ، أى مينة فنة وجهالة .

فقال ^١ على عليه السلام : الطريق مُشْتَرِكٌ ، والناس في الحق سواء ، ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة ، فقد قصى ما عليه . ثم رل فدخل مرله ^(١) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثني أبو زهير الميموني ، عن النضر بن صالح أن عبد الله بن المَعَمِّمَ للمدني وحفظته من الربيع التميمي ؛ لما أمر على عليه السلام الناس بالسير إلى الشام دَحَلًا عليه في رجال كثير من عطفان وبي تميم ، فقال له حنظلة : يا أمير المؤمنين ؛ إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبها ، ورأينا لك رأيا فلا تردّه علينا ، فإننا نظرنالك ولمن معك ؛ أقمْ وكناب هذا الرجل ، ولا تمحل إلى قتال أهل الشام ؛ فإننا والله ما ندرى ولا تدرى لمن تكون العنة إدا التقيم ؛ ولا على من تكون الذبيرة !
وقال ابن المَعَمِّمِ مثل ^(٢) قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمنثل كلامهما ، فحيد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

أما بعد فإن الله وارثُ العباد والملاذ ، وربُّ السموات السبع ، والأرضين السبع ، وإليه ترجعون ، يؤتي الملك من يشاء ، ويرفع الملك من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء . أما الذبيرة ، فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفروا بهم ؛ وإيم الله إلى لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكراً .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء والله ما آثروك بمنصح ، ولا دخلوا عليك إلا بعش ، فاحذرهم فإنهم أدبى العدو .

وقال له مالك بن حبيب : إنه يلقي يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتائب معاوية ، فادفعه إلينا نحبسّه حتى تنقضي عزاتك ، وتنصرف .

(١) ص ١٠٢

(٢) ص ١٠٢ : « وقام المَعَمِّمِ تكلم » .

وقام من بنى عبس قائد بن بكير وعياش بن ربيعة العبسيان ، فقالا : يا أمير المؤمنين إن صاحبنا عبد الله بن العثم قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاحبسناه أو مكثنا من حبسه ؛ حتى تنقضي غزاتك ثم تنصرف .

فقال : هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوكم .
فقال لها على عليه السلام : الله بيني وبينكم ، وإليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم ^(١) .

قال نصر : ومث على عليه السلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ، وهو من الصعابة - فقال له : يا حنظلة ، أنت قتل أم لي ؟ قال : لا لك ولا عليك ؛ قال : فما تريد ؟ قال : اشخص إلى الرها ^(٢) ، فإنه فرج من الفرج ، اصبر له حتى ينقضي هذا الأمر .

فنصب من قولة حيار بن عمرو بن نعيم وم رطه ، قال : إنكم والله لا تفرون من ديني ، دهوني فأنا أعلم منكم ، قالوا : والله إن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع قلاته تخرج معك - لأم والله - ولا ولدها ، ولئن أردت ذلك لقتلتك .

فأحاده ناس من قومه واختلطوا بهوفهم ، قال : أجلوني حتى أنظر . ودخل منزله وأغلق بابه ؛ حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية ، وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير ، وهرب ابن العثم أيضا ، حتى أتى معاوية في أحد عشر رجلا من قومه .

وأما حنظلة فخرج إلى معاوية في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ؛ لئلا يقاتلا مع معاوية ، واعتزلا الفريقين جميعا ^(٣) .

(١) صفين : ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والنام .

(٣) صفين : ١٠٩

وقال : وأمر علي عليه السلام بهدم دار حفلة ، فهدمت ؛ هدمها عرفهم شبت بن
ربيع وبكر بن تميم ؛ فقال حفلة مهجوما :

أيا راكبا إنا عرّضت فبلقن مَعْصِلَةً حَقَّ سَرَاةِ بَنِي عَمْرٍو
فأوصيكم بالله ولغيره والتقى ولا تنظروا في النَّائِلَاتِ إِلَى نَكْرِ
ولا شبت ذي المنخرين كاه أَرَبَ جَالٍ قَدَرَا لَيْلَةِ الْفَرِّ^(١)

وقال أيضا بمرثض معاوية بن أبي سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب حطة ولكل مائقة نَسِيلُ قَرَارٍ
لَا تَقْبَلَنَّ ذَنْبِيَّةَ تَرْضَوْنَهَا^(٢) فِي الْأَمْرِ حَقَّ تَقْتُلَ الْأَنْصَارُ
وَكَمَا تَبُوهُ دِمَاؤُهُمْ بِدَمَائِكُمْ وَكَأَنَّهُمْ — دُمُ الْهَذَّاءِ بِدَارٍ
وَتُرَى سَاؤُهُمْ يَحْمِلُنَّ حَوَاسِرًا وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ شَكْلِ الرِّجَالِ حَوَارٍ^(٣)

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن سعد بن طريف ، عن أبي المحاضر ، عن المهمل
ابن خليفة ، قال : قام عدى بن حاتم الطائي بين يدي علي عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ،
وقال : ^(٤) يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا نعلم ، ولا دعوت إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا
برشد ؛ ولكن إذا رأيت ^(٥) أن نستأني هؤلاء القوم ونستديمهم - حتى تأتيهم كتبك ،
ويقدم عليهم رؤسك - فعلت . فإن يقبلوا يصيبوا أرشدهم ^(٦) ، والعافية أوسع لنا ولهم ؛

(١) الأرب : الكثير شعر الوجه والفتون ، ول سيب :

• أَرَبُ جَالٍ فِي مَلَا حِيَةِ صَفَرٍ •

(٢) صفي : « لعلونها » .

(٣) صفي : « ولمن من شكل الرجال حوار » .

(٤) صفي ١١٠

(٥) صفي : « فإن رأيت » .

(٦) صفي : « فإن يقبلوا يصيبوا ورشدوا »

وإن ينادوا في الشقاق ولا ينزعوا عن النى فسر إليهم . وقد قدمنا إليهم بالطر^(١) ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ؛ فوالله لهم من الحق أبعد ، وعلى الله أهون ؛ من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لما دعوناهم إلى الحق فتركوه ، ناولجناهم برأكاهم القتال^(٢) ؛ حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبيع الله منهم رضاه .

فقام زيد بن حصين اللطائي - وكان من أصحاب البراس^(٣) المجتهدين - فقال : الحمد لله حتى يرضى ، ولا إله إلا الله ربنا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك من قتال من حالنا ، ولا تصلح لنا النية في قتالهم حتى يستديهم ونستأنبهم - ما الأعمال إلا في تباب ، ولا السى إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : ﴿ وَأَمَّا يَنْفَعُ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٤) ؛ إنا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يتهمونه^(٥) ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حظهم ، أعوان الطلعة وأصحاب الخور والدوان^(٦) ؛ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .

فقام رجل من طي فقال : يا زيد بن حصين ، أكلام سيدنا عدى بن حاتم شهجن^(٧) ؟ فقال : زيد ما أنتم بأعترف بحق عدى مئى ، ولكى لا ادع القول بالحق وإن سخط الناس .

قال نصر : وحدثنا همر بن سعد ، عن الحارث بن حصين قال^(٨) : دخل أبو زينب

(١) صفي : « المدر » .

(٢) البراكاء : الابتراك في الحرب ؛ وهو أن يمشو القوم على ركبهم . ، ويقال : وحن به ، أى ضرب به الأرض ، وفى صفي : « ناولجناهم » .

(٣) جمع براس ؛ وهو قلنسوة طويلة كان يلبسها في صدر الإسلام النساك والزهاد .

(٤) سورة الصفى ١١ .

(٥) صفي : « يفتنون فيه » .

(٦) صفي : « وسددي أساس الخور والدوان » .

(٧) فى صفي بعد هذه الكلمة : « قاله : فقال عدى بن حاتم : الضريق مشترك ، والناس فى الحق سواء ؛ فمن اجتهد رأيه فى نصيحة العامة فقد نصى إلى الله عليه » .

(٨) صفي ١١٢ : « الحارث بن حصيرة » .

ابن عوف ، عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لئن كنا على الحق لآنت
أهدانا سبيلا ، وأعظمتنا في الخير نصيبا ؛ ولئن كنا على ضلال ، إنك لأتقنا ظهرا وأعظمتنا
وزرا ؛ قد أمرتنا بالمسير إلى هذا المدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا
لم العداوة ؛ تريد بذلك ما يعلمه الله تعالى من طاعتك ؛ أليس الذي نحن عليه هو الحق
البين ، والذي عليه عدونا هو الحروب الكبير ؟

فقال عليه السلام : بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ماصرا لدعوتنا ، صحيح النية في
نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة كما زعمت ؛ فإنك ولي الله ، تسبح^(١)
في رضوانه ، وتركض في طاعته ، فأبشراها زينب .

وقال له عمار بن ياسر : أثبت أبا زبيب ، ولا تشك في الأحزاب ، أعداء^(٢)
الله ورسوله .

فقال أبو زبيب : ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة شهداني مما سألت من هذا
الأمر الذي أهمنى - مكانكما .

قال : وخرج عمار بن ياسر ، وهو يقول :

سِيرُوا إِلَى الْأَحْزَابِ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ سِيرُوا فَخَيْرُ النَّاسِ أَتْبَاعُ عَلَى

هَذَا أَوْ إِنْ طَلَبَ مَلٌ لِّلشَّرَفِ وَقَوْدُنَا الْخَيْلَ وَهَزَّ السَّهْمَ^(٣)

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن أبي رزق ، قال :^(٤) دخل يزيد بن قيس

الأرحبي عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نحن أولو جهاز وعدة ، وكثر

(١) صفي : « تسبح » .

(٢) صفي : « عدوا لله ورسوله » .

(٣) السهوب القرية : منسوبة إلى مشارف الشام ؛ قرى من أرض العرب . والسهري : الرمح

الصلب ، منسوب إلى سهر زوج ربيعة ، وكانا متغلبين الرماح . (٤) صفي ١١٣ .

الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف^(١) ولا علة، فر مناد بك؛ فليناد الناس يخرجوا إلى مسكرهم بالخيلة؛ فإن أحد الحرب ليس باستوم ولا التثوم، ولا من إذا أمكنته الفرس أجلبها، واستشار فيها؛ ولا من يؤخر عمل الحرب في اليوم لغد وبعد غد.

قال زياد بن النضر: لقد سمع لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يعرف، فوكل على الله، وثق به، واشحص بنا إلى هذا العدو راشداً ماماً؛ فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك رغبة منك^(٢) إلى من ليس له مثل سابقتك وقدميك^(٣)؛ وإلا يذنبوا ويقبوا وبأبوا إلا حربنا نجد حرمهم علينا هيناً؛ ونرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قال: يا أمير المؤمنين؛ إن القوم لو كانوا الله يريدون، وفه يملون ما حالقوا، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأموة وحياً للأثرة، وضناً بسطانهم، وكرهاً لفراق ديارهم التي في أيديهم، وعلى إحترق في قلوبهم، وعداوة يمدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديماً، قتل فيها آباءهم وأخوانهم^(٤).

ثم انفت إلى الناس، قال: كيف يبأج معاوية علياً، وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة في موقف واحد؛ والله ما أظنهم يملون^(٥)، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنأ الكران^(٦)، وتقطع على هامهم الشيوف، وتنفذ حواجيبهم بمعد الحديد، وتسكون أموراً جمة بين الفريقين.

(١) صين: « ومن ليس بمضعف ».

(٢-٣) صين: « إلى من ليس مثلك في الساقة مع النبي صلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام ».

(٤) صين: « وإخوانهم ».

(٥) صين: « ما أظن أن يملوا ».

(٦) صين: « تقصف »، وهي بمعنى « تقصف » وللران: الرماح اللينة.

قال نصر : وحدثنا همر بن سعد عن الحارث بن حصين عن عبد الله بن شريك ، قال ^(١) : خرج حُجْر بن عدى وعُمر بن الحقيق ، يُظهران البراءة من أهل الشام ؛ فأرسل علي عليه السلام إليهما أن كُفّا عما يبلُغني عنكما ، فأتياه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا محقين ؟ قال : بلى ؛ قالوا : أو ليسوا مُبطلين ؟ قال : بلى ؛ قالوا : فلم منمتنا مِنْ شتمهم ؟ قال : كرهتُ لكم أن تكونوا كعائنين شتامين تشتمون وتقبزون ؛ ولكن لو وصفتُم مساوئ أعمالهم فقلتُم : مِنْ سيرتهم كذا وكذا ، وَمِنْ أعمالهم كذا وكذا ، كان أصوبَ في القول ، وأبلغَ في العذر ؛ وقلتُم مكان لعنكم إياهم ، وبراءتكم منهم : اللهم احقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، وانهدم من ضلالتهم حتى يعرف الحق ؛ منهم مَنْ جَهِلَه ، ويرعوى عن النفي والعُدوان مِنْهُمْ مَنْ تَهَجَّ به - لكانَ أحبَّ إلَيَّ وخيراً لَكم .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، قَبِلْ حَقَّكَ ، وعَاقِبْ بِأَدَبِكَ .

قال نصر : وقال له همر بن الحقيق يومئذ : والله يا أمير المؤمنين إني ما أحببتك ولا بايستك على قرابة بيني وبينك ، ولا لإرادة مال تؤتيه ، ولا لتمسك سلطان ترفع ذكرى به ؛ ولكنني أحببتك بمخال خسر : ألك ابنٌ هم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ووصيه ، وأبو القزبة التي جئيتُ فيها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسبقُ الناس إلى الإسلام ، وأعظمُ المهاجرين سَهْناً في الجهاد ؛ فقرأني كُلفتُ قُلَّ الجبالِ الرِواسِ ، ونَزَحَ البحور الطوامي ؛ حتى بَأْتِي علي يومى في أمر أقرمى به وليك ، وأمينُ عدوك ؛ ما رأيتُ أني قد أدبت فيه كلَ القدي بحق علي من حَقِّكَ .

فقال علي عليه السلام : اللهم نور قلبه بالحق ، واحمِمْهُ إلى صراطك المستقيم ^(٢) ،

(١) صفين : ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) صفين : « إلى صراط مستقيم » .

لَيْتَ أَنْ فِي جُنْدِي مِائَةٌ مِثْلَكَ ، قَالَ حُجَيْرٌ : إِنَّا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَحَّحَ جَنْدُكَ ، وَقُلْ فِيهِمْ مَنْ يَنْشُكَ .

قال نصر : وقام حُجَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ وَأَهْلُهَا الَّذِينَ يُنْقِصُهَا وَيَنْتَجِبُهَا ، قَدْ ضَارَسْتَنَا وَضَارَسْنَاهَا ^(١) ، بُولْنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدَدٍ وَرَأْيٍ بِحَرْبٍ ، وَبِأَسْ عَمُودٍ ، وَأَزْمَتُنَا مَتَقَادَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَقْتَ شَرَقْنَا ، وَإِنْ غَرَبْتَ غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا . فقال عليٌّ عليه السلام : أَكُلَّ قَوْمِكَ بَرِيٍّ مِثْلَ رَأْيِكَ ؟ قال : مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا حُسْنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ . فقال له عليٌّ عليه السلام خيرا .

• • •

قال نصر : حَدَّثَنَا هَرَبُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَمَّالِهِ . حِينَئِذٍ يَسْتَفْزِمُ ، فَكَتَبَ إِلَى غُخَفِ بْنِ سَلِيمٍ :

سَلَامٌ ^(٢) عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ ، وَهَبَ فِي نَافَسِ الْعَمَى وَالضَّلَالِ ، اخْتِيَارًا لَهُ - فَرِيصَةً عَلَى الْمَسَارِفِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أَرْضَاءِ ، وَيَسْخَطُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ ، وَإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالسَّيْرِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بَعِيرَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْقِيَمَةِ ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ ، وَأَمَاتُوا الْحَقَّ ، وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَانْخَلَعُوا الْفَاسِقِينَ وَلَبِغَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِذَا وَلَّى اللَّهُ أَعْظَمَ أَحَدِهِمْ أَيْبُضُوهُ وَأَقْصَوْهُ وَحَرَّمَوْهُ ، وَإِذَا ظَلَمَ سَاعِدَهُ عَلَى خَلْقِهِمْ أَحَبُّوهُ ، وَأَدْنَوْهُ وَبَرَّوهُ ؛ فَقَدْ أَصْرَوْا عَلَى الظُّلْمِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ ؛ وَقَدِيمًا مَا حَصَدُوا عَنِ الْحَقِّ ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ ، وَكَانُوا ظَالِمِينَ . فَإِذَا أُتِيتَ بِكِتَابِي هَذَا ، فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْثَقَ أَصْحَابِكَ فِي نَفْسِكَ ، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا ، لَعَلَّكَ تَلْقَى مَعَنَا هَذَا الْعَدُوَّ

(١) ضَارَسَتْ الْأُمُورُ : حَرَسَتْهَا .

(٢) كِتَابٌ صَعِيدٌ : ١١٦ ، ١١٧ .

الْعَجَلُ ، فَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَحَامِعُ الْحَقَّ ، وَتُبَايِنُ الْبَاطِلَ ؛ فَإِنَّهُ لَا غِنَاءَ
بِنَا وَلَا بِكَ عَنْ أَجْرِ الْجِهَادِ ، وَحَسْبُكَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وكتبه عبيد الله^(١) بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

قال : فاستعمل يَحْيَى عَلَى أَصْحَابِ الْخَارِثِ مِنْ أُمَيِّ الْخَارِثِ مِنَ الرَّبِيعِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى
تَهْمَذَانَ سَعِيدَ بْنِ وَهَبٍ ، وَكَلَامًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَفِينَ .
قال نصر : وكتب عبيد الله بن العباس من البصرة إلى علي عليه السلام يذكر له
اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه علي عليه السلام : [من عبد الله علي أمير المؤمنين
إلى عبد الله بن عباس]^(٢) :

أَمَا بَعْدُ ؛ فَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُكَ ، وَقَرَأْتُ كِتَابَكَ ، تَذَكَّرْتُ فِيهِ حَالَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ
وَاجْتِلَاءَهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِي عَنْهُمْ ، وَمَا أَحْدَثَ عَنْ الْقَوْمِ كَيْدُهُمْ بَيْنَ مَقِيمٍ لِرُغْمَةِ يَرْجُوها ،
أَوْ خَائِفٍ مِنْ قُوَّةٍ يَخْشَاهَا ، فَأَرْغَبَ رَأْيُهُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْهِ ، وَالْإِصْصَافِ لَهُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ؛
وَاحْتُلُّوا حَقَّةَ الْخُوفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، وَأَتَتْهُ بَنِي أُمَيٍّ وَلَا تَعْدُوهُ ، وَأَحْسِنَ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ
رَبِيعَةٍ وَكُلِّ مَنْ قَبْلَكَ فَأَحْسِنَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال نصر : وكتب إلى أمراء أَعْمَالِهِمْ سَعْدُو مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى يَحْيَى مِنْ سَائِمٍ ،
وَأَقَامَ يَنْتَظِرُهُمْ .

قال : لَمَّا دُنِيَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أُمَيٍّ رَوَّاقٍ ، قَالَ^(٣) : قَالَ رِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْخَارِثِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ
إِنْ يُدِيلُ : إِنْ يَوْمًا الْيَوْمَ عَصَصَ^(٤) مَا بَصَرَ عَلَيْهِ إِلَّا كُلَّ مَشْيَعٍ^(٥) الْقَلْبِ ، الصَّادِقِ

(١) صغين : « عبد الله » .

(٢) من صغين

(٣) صغين ١٢٤ - ١٢٨

(٤) العصص : الشديد ، وَوَصَفَى : « عَصَصَ »

(٥) المشيع القلب : القوي الماد الشعاع .

النية ، رابط الجأش^(١) ؛ وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منهم ؛ ولا منا إلا الرذال^(٢) .
 فقال عهد الله بن نذيل : أما والله أمر ذلك . فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال
 لهما : ليسكن هذا الكلام محزونا في صدوركم لا تطهروا ولا يسمع منكم سامع ؛ إن الله
 كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية منيته كما كتب الله له ،
 فطوبى للمجاهدين في سبيله ، وللقنولين في طاعته !

قال نصر : فلما سمع هاشم بن عتبة ما قلناه ، أتى علياً عليه السلام ، فقال : سر بنا
 يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم ، اتقاسم قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ،
 وعملوا في عباد الله بنير رصاصه ، فأحلوا حرامه ، وحرموا حلاله ، واستوى بهم^(٣)
 الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومقام الأمان ، حق أذاخهم عن الهدى ، وقصد بهم
 قصد الردى ، وحسب إليهم الدنيا فهم يحتلون على دنياهم رغبة فيها ؛ كرجلنا في الآخرة
 واعتجاز موعدها . وأت يا أمير المؤمنين العربُ الناس من رسول الله صلى الله عليه
 وآله ، وأفضل الناس ساجدة وقديكة ؛ وهم يا أمير المؤمنين يملكون منك مثل الذي نل ؛
 ولكن كتب عليهم التقاء ، ومالت بهم الأهراء ، وكانوا ظالمين ، فأيدتنا مبسوطة لك
 بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرجة لك بهذا النصيحة ، وأخسنا نصرك قلى من خالفك ،
 وتولى الأمر دونك جذلة ، والله ما أحب أن لي ما على الأرض مما أقلت ، ولا ما تحت
 السماء مما أقلت ؛ وأنى وإيت عدواك ؛ أو عادت ولياك !

فقال عليه السلام : اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك ، وللمرافقة لنبيك^(٤) .

قال نصر : ثم إن علياً عليه السلام صعد للنبر فخطب الناس ، ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ
 بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

(١) الجأش : القلب ؛ وفلان رابط الجأش ؛ أى مجامع لا يضطرب قلبه خوفاً .

(٢) الرذال ، والرذيل ؛ ما اتقى جيعه وبقي أخيه وأمواله .

(٣) صنف ؛ واستولاهم .

(٤) كذا في صنف ، وفي الأصول : « للمرافقة » .

إن الله قد أكرمكم بدينه، وحققكم لعبادته، فأنصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتبجروا مواعده، واعلموا أن الله جعل أمراً الإسلام متينة، وعراه وثيقة؛ ثم جعل الطاعة حظ الأئمة ورضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط المعجزة^(١)، وقد تجلت أمر أسودها وأجرها، ولا قوة إلا بالله! ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سقى نفسه، وتناول ماله ليس له ومالا يدركه معاوية وجنده، الفئة الطاغية الباغية، بقودهم إبليس، ويبرق لهم يبارق تسويفه، ويدلهم نروره؛ وأنتم أهل الناس بالحلل والحرام؛ فاستعنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارعبوا بما عنده من الأجر والكرامة؛ واعلموا أن السلوب من سلب دينه وأمانته، والمرور من أثر الصلاة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاس عني، وقال في عيرى كفاية: فإن الذود إلى الذود إبل، ومن لا يذود عن حوضه يتهدم. ثم إن أكرم ما شدق الأمر والجهاد في سبيل الله، وألا فتاجوا مسلماً، وانتظروا لنصر الماجل من الله إن شاء الله.

قال نصر: ثم قام ابنه الحسن بن علي عليه السلام، فقال:

الحمد لله لا إله غيره ولا شريك له.

ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نبيه مالا يحصى ذكره؛ ولا يؤدى شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة؛ ونحن إنما عطينا الله ولكم؛ إنه لم يجمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدهم. فاحشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، ولا تحاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب؛ وإن الإقدام على الأمانة نخوة وعصية، لم يجمع^(٢) قوم قط إلا رفع الله عنهم العية، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم اللذة، ثم أنشد:

(١) صلين: العبرة.

(٢) صلين: لم يجمع، والتمنع والامتناع: المر والفرقة.

والصلح تأخذ منه مارضيت به والحرب يكفينا من أنفسنا جوعاً^(١)
ثم قام الحسين بن علي عليه السلام ، خمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا أهل الكوفة ،
أنتم الأسيبة للكرماء ، والشعار دون الدثار ، جدوا في إطفاء ما دثر بينكم ، وتسهيل^(٢)
ما تورع عليكم . ألا إن الحرب شرها دريع وطعنها فظيع ؛ فمن أخذ لها أهتها ، واستعدت
لها عدتها ، ولم يألم كلومتها قبل حلوتها ، فذلك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أو ان فرصتها ،
واستبصار صعيه فيها ، فذلك قمن ألا يتبع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله تقوته أن
يدعمكم بالفيئة^(٣) ثم نزل .

قال نصر : فأجاب علياً عليه السلام إلى السير جل الناس ؛ إلا أن
أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ، فيهم عبيدة السلماني وأصحابه ، فقالوا له : إنا نخرج
مكم ، ولا نترك عكركم ونسكر على جدته ، حتى نطرق في أسركم وأسر أهل الشام ؛ فمن
رأيناه أراد مالا يحمل له أو بدا لنا منه نمنى كئنا عليه . فقال لهم علي عليه السلام : مراحباً
وأهلاً ؛ هذا هو الفقه والدين ، والملم بالسنة ، من كم يرش هذا فهو خائن جبار^(٤) .
وأناه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ؛ منهم الربيع بن خثيم ؛ وهم يومئذ
أربعمائة رجل ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن قد شككنا في هذا القتال ؛ هل معرفتنا
بعصك ، ولا عفاء منا ولا بك ولا بالمسلمين نحن يقايل المدرة ؛ عولنا بعض هذه النعور
سكن^(٥) ثم نقاتل عن أهل ؛ فوجه علي عليه السلام بالربيع بن خثيم على ثمر الرزي ،
فكان أول لواء عقده عليه السلام بالكوفة لواء الربيع بن خثيم

(١) البيت للماس بن مرداس السلمي ، الخزائن ٢ : ٨٢

(٢) صعب : « إسبال » .

(٣) صعب : « بالسه » .

(٤) صعب : « حائر » .

(٥) صعب : « تكون به » .

قال نصر : وحدثني عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن هوف ، ابن الأحرار ؛ أن ^(١) عليا عليه السلام لم يبرح النجيلة ، حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة . قال : وكان كتاب علي عليه السلام إلى ابن عباس :

أما بعد ، فاشخص إلى عن ذلك من المسلمين والمؤمنين ، ودكرم ملائي عندهم ، وغفوي عنهم في الحرب ، وأعينهم الذي لم في ذلك من العسل . والسلام . قال : فداو صل كتابه إلى ابن عباس بالبصرة ، قام في الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أيها الناس ، استمدوا للشعوص إلى إمامكم ، واخبروا خفاقا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأغصم ؛ فإنكم تقاتلون الحثين القاسطين ؛ الذين لا يقرءون القرآن ، ولا يعرفون حكم الكتاب ، ولا يدينون دين الحق ؛ مع أمير المؤمنين ، وابن عم رسول الله ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمصادع بالحق ، والقيم بالهدى ، والحكام بحكم الكتاب ، الذي لا يرتش في الحكم ، ولا يدهن القبحار ، ولا تأخذ في الله لومة لائم .

فقام إليه الأحنف بن قيس ، فقال : سم والله لنجيبتك ، ولنخرجن معك على المسر والبسر ، والرحا والسكر ، بحسب في ذلك الأجر ، وبأمل به من الله العظيم حسن الثواب . وقام خالد بن الممر السدوسي فقال : سمعنا وأطعنا ؛ فف استغفرتنا نقرأنا ، ومتى دعوتنا أجبتنا .

وقام عمرو بن مرجوم العبدي ، فقال : وفق الله أمير المؤمنين ، وجمع له أمر المسلمين ،

ولمن الخلقين القاسطين، لا يقرءون القرآن ؛ نحن والله عليهم حَقَقُونَ ، ولم في الله مفارقون ؛
فَقَى أَرَدْنَا صَحْبَكَ خَيْلًا^(١) ورجالنا إن شاء الله .

قال : وأجاب الناس إلى السير ، ونشطوا وغفوا ؛ فاستعمل ابن عباس على البصرة
أبا الأسود الدؤلي وخرج حتى قدم على علي عليه السلام بالثخيلة .

• • •

[كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه]

قال نصر : وكتب^(٢) محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

من محمد^(٣) بن أبي بكر إلى العاوي معاوية بن صحر ، سلام على أهل طاعة الله
يمن هو سَلَمٌ^(٤) لأهل ولاية الله . أبا بعد فإن الله محله وعظمته وسلطانه وقدرته ، خلق
خلقاً بلا عيب ولا ضعف في قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبداً ،
وجعل منهم شقياً وسعيداً ، وغريباً ورشيداً ، ثم أحترم على عليه ، فأصطفى واتعجب
منهم محمداً صلى الله عليه وآله ، فأحصاه برسائه ، واختاره لوحده ، وأتممه على أمره ،
وسمه رسولا مصداً قالما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ؛ فدعا إلى سبيل أمره
بالحكمة والورعظة الحسنة ؛ فكان أول من أجاب وأجاب ، وصدق [ووافق]^(٥) فأسلم
وسلم أخوه وابن عمه . علي بن أبي طالب عليه السلام ، فصدقه بالنيب للكتوم ، وآثره
على كل حليم ، ووقاه كل هول ، وواساه بنف في كل خوف ؛ فخارب حربته ، وسالم
سيلمه ؛ فلم يبرح مهتدياً لنفسه في ساطات الأزل^(٦) ، ومقامات الرُّوع ؛ حتى يبرز سابقا

(١) صفين : ٥ ورجلنا . (٢) صفين : ١٣٢ - ١٣٥

(٣) في صفين : ٥ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر .

(٤) صفين : ٥ مسلم .

(٥) من صفين

(٦) الأزل : العدة والضييق .

لا تظهر له في جهاده ، ولا مقارب له في فضله ؛ وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ؛ وهو هو السابق للبرز في كل خير ؛ أولُ الناس إسلاما ، وأصدق الناس ربة ، وأطيبُ الناس ذرية ، وأفضلُ الناس زوجة ، وحيرُ الناس ابن عم . وأنت الممينُ ابن الممين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله العوائل ، وتحشدان على إطفاء نور الله ؛ وتجمعان على ذلك الجوع ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان في ذلك القبائل ؛ على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خففت ، والشاهدُ عليك بذلك مَنْ يَأْوِي ويُلْعَا إليك ؛ من بغيّة الأحزاب ورموس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ والشاهد لعلّ مع فضله وسابقتة القديمة أنصاره الذين ذكّرهم الله تعالى في القرآن ، فضلتهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ؛ فهم معه كتاب وعصائب ؛ يحاللون حوله بأسيا فهم ، ويهرقون دماءهم حونه ؛ يرون الفصل في اتباعه ، والشقاق والعصيان في خلافه ؛ فكيف يأت الويل - تدلّ نفسك سلى - ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وورثته وأبو ولده ، وأولُ الناس له اتباعا ، وأحرم به عهدا ، بحبره بسرّه ، وبشركه في أمره ؛ وأنت حنوة وابن عدوة ؛ فمتنع ما استطعت بإطاعتك ، ولبيد ذلك ابن العاص في غوايتك ؛ فكان أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف تسنين لمن تكون العاقبة الطيا . واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمّنت كيدك ، وأمنت من روحه ، وهو لك بالمرصاد ؛ وأنت منه في غرور . وبالله وبأهل بيت رسوله عنك القضاء والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية^(١) :

من معاوية بن أبي سفيان ، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر . سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد ؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه ، وما أصفى به نبيه ، مع كلام ألقته ووضعته ؛ لرأيتك فيه تعذيب ؛ ولأبيك فيه تعذيب ؛ ذكرت حق

(١) بعد ما صيحت : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ابن أبي طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبي الله ونصرتة له ، ومواساته إياه ؛ في كل
حرف وهول ؛ واحتجاجك على ، ونورك بعسل غيرك لا فضلك . فاحمد إلها صرف
ذلك الفضل عنك ، وجعله لعيرك ؛ فقد كنت وأبوك معاني حياة نبينا ؛ نرى حق ابن أبي
طالب لا رما لنا ، وفضله مبرزاً علينا ؛ فلما احتار الله لنبيه ما عنده ، وأتم له ما وعدده ، وأظهر
دعوته ، وأفلج حجبته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه ، أول من ابتزوه وحالفه على
ذلك اتفاقاً وانساقاً^(١) ؛ ثم دعواؤه إلى أنفسهما فأنطا عنهما ، وتلكا عليهما ، فمها به المهوم :
وأرادا به العظيم ، بابهما وسلمهما ، لا يشركان في أمرهما ، ولا يظلمان على سرهما ، حتى قبضا
واغضى أمرهما . ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدى بهديهما ، ويسير برهنهما ،
فببته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأقامى من أهل المامى ، ووطنما وطهرتما^(٢) ،
وكشفتما له عداوتكما وغلكما ، حتى بلغتما منه هناك ، فعد حذرک يا بن أبى نكر ، فسترى
وبال أمرک ، وقبس شبرک بفترک ، تقصّر عن أن يساوى أو توارى من بز الجبل
حله ، ولا تلين على قسر قناته ولا بدرك ذو مدي أمانته ، أبوك مهّد له مهاده ،
وبنى مذكك وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك
أسه^(٣) ونحن شركاؤه ، فبهديبه أخذنا ، وبغمله اقتدينا ، رأينا أباك فعل ما فعل ، فاحتذينا
مثاله ، واقتدينا بفعله ، فعب أباك بما بدا لك ، أو دغ . والسلام على من أناب ، ورجع
من ضوايته وناب .



قال : وأمر على عليه السلام الحارث الأهور أن ينادى في الناس : اخرجوا إلى معسكركم

(١) معين : « واشفا » .

(٢) صنف : « أظهرتما » .

(٣) صنف : « أسه » .

بالنصيحة ، فنادى الحارث في الناس بذلك ، وبعث إلى مالك بن حبيب البزيعي صاحب شرطته ، يأمره أن يحضر الناس إلى المعسكر ، ودعا عُمَير بن عمرو الأنصاري ، فاستحلفه على الكوفة . وكان أصغر أصحاب العقبة السبعة ، ثم خرج عليه السلام ، وخرج الناس معه .

قال نصر : ودعا علي عليه السلام ريد بن النضر وشرح بن هاشم . وكانا على مدحجج والأشعرين . فقال : يا ريد ، اتق الله في كل غمض ومُصْبَح ، وخَفْ علي عليك الدنيا المروور ! ولا تأنسها على حائ وعلم أنك إن لم ترعها عن كثير مما تحت محافة مَكْرُوها ، سَمَتْ بك الأهواء إلى كثير من الضرر ، فكن نفسك مائماً وارعاً من النسي والطم والعدوان ؛ فإني قد وليت هذا الخلد ، فلا تستطيان عليهم ؛ إن حبركم عند الله أنفكم ؛ نعمتم من عالمهم ؛ وعلم حاضهم ؛ واعلم عن كَمِيبهم ؛ فإنك إنما تدرِك الخير بالحلم وكَفَّ الأذى والجهل ^(١) .

فقال زياد : أوصيت يا أمير المؤمنين خاتماً لوصيتك ، مؤدياً لأمر بك ؛ يرى الرشد في نفاذ أمرك ، والعزم في نصيب عهدك .

فأمرهما أن يأخذاً في طريق واحد ولا يختلفا ، وبعثهما في اثني عشر ألفاً على مقدمته ، وكل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش ؛ فأخذ شريح يمتثل بمن معه من أصحابه على حدة ، ولا يقرب ريادا ، فكتب زياد إلى علي عليه السلام مع مَوَلَى له يقال له شوذب :

لبيد الله على أمير المؤمنين ؛ من زياد بن النضر ؛
سلام عليك ؛ فإني أخذ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنك وليتني أمر

(١) الجهل هنا : السفاهة والنصب .

الناس ؛ وإن شَرِيحاً لا يرى عليه طاعة ولا حقاً؛ وذلك من قبله في استخفاف بأمره، وترك لمهلكه ، والسلام .

وكتب شريح بن هانئ إلى علي عليه السلام :

لعبد الله علي أمير المؤمنين من شريح بن هانئ ، سلام عليك ؛ فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن زياد بن النضر حين أشركته في أمره ، ووليته جنداً من جنودك ، طعن واستكبر ، ومال به العقب والخيلاء والزُّهو إلى ما لا يرضى الله تعالى به من القول والفعل ؛ فإن رأي أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزله عتاً ويمت مكانه من يحب فليفعل ؛ فلنا له كارهون ، والسلام .

فكتب علي عليه السلام إليهما :

من عبد الله علي^(١) أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ . سلام عليكما ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر ، وأمرته عليها ، وشريح بن هانئ قلي طائفة منها أمير ؛ فإن انتهى جمعكما إلى بأس ، فزياد بن النضر قلي للناس كلهم ؛ وإن افترقا فكل واحد منكما أمير الطائفة التي وليناه أمرها . واعلمنا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ، فإذا أمتا خرجتا من بلاد كما فلا تساما من توجيه الطلائع ، ومن نفس الشعب^(٢) والشجر والخمر^(٣) في كل جانب ، كي لا يفتز كما عدو ، أو يكون لهم كين . ولا تسيروا للكتاب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا على نمشة ، فإن دهمكم عدو أو غشيتكم مكروه ، كنتم قد تقدمتم في النمشة ، فإذا زلتم بدمو أو زل بكم فليكن معكم في قُل الأشراف أو سيفاح^(٤)

(١) صلين : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ... » .

(٢) يقال : نفس للسكان ينفضه ؛ إذا فطر جمع ما فيه حتى يعلم منه ؛ ومنه قول زهير :

وتنفض عنها غيب كل خبيلة وتختفي رماة الفوث من كل مرصد

والشباب : جمع شعبة ؛ وهي « انتصب وترفع من الرأى » .

(٣) الخمر : ما وادى الإنسان من خمر ونحوه .

(٤) الأشراف : جمع شرف ؛ وهي الأماكن العالية . وسيفاح الجبال : أسافلها .

الجبال وأثناء الأنهار ؛ كما يكون ذلك لكم ريداً ، وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين ؛ واجملوا رقباء كما ^(١) في صياصي الجبال ، وبأعلى الأشراف ، ومناكب الأنهار يرون لكم ، كي لا ^(٢) يأتيكم عدو من مكان مخفئ أو آمن . وإياكم والخصوف ؛ فإذا أنزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً ؛ فإذا غشيكم الليل فدرتم نقيتوا عسكركم بالرماح والترسة ^(٣) ، ولتكن رماثكم من وراء ترسيكم ورماحكم بطنهم . وما أقسم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم قفلة ، ولا تلتقي لكم غيرة ، فاقوم يحفون عسكرهم برماحهم وترسهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون . واحرّسا عسكركم بأنفسكم ، وإلا كما أن تذوقا نوماً حتى تصبحا إلا غرارا أو مضغنة ^(٤) . ثم ليكن ذلك شأنكم ودأبكم حتى تنهيا إلى عدوكم ؛ وليكن كل يوم عندى خبركم ورسول من قبيلكم . فإني - ولا شيء - إلا ما شاء الله - حيث السهم في أثركم كما عليكم في جزيكم ^(٥) بالتوادة ، وإياكم والسجلة ؛ إلا أن تمكنكم فرصة بعد الإعداء والحقنة ، وإياكم أن تقتلوا حتى أقدم عليكم ، إلا أن تبدأ ، أو يأتيكم أمرى ، إن شاء الله ^(٦) .

قال نصر : ^(٧) وكتب على عليه السلام إلى أمراء الأجناد - وكان قد قسم عسكره أسباعاً ، فجعل على كل سبع أميراً ، فجعل سعد بن مسعود الثقفي على قيس وسعد القيس ، ومقبل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرباب وقريش

(١) صفت : درقاءكم .

(٢) كذا في أ ، وفي ب ، ج بحذف هـ كي .

(٣) الترس : جمع ترس ؛ وهو صفة من الفولاذ مستديرة ، ويجمع على تراس أيضا .

(٤) الفرار : الفيل من النوم . وقوله : مضغنة : ما حل النوم دوماً ، أسرم ألا ينالوا منه إلا بألسنتهم ولا ينفقوه ؛ فشبهه بالعصاة بالماء والقائه من الفم من غير اتلاع ؛ كذا نصره صاحب اللسان (١٠ : ٩) ؛ وأورد كلام الإمام .

(٥) صفت : حرككم .

(٦) صفت ١٣٨ - ١٤٠

(٧) صفت ١٣٢ ، ١٤٠ - ١٤١ .

وكنانة وأسد ، ويخنف بن سليم على الأزدي وبجيلة وخشم والأفصار وخزاعة ، وحجبر
ابن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاة ، وزباد بن النضر على مذحج
والأشعرين ، وسيد بن مرة الهذلي على قحطان ومن معهم من خيبر ، وعدي بن
حاتم الطائي على طيء ؛ تجمعهم الدعوة مع مذحج ، وتختلف الرايتان : رواية مذحج مع
زباد بن النضر ، ورواية طيء مع عدي بن حاتم ؛ هذه صاكر الكوفة . وأما عاكر
البصرة فخالد بن معمر السدوسي على بكر بن وائل ، وعمرو بن مرحوم العبدي على عبد
القيس ، وابن شيان الأزدي^(١) على الأزدي ، والأحنف على تميم وضبة والرباب ، وشريك
ابن الأعور الحارثي على أهل العالية :

أما بعد ، فإني أرى إليكم من مَعْوَةِ الجنود^(٢) [ألا من حوكة إلى شعة ، ومن قمر
إلى غنى ، أو غنى إلى هدى ؛ فَإِنَّ فَتْكَ عَلَيْهِمْ]^(٣) . فَأَغْرِبُوا^(٤) الناس عن الظلم
والمُدَّوان ، وخنوا على أيدي سفهائكم ، واحترسوا أن تعملوا أحمالاً لا يرضى الله بها عتاً
فيردبها علينا وعليكم دعاءنا ؛ فإنه تعالى يقول : ﴿ مَا يَتَّبِعُ بِكُمْ رَبِّي نَوْلاً دُعَاؤُكُمْ ﴾^(٥) .
وإن الله إذا مَقَّت قوماً من السماء هلكوا في الأرض ، فلا تألوا أنفسكم حبراً ، ولا الجند
حسن سيرة ، ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة ؛ وأبْلُوا في سبيله ما استوجب عليكم ؛
فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يحب علينا أن نشكره بجهدنا ، وأن ننصره ما بلغت
قوتنا ولا قوة إلا بالله .

(١) في صفيين : « صبرة بن شيان » .

(٢) قوله : « أبرا إليكم من مرة الجيش » ، لجه صاحب الناس هنا القول إلى عمر بن الخطاب ،
وقال : « وأما مرة الجيش التي تراء منها عمر رضى الله عنه ؛ فهي وطائهم من مروا به من مسلم أو
صاعد ، وإصابتهم إياهم في حرهم وأموالهم وذرورهم بالم يؤذن لهم فيه » ؛ وفي صفيين : « مرة الجيش » .
(٣) تنكته من كتاب صفيين .

(٤) أغربوا الناس ، أي نجحهم ، وفي صفيين : « أغربوا الناس » .

(٥) سورة الفرقان ٧٧ .

قال : وكتب عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم وعليهم :

أما بعد ؛ فإن الله جعلكم في الحق جميعاً سواء ؛ أسودكم وأحمركم ، وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد ، و [بمنزلة] ^(١) الولد من الوالد ، [الذي لا يكفيه منعه إياهم طلب عدوه والتهمة به ، ما سمعتم وأطعتم وقضيتهم الذي عليكم] ^(٢) . فحقكم عليه إصافكم والتعديل بينكم ، والكف عن فيئكم ؛ فإذا فعل معكم ذلك ، وحببت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، ونصرتة والدفع عن سلطان الله ، فإياكم وزعة الله في الأرض ، فكونوا له أعواناً بولديته أنصاراً ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، إن الله لا يحب المفسدين ^(٣) .



قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : حدثني سعد بن طريف ، عن الأصمغ ابن نباتة ، قال : قال علي عليه السلام : ما يقول الناس في هذا القبر ؟ - وفي القبة ، وبالقبة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله - فقال الحسن بن علي عليهما السلام : يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه ، جاء فبات هاهنا ، فقال : كذبوا ؛ لأننا أعلم به منهم ؛ هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بكر يعقوب ؛ ثم قال : أها هنا أحد من مهرة ^(٤) ؟ فأتى بشيخ [كبير] ^(٥) ، فقال : أين منرك ؟ قال : على شاطئ البحر ، قال : أين أنت من الجبل ^(٦) ؟ قال : أنا قريب منه ، قال : ما يقول قومك فيه ؟ قال : يقولون : إن فيه قبر ساحر ، قال : كذبوا ، ذلك قبر هود النبي عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب . ثم قال

(١) نسخة من كتاب صفين .

(٢) صفين ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) صفين : « أين من الجبل الآخر » .

(٤) مهرة : حي من اليمن

عليه السلام : يُحْشَرُ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَى غُرَّةٍ ^(١) الشَّمْسِ ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قال نصر : فلما نزل على عليه السلام الثَّغْبِيَّةُ متوجها إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق ، فدأبَسَ منبر دمشق قيصَ عَمَّانَ مَخْتَضِبًا بِالْدَّمِ ، وَحَوْلَ الْمَذْبَرِ سَبْعُونَ أَلْفًا ^(٢) شَيْخٌ يَبْكُونَ حَوْلَهُ ، لَا تَجِفُّ دُمُوعُهُمْ عَلَى عَمَّانَ ، جَطَبُهُمْ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، قَدْ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَنِي فِي عَلِيٍّ ، وَقَدْ اسْتَبْلَنْ لَكُمْ أَمْرُهُ ؛ وَاللَّهِ مَا قَتَلَ خَلِيفَتُكُمْ خَيْرُهُ . وَهُوَ أَمْرٌ بَقِيَتْهُ ، وَأَتَبَ النَّاسَ عَلَيْهِ ، وَأَوَى قَتْلَتَهُ ، وَهَمَّ جَنْدُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَعْوَانُهُ ، وَقَدْ خَرَجَ بِهِمْ قَاصِدًا بِلَادَكُمْ وَدِهَارَكُمْ لِإِبَادَتِكُمْ . يَا أَهْلَ الشَّامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِ عَمَّانَ ! فَإِنَّا وَلِيُّهُ وَأَحَقُّ مَنْ طَلَبَ بَدَمَهُ ؛ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوْلِيَّ الْقَتُولِ طَلَمًا سُلْطَانًا ، فَانصروا خَلِيفَتَكُمْ لِلظُّلُمِ ، قَدْ صَنَعَ الْقَوْمُ بِهِ مَا تَعْلَمُونَ ، قَتَلُوهُ ظُلْمًا وَنِيًّا ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْفِتْنَةِ الْبَاطِنَةِ حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ .

ثُمَّ نَزَلَ .

قال نصر : فَأَعْطَوْهُ الطَّمَاعَةَ وَأَقْلَدُوا لَهُ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ ، وَاسْتَمَدَّ لِقَاءَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَفِي كِتَابِ سَمْعِي .

(١) غُرَّةُ الشَّمْسِ : مَطْلَمُهَا .

(٣) كِتَابُ صَفِيْن ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤٧)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة :

الأصل

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي ؛ تُتْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ ،
وَتُتْرَكِينَ بِالزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جِبَارٌ سُوًى ، إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلِ
أُورَمَاهُ^(١) بِقَاتِلِ .



البيوع :

عُكَاظ : اسم سوق للحرب بناحية مكة ، كانوا يجتمعون بها في كل سنة ، يقيمون
شعرا ويتبايعون ويتناشدون شعرا ويتفاخرون ، قال أبو ذؤيب :
إِذَا بُيِيَ الْقَيْسَابُ عَلَى عُكَاظٍ وَقَامَ الْبَيْعُ وَاجْتَمَعَ الْأُلُوفُ^(٢)
فَمَا جَاءَ الْإِسْلَامَ هَدَمَ ذَلِكَ ؛ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُبَاعُ الْأَدِيمُ بِهَا ، فَتُسَبَّ إِلَيْهَا .
وَالْأَدِيمُ وَاحِدٌ وَالْجَمْعُ أَدِيمٌ ، كَمَا قَالُوا : أَفِيقَ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ لَمْ تَيْتَمْ دِيَاغَتُهُ ، وَجَمْعُهُ أَفُقٌ . وَقَدْ
يَجْمَعُ أَدِيمٌ عَلَى آدِمَةٍ ، كَمَا قَالُوا : رَغِيفٌ وَأَرْغَفَةٌ .
وَالزَّلَازِلُ هَاهُنَا : الْأُمُورُ لِلزَّهْمَةِ ، وَالْخَطُوبُ الْمَحْرَكَةُ .

(١) مخطوطة التهج : « أورماه » .

(٢) ديوان المدهلين ١ : ٩٨ ؛ وفي شرحه « على عكاظ » يريد بككاظ ، ويقال : ثلاث نازل على

فلان ، وعلى ضربية ، أى بها . فم البيع ، يريد : قامت السوق » .

وقوله عليه السلام : « تُمَدِّينَ مَدَّةَ الْأَدِيمِ » ، استعارة لما يئالها من الصَّف والخط .
وقوله : « تُعَرِّكِينَ » ؛ من عَرَكَتِ الْقَوْمَ الْحَرْبَ إِذَا مَارَحْتَهُمْ حَتَّى أَتَمَّيْتَهُمْ .

[فصل في ذكر فضل الكوفة]

وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام شيء كثير ، نحو قول
أمير المؤمنين عليه السلام : نعمت للدِّرة .

وقوله عليه السلام : إنه يُحْشَرُ مِنْ ظَهْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَجُوعُهُمْ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ .

وقوله عليه السلام : هَذِهِ مَدِينَتُنَا وَمَحَلَّتُنَا ، وَمَقَرَّةُ شَيْعَتِنَا

وقول جعفر بن محمد عليه السلام : اللَّهُمَّ ارْحَمْ مَنْ رَمَاهَا ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهَا .

وقوله عليه السلام : تَرْتَةٌ تَحِثُّنَا وَمَحْثُهَا .

فَأَمَّا مَا مَّ بِهِ الْمُلُوكُ وَأَرْبَابُ السُّلْطَانِ فِيهَا مِنَ السُّوءِ ، وَدَفَاعُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهَا ؛ فَكَثِيرٌ .

قَالَ لِلنَّصُورِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : إِنِّي قَدْ عَمِمْتُ أَنْ أَسْأَلَ إِلَى الْكَوْفَةِ

مَنْ يَنْقُضُ مَنَازِلَهَا ، وَيُحْمَرُّ^(١) نَحْلَهَا ، وَيَسْتَصْنِي أَمْوَالَهَا ، وَيَقْتُلُ أَهْلَ الرِّبَا مِنْهَا ؛

فَأَشِيرَ عَلَى . فَجَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ لَمْ يَلْقَ لِقَتِي سَلَفَهُ ، وَلَكِ أَسْلَافُ ثَلَاثَةِ :

سَلْيَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَأَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَيُوسُفَ قَدَّرَ فَفَنَرَ ؛ فَاقْدِرْ بِأَيْتِهِمْ شَلْتَ . فَصَلَّتْ

قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ خَفَرْتُ .

(١) جَرَّ النَحْلَ ؛ أَيْ قَطَعَ جُلُوعًا .

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب " المنتظم " أن زهاباً لما حصَّبه أهل الكوفة ، وهو يحطب على المنبر ، قطع أيدى ثمانين منهم ، وهم أن يخرَّب دورهم ، ويحمرَّ محلهم ، فشمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة ، يعرضهم على الراءاة من علي عليه السلام ؛ وعلم أنهم سيمتنعون ، فيفتح ذلك على استئصالهم ، وإخرا ب بلادهم .

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري : فإني أجمع نهر من قومي ، والناس يومئذ في أمر عظيم ؛ إذ هومت تهويمه ^(١) ، فرأيت شيئاً أقبل ، ملو بل العنق ، مثل عُقُق البعير أهدر أهمل ^(٢) ، فقلت : ما أنت ؟ فقال : أما النقاد ذو الرقة ، بُعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فرعاً ، فقلت لأصحابي : هل رأيتم ما رأيته ؟ قالوا : لا ؛ فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يقول لكم : إني عنكم اليوم مشمول ؛ وإذا بالطامون قد ضربوه ، فكان يقول : إني لأجد في النصف من حسدي حرَّ النار حتى مات ، فقال عبد الرحمن بن السائب : ...

مَا كَانَ مُنْتَهِيًا عَمَّا أَرَادَ عَنَّا حَتَّى تَنَاقَلَهُ النَّقَادُ ذُو الرِّقَةِ
فَأَثْبَتَ الشَّقَّ مِنْهُ ضَرْبَةً عَظُمَتْ كَمَا تَنَاقُلُ ظُلُمًا صَاحِبَ الرِّحَةِ ^(٣)

قلت : قد بظن خان أن قوله : « صاحب الرحبة » يمكن أن يحتاج به من قال : إن قبر أمير المؤمنين عليه السلام في رَحبة المسجد بالكوفة ؛ ولا حاجة في ذلك ، لأن أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رَحبة المسجد ، يحكم بين الناس ، لجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار .

(١) التهويم : هز الرأس من النطس .

(٢) يقال : هدر البعير ؛ صوت في عير شقيقة ، والجمل الأهمل ؛ للسرعي الشفر .

(٤٨)

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام :

الأصل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ
مَنْقُودِ الْإِنْسَانِ، وَلَا مُسْكَاتِ الْإِفْصَالِ . أَمَّا نَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمِي، وَأَمَرْتُهُمْ
بِلُزُومِ هَذَا الْبِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى
شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوَلِّينَ أَكْثَافَ دَجَّةٍ، فَأَيُّضُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْتَلَمَهُمْ
مِنْ أُنْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ .



قال الرضى رحمه الله :

يعنى عليه السلام بِالْبِلْطَاطِ هاهنا التَّسْتِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ ؛ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ،
وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَيَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءُ
الْفُرَاتِ، وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَجَبَّهَهَا .

• • •

الشرح :

وقب الليل ؛ أى دخل ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ^(١) .
وغسق ، أى أظلم . وخفق النجم ، أى عاب .

ومقدمة الجيش ، كسر الدال : أوله ؛ وما يتقدم منه على جمهور السكر ؛ ومقدمة
لإسان ، بفتح الدال : صدره .

والمَلَطاط : حافة الوادى وشفيره ، وساحل البحر ، قال رؤبة :

• نَحْنُ جَمْعُ النَّاسِ بِالْمَلَطَاطِ •

قال الأصمعي : يعنى به ساحل البحر ، وقول ابن مسعود : هذا المَلَطاط طريق بقية
المؤمنين ، هُزَّأَ من الدَّجَالِ - يعنى به شاطئ الفرات .

فأما قول الرضى رحمه الله تعالى : « المَلَطاط : السَّيْت الذى أمرم بلزومه وهو شاطئ
الفرات ، ويقال ذلك لشاطئ البحر » ، فلا معنى له ؛ لأنه لا فرق بين شاطئ الفرات
وشاطئ البحر ، وكلاهما أمر واحد ، وكان الواجب أن يقول : المَلَطاط : السَّيْت فى
الأرض ، ويقال أيضاً لشاطئ البحر ()
والشَّرْذمة : نفر قليلون .

وموطنين أكناف دجلة ، أى قد حلوا أكنافها وطناً ، أو طنت النقرة .

والأكناف : الجواب ، واحدها كَنَف . والأمداد : جمع مدد ، وهو ما يمدُّ به
الجيش تقوية له .

وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخبة خارجاً من الكوفة
ومتوجّهاً إلى صفين لحسّ بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ؛ ذكرها جماعة من أصحاب السير ،
وزادوا فيها : « وقد أمرت على المصر عتبة بن عمرو الأنصارى ، ولم آلك ولا نفسى ^(١) ؛
فإياكم والتخلف والترقب ؛ فإنى قد خلعت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك
متخلفاً إلا ألحقه بكم عاجلاً ، إن شاء الله » ^(٢) .

وروى نصر بن مزاحم عوض قوله : « فَأَهْبِضْهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ » « فَأَهْبِضْهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ » ^(١).

قال نصر : قَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرَّيَّاحِيِّ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَاللَّهِ مَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إِلَّا غُلَّيْنِ ، وَلَا يَتَرْتَضُ بِكَ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَرُّ مَالِكِ بْنِ حَبِيبٍ فَلْيَضْرِبْ أَعْلَاقَ الْمُتَخَلِّقِينَ . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُهُ بِأَمْرِي ، وَلَيْسَ بِمُقْصِرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(٢).

• • •

[أَخْبَارُ عَلِيٍّ فِي جَيْشِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى صَفِينِ]

قال نصر بن مزاحم : ثُمَّ سَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَتَى إِلَى مَدِينَةِ يَهْرَسِيرِ ^(٣) ؛ وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقَالُ لَهُ حُرْتُ بْنُ سَهْمٍ مِنْ طَرِيفٍ ، مِنْ بَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ مَالِكٍ ، يَنْظُرُ إِلَى آثَارِ كَسْرِي ؛ وَيَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْقَرٍ .

جَرَّتِ الرَّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيسَادٍ ^(٤)

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْاَقْلَتْ : ﴿ كُمْ تَرَكَوْا مِنْ حَنَاتٍ وَعُيُونٍ • وَرُؤُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَلَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ • كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا نَوَافِلَ آخِرِينَ • فَمَا هَكَكَ عَالِيَهُمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ ^(٥) ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارِثِينَ فَأَصْبَحُوا مَوْرَثِينَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ ، فَلْيَبُوءُوا دِيَارَهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ . لِمَا كُمْ وَكُفَّرَ النَّعْمُ ، لَا تَعْمَلْ بِكُمْ النَّعْمُ ، انْزَلُوا بِهِذِهِ النَّجْوَةَ ^(٦).

(١) صفين : « إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ » .

(٢) صفين ١٤٨ .

(٣) يهرسير : بلد قرب المدائن .

(٤) من نصيصة له في الفضائل ٢١٦ - ٢٢٠ .

(٥) سورة المدثر ٢٥ - ٢٩ .

(٦) النجوة : للسكان للنجاة في الأرض ؛ وفي صدي ١٥٩ « النجوة » ؛ وهو المكان المرتفع .

قال نصر: وحدثنا^(١) عمر بن سعد، عن مسلم الأعور عن حصة العُرفي، قال: أمر علي عليه السلام الحارث الأعور؛ فصاح في أهل الدائن: مَنْ كَانَ مِنَ الْقَاتِلَةِ فَلْيُؤَافِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَلَاةَ الْمَصْر. فوافوه في تلك الساعة، لحيد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد؛ فإنني قد تعجنت من تحننكم عن دَعْوَتِكُمْ، وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم. أهلها، المالك أكثر ما كنيها، لا معروف بأمرهم به، ولا منكر ينهون عنه.

قالوا: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إنا منتظر أمرك، مُرْنَا بما أحببت. فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة رجل معهم، وحلف أنه زياد بعده، فليحقه في أربعمائة رجل منهم.

وجاء علي عليه السلام حتى مرَّ بالأنهار، فاستقبله بو خشوشك^(٢)؛ دهافيسها. — قال نصر: الكلمة فارسية، أصلها «خش» أي الطيب^(٣).

قال: فلما استقبلوه، نزلوا عن جيولهم، ثم جاءوا يشتدون معه، وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه، فقال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق ينسأ لعظم به الأمراء؛ وأما هذه البراذين فهديّة لك، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً، وهديّة لدرابكُم علماً كثيراً.

فقال عليه السلام: أما هذا الذي رزقتم أمه فيكم خلق تعظمون به الأمراء، مواثقه ما ينفع ذلك الأمراء؛ وإياكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تمودوا

(١) صفين ١٦٠، ١٦١

(٢) في الأصول «خشوش» وما أثبتته من كتابه صفين

(٣) السادة كما في كتاب صفين: «قال سليمان: خش: طيب. فوشك: راس، يعني بني الطيب الرازي، بالفارسية».

هـ . وأما دوابكم هذه ؛ فإن أحببتم أن آخذها منكم ، وأحسبها لكم من خراجكم
أخذناها منكم . وأما طعامكم الذي صنعتم لنا ؛ فإنما نكره أن نأكل من أموالكم
إلا بثمن . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن قوم بهل منه ، قال : إذا لا تقومونه قيمته ،
نحن نكتفى بما هو دونه . قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فإن لنا من العرب موالٍ ومعارف ؛
أئتمننا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا ؟ فقال : كل العرب لكم موالٍ ، وليس
يبنى لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم ، وإن قصبكم أحد فأعدونا . قالوا :
يا أمير المؤمنين ؛ إننا نحب أن نقبل هديتنا وكرامتنا . قال : ويحكم ! فتحن أغنى منكم .
وتركهم وسار .

قال نصر : وحدثنا^(١) عبد العزيز بن سياه ، قال : حدثنا حبيب بن أبي ثابت ، قال :
حدثنا [أبو]^(٢) سعيد التيمي العروفي بسبب ، قال : كنا مع علي عليه السلام في مسيره
إلى الشام ؛ حتى إذا كنا بظهر البكوفة من جاب هذا البواد ، عطش الناس واحتاجوا
إلى الماء ، فاطلق بنا علي عليه السلام حتى أتى [بنا]^(٣) إلى صخرة خير من^(٤) في الأرض ؛
كأنها رُبضة خمر^(٥) ؛ فأمرنا فاقطعناها ، فخرج لنا من تحتها ماء ، فشرب الناس منه ، وارتووا .
ثم أمرنا فأكفأناها عليه . وسار الناس حتى إذا مضى قليلا ، قال عليه السلام : أمينكم
أحدٌ يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فاطلقوا
إليه ، فاطلق بنا رجالٌ ركبانا ومشاة ، فاقصصنا الطريق إليه ؛ حتى انتهينا إلى المكان
الذي نرى أنه فيه ، فطلبناه ، فلم ندر على شيء ، حتى إذا هبل علينا انطلقنا إلى دير قريب

(١) صفين ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) من صفين والقاموس .

(٣) الضرس : الأكلة الخشنة .

(٤) الرُبضة : بضم الراء ويقال بكسرهما ؛ مقدار جثة المتز إذا رُبضت ؛ وفي الأثر : « جاء بشريدكاته
رُبضة أرب » أي جنبها . راجع الحسان .

مِنَّا ، فَالْتَأَمَ : أَيْنَ هَذَا الْمَاءُ الَّذِي عِنْدَكُمْ ؟ قَالُوا : لَيْسَ قُرْبَنَا مَاءٌ ، فَهَلْنَا : بَلَى إِنَّ شَرَبْنَا مِنْهُ ، قَالُوا : أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ مِنْهُ ! قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ صَاحِبُ الدَّيْرِ : وَاللَّهِ مَا نُشِيْ هَذَا الدَّيْرَ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ ، وَمَا اسْتَعْرَجَهُ إِلَّا بَنُو أَوْصَى نَحْنُ .

قَالَ نَصْر : ثُمَّ مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : حَتَّى نَزَلَ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بَنُو تَغْلِبَ وَالنَّظِيرُ بْنُ قَاسِطٍ بَجَزُورٍ ^(١) ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْحَمِيِّ : يَا يَزِيدُ ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ : مِنْ طُعَامِهِمْ فَاطِمَةُ ، وَمِنْ شَرَابِهِمْ فَأَشْرَبُ .

قَالَ : ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى الرَّقَّةَ - وَحَلَّ أَهْلُهَا عُمَايَةَ ، فَرَوَّاهُ مِنَ السَّكُوفَةِ إِلَى مَعَاوِيَةَ - فَاعْلَقُوا أَبْوَابَهَا حُوبَةً ، وَتَحَصَّنُوا ، وَكَانَ أَمِيرُهُمْ سَمَّاكُ بْنُ مَحْرَقَةَ الْأَسَدِيِّ فِي طَاعَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَقَدْ كَانَ قَارِقُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَحْوٍ مِنْ حَائِثِ رَحْلِ مَنْ بَنَى أَسَدَ ، ثُمَّ كَانَتْ مَعَاوِيَةُ ، وَأَقَامَ بِالرَّقَّةِ حَتَّى لَحِقَ بِهِ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ .

قَالَ نَصْر : فَرَوَى حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ عَلَى الرَّقَّةِ ، رَدَّ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبَلِيخُ عَلَى جَانِبِ الْفُرَاتِ ، فَرَدَّ رَاهِبٌ هُنَاكَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَ لَعَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا تَوَارِثْنَاهُ عَنْ آبَائِنَا ، كَتَبَهُ أَصْحَابُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، أَعْرِضْهُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَرَأَ الرَّاهِبُ الْكِتَابَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الَّذِي قَصَى فِيهَا قَصًى ، وَسَطَرَ فِيهَا كِتَابٌ ^(٢) : أَنَّهُ بَاعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ : يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ ، وَيُدَلِّهِمْ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا فُطْرٌ وَلَا عَلِيظٌ ؛ وَلَا صَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْرِي بِالسَّيْثَةِ السَّيْثَةِ ، بَلْ يَفْقَهُ وَيُفْصِحُ ، أَمَّتَهُ الْمُتَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ^(٣) ، وَفِي كُلِّ صَعُودٍ وَهَبُوطٍ ، تَذِيلُ أَلْسِنَتِهِمْ

(١) الجزور : الناقة التي تنحر ؛ وفي سبعين : « بالجزيرة » .

(٢) سبعين : « فيها سطر » .

(٣) النشر : السكك المرفوعة ، كالمشار .

بالتكبير والتهليل ، والتسبيح ؛ وينصره الله على من ناواه ؛ فإذا توفاه الله ، اختلفت أمته من بعده ؛ ثم اجتمعت ، فلبثت ما شاء الله ، ثم اختلفت ، فبهر رجل من أمة بشاطيء هذا القرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحق ولا يركس^(١) الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمان^(٢) . يخاف الله في السر ، ويصيح له في العلانية ، لا يخاف في الله لومة لائم ؛ فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوان الجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ؛ فإن القتل معه شهادة .

ثم قال له : أنا مصاحبك ، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك . فسكن عليه السلام ، ثم قال : الحمد لله الذي لم أكُنْ عنده منسياً ، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار .

فرضي الراهب منه ، فكان فيما ذكروا جمعي مع أمير المؤمنين ويتمشى ، حتى أصيب يوم صفين ؛ فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام : اطلبوه ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه . وقال : هذا ميتاً أهل البيت ، واستغفر له مراراً^(٣) .

روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب " صفين " عن عمر بن سعد ، عن مسلم الأعور ، عن حبة العرفي . ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني ، بهذا الإسناد عن حبة أيضاً في كتاب صفين .

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب ، قال : حدثني يحيى بن سليمان . . . حدثني يحيى بن عبد الملك بن محمد بن عتيبة ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ومحمد

(١) الركس : رد الفى . مقلوما ، وفي صحن : « ولا يرتقى في الحكم » .

(٢) صمين : « اطلبوا » .

(٣) كتاب صفين لنصر ١٦٤ ، ١٦٥ .

ابن فضيل ، عن الأحمس ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبي سعيد الخدري ، رحمه الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاقطع شئع^(١) عليه ، فألقاها إلى علي عليه السلام بصلحها ، ثم قال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما فالتت على تنزيله » ، فقال أبو بكر الصديق : أنا هو يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فقال عمر بن الخطاب : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ولكنه ذاكم حاصف النعل » - ويد علي عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله بصلحها .

قال أبو سعيد : فأنبت علياً عليه السلام بشرته بذلك فلم يحفل به ، كأنه شيء قد كان علمه من قبل .

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضاً ، عن يحيى بن سليمان ، عن ابن فضيل ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي صادق ، قال : قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراقي ، فأخذت له الأزدرج^(٢) ، فبعثوها نهي ، فدخلت إليه فسلمت عليه ، وقلت له : يا أبا أيوب ، قد كرمك الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وزوله عليك ، فإني أراك تستقبل الناس بسيفك ، تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة ! قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين ، فقد فالتناهم ، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ؛ فهذا وجهنا إليهم - بمعنى معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ، ولم أرم بعد .

ووى ابن ديزيل أيضاً في هذا الكتاب ، عن يحيى ، عن يعلى بن عبيد الحنفى ، عن إسماعيل السدي ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو

(١) الشئع : نعل ؛ وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى ثلثها .

(٢) الجزر : جمع الجزور ؛ وهو ما يخرج من الإبل .

في الحجرة يُوحى إليه ونحن ننتظره حتى اشتد الحر ، فجاء علي بن أبي طالب ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهما السلام ؛ فقدموا في ظل حائط ينتظرونه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، رأهم فأتاهم ووقفنا نحن مكاننا ، ثم جاء إلينا وهو يظلم بثوبه ، ممكا بطرف الثوب ، وعلى يمينك بطرفه الآخر ؛ وهو يقول : « اللهم إني أحبتهم ، فأحبتهم ؛ اللهم إني سئمت لمن سألهم ، وحرب لمن حاربهم » قال : فقال ذلك ثلاث مرات .

قال إبراهيم في الكتاب المذكور : وحدثنا يحيى بن سليمان ، قال : حدثنا ابن فضيل ، قال : حدثنا الحسن بن الحكم النخعي ، عن رباح بن الحارث النخعي ، قال : كنت جالسا عند علي عليه السلام ، إذ قدم عليه قوم متشمسون ، فقالوا : السلام عليك يا مولانا ، فقال لهم : أَوَلَسْتُمْ قَوْمًا عَرَبًا ؟ قالوا : بلى ، ولكم سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْلُصْ مَنْ خَلَصَهُ » ، قال : فلقد رأيتُ عليًّا عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : اشهدوا .

ثم إن القوم مضوا إلى رحلم فبعتهم ، فقلت لرجل منهم : مَنْ القوم ؟ قالوا : نحن رَهْطٌ من الأنصار ، وذلك — يعنون رجلا منهم — أبو أيوب ، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فأنبته فصاحت .

• • •

قال نصر : وحدثني عمر بن سعد ، عن نعيم بن وهبة ، عن أبي الوَدَّاء (١) عليًّا عليه السلام بعث من المدائن مقل بن نيس للرياحي ، في ثلاث آلاف ، وقال له : خذ قلبي

الموصل ، ثم نصيبين ، ثم القنّى بالرقّة ، فإني موافقها . وسكن الناس وأمنهم ، ولا تقاتل إلا من قاتلك ، وسير البرّدين^(١) ، وعوّز بالناس^(٢) . أقم الليل ، ورقّة في السير ، ولا تسير أول الليل ؛ فإن الله جعله سكنا ، أرح فية بدنك وجندك وظهرك ، فإذا كان السحر ، أو حين يتبلج^(٣) الفجر ، فسر .

فسار حتى أتى الحديثة - وهي إذ ذاك منزل الناس ، وإنما بنى مدينة للموصل بعد ذلك محمد بن مروان - فإذا بكبشين ينتطحان ، ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة^(٤) - قتل بعد ذلك مع الحرورية - فأخذ يقول : إيه ، إيه ، فقال معقل : ما تقول ؟ فجاء رجلان نحو الكبشين ، فأخذ كل واحد منهما كبشا واصرفا ، فقال الخثعمي لمعقل : لا تمليون ولا نعلتون ؛ قال معقل : من أين علمت ؟ قال : أما أبصرت الكبشين ، أحدهما مشرقى والآخر كعرب ، اتقيا فقتلا وانتطعا ، فلم يزل كل واحد من مصاحبه منتصفا ، حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به ؛ فقال معقل : أو يكون خيرا عما تقول يا أخا خثعم آثم مضى حتى واثى عليا عليه السلام بالرقّة .

قال نصر : وقالت طائفة من أصحاب علي عليه السلام له : يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومن قبّله من قومك ، فإن الحجة لا ترداد عليهم بذلك إلا عظما . فكتب إليهم عليه السلام : [بسم الله الرحمن الرحيم]^(٥) ، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبّله من قريش :

(١) البردان : النداء والمعنى .

(٢) عوّز بالناس ، أي أنزل بهم في العائرة ؛ وهي القائمة ؛ أو نصب النهار .

(٣) صبح : « ينطح » ، وفيه : « يبلج » .

(٤) كذا في صبح ، أ ، ج ، و ، هـ : « شرار بن أبي ربيعة » .

(٥) من صبح .

سلام عليكم، فإن أحد إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد : فإن لله عبداً آمنوا بالتنزيل، وخرّفوا العاويل، وقصّوا في الدين، وبين الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول، تكذبون^(١) بالكتاب، مجنون على حرب المسلمين، من قفّتم منهم حبستوه أو عذبتموه أو قتلتموه؛ حتى أراد الله تعالى إعراز دينه، وإظهار أمره، فدخلت العرب في الدين أفواجا، وأسست له هذه الأمة طوعا وكرها، فكتم فمن دخل في هذا الدين؛ إما رغبة وإما رهبة؛ على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وفاز المهاجرون الأولون بفضيلهم. ولا يبغى لمن ليست له مثل سواهم في الدين، ولا فضائلهم في الإسلام؛ أن ينازحهم الأمر الذي هم أهلّه وأزّل به، فيجور^(٢) ويظلم، ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يحمل قدره، ويبدو طوره، ويشتقي نفسه بالتماس ما ليس بأهل؛ فإن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديما وحديثا أقربها من الرسول، وأعلمها بالكتاب، وأقربها في الدين، أولها إسلاما، وأفضلها جهادا، وأشدّها بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاما؛ فاتقوا الله الذي إليه ترجعون، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.

واعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعملون، وأن شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم؛ فإن للعالم بعلمه فضلا، وإن الجاهل لا يزداد بمنازحته للعالم إلا جهلا. ألا وإنني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وحسن دماء هذه الأمة؛ فإن قبلتم أصبح رُشدكم، واهتديتم لحظكم، وإن أيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة؛ لم تزدادوا من الله إلا بعدا، ولا يزداد الربّ عليكم إلا سخطا والسلام.

فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب، سطرا واحدا : وهو : أما بعد فإنه

(١) : « مكذبون »

(٢) : « مجنون »

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْنِ عِثَابُ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرَّقَابِ
فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا آتَاهُ هَذَا الْحَوَابُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

قَالَ نَصْر : وَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الرَّقَّةِ : جَسُّرُوا إِلَى جِسْرٍ أُعْبِرَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ إِلَى الشَّامِ ؛ فَأَبَوْا ، وَقَدْ كَانُوا ضَمُّوا السُّفْنَ إِلَيْهِمْ ؛ فَهَضَمَ مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُعْبَرَ
عَلَى جِسْرِ مَتَبِيجَ ، وَخَلَّفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ هَذَا الْحَصَنِ ؛ إِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ
إِنْ مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَحْمِسُوا لَهُ عِنْدَ مَدِينَتِكُمْ حَتَّى يَمُوتَ مِنْهَا ؛ لَأَجْرِدَنَّ فِيكُمْ
السِّيفَ ، فَلَا تُظَلَّنَّ مَقَاتِلَكُمْ ، وَلَا أُخْرِجَنَّ أَرْضَكُمْ ، وَلَا أُخَذَنَّ أَمْوَالُكُمْ .

فَلَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالُوا : إِنَّ الْأَشْتَرَ بَقِيَ بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا خَلَفَهُ عَلَى عَتَدِنَا
لِيَأْتِينَا بِشَرٍّ ، فَبَشُّوا إِلَيْهِ : إِنَّا نَاصِرُونَ لَكُمْ جِسْرًا ، فَأَقْبَلُوا . فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرُ إِلَى عَلَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَبَاءَ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْجِسْرَ ، فَمَبَرَّ الْأَنْقَالَ وَالرِّجَالَ ، وَأَمَرَ الْأَشْتَرَ فَوَقَفَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
فَارِسَ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا عَبْرَ ، ثُمَّ عَبَرَ آخِرُ النَّاسِ رَجُلًا .

قَالَ نَصْر : وَازْدَحَمَتِ الْحَيْلُ حِينَ عَبَرَتْ ، فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ،
فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا ، وَرَكِبَ ، ثُمَّ سَقَطَتْ قَلَنْسُوءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحِجَاجِ ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ رَكِبَ
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ :

فَإِنْ بِكَ ظَنُّ الزَّاجِرِ الطَّيْرِ حَادِقًا كَمَا زَحَمُوا ، أُقْتَلْ وَشِيكََا وَتُقْتَلْ
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَصِينِ : مَا شَاءَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا ذَكَرْتَ ، فَهَتَلَا مَعًا
يَوْمَ صَفِينِ ^(٢) .

(١) سُورَةُ الْقَصَصِ ٥٦ .

(٢) صَفِينِ ١٦٩ .

قال نصر : فلما ^(١) قطع على عليه السلام الفرات ، دعا زياد بن النضر وشریح بن هاني فسرّحهما أمامه نحو معاوية ، على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة ، في اثني عشر ألفا ، وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة مقدّمة له أخذاً على شاطئ الفرات من قِبَل البرّة ، ممّا يلي الكوفة حتى بلغا عانات ^(٢) ، فبلغهم أخذٌ على عليه السلام طريق الجزيرة ، وعلموا أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله ، فقالوا : والله ما هذا برأى ، أن سير ويتناريين أمير المؤمنين هذا البحر ، وما لنا خيرٌ في أن نلقى جوعَ الشام في قلة من العدد ، منقطعين عن المدد . فذهبوا ليعبروا من عانات ، فبلغهم أهلها ، وحبسوا عنهم السفن ، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ، ولاحقوا عليها عليه السلام بقرية دون قرّة قيسيا ، فلما لحقوا عليها عليه السلام تعجب ، وقال : مقدّمتي تأتي من ورائي ! فقام له زياد وشریح ، وأخبراه بالراي الذي رايا . فقال : قد أصبنا رُشدك . فلما عبروا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية ، فلما انتهيا إلى معاوية ، لقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من أهل الشام ، وهو على مقدّمة معاوية ، فدعواهم إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبى ، فبعثوا إلى علي عليه السلام : إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام ، فدعونا وأصحابه إلى الدخول في طاعتك ، فأبى علينا ، فرنا بأمرك .

فأرسل علي عليه السلام إلى الأشتر ، فقال : يا مال ، إن زيادا وشریحا أرسلنا إلى يملأني أنهما لقيّا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم ، وتبأني الرسول أنه تركهم معواقفين ؛ فالتجأ النعاه إلى أصحابك ؛ فإذا أتيتهم فأنت عليهم ؛ وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك ، والقهم وسمع منهم ، ولا يحرم ذلك شفائهم على قتالهم قبل

دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة ، واجعل على ميسرتك زيادا ، وعلى ميسرتك شريحا ، وقف من أصحابك وسطا ، ولا تلن منهم دنوا من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تتباعد عنهم تباعد من يهاب الساس ؛ حتى أقدم عليك ؛ فإني حثيث السير إليك إن شاء الله .

قال : وكثب على عليه السلام إليهما - وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي - : أما بعد ؛ فإني قد أمرت عليكما مالكا ، فامسما له وأطيعا أمره ؛ وهو ممن لا يخاف رقه ولا سقاطه^(١) ، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل ؛ وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما ، ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوم ، ويؤذّر إليهم إن شاء الله .

قال : فخرج الأشتر حتى قدم على القوم ، فاتبع ما أمره به عليه السلام ، وكف عن القتال ، فلم يزالوا متواقفين^(٢) ؛ حتى إذا كان عند المساء ، حمل عليهم أبو الأعمور فقتلوا له واضطربوا ساعة . ثم إن أهل الشام انصرفوا ، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عُدتها وعددها ، فخرج إليهم أبو الأعمور السلمي ، فقتلوا يومهم ذلك ، تحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، وصبر بعضهم لبعض ؛ ثم انصرفوا . وبكر عليهم الأشتر ؛ فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر الثنوخى ، قتله خبزيان بن عمارة النخعي ، وما هو يومئذ إلا فق حديث السن . وإن كان الشامي لعارس أهل الشام ، وأخذ الأشتر يقول : ويحكم أروني أبا الأعمور !

ثم إن أبا الأعمور دعا للناس ، فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة ، وجاء الأشتر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعمور أول مرة ، فقال الأشتر لستان بن مالك النخعي . اطلق إلى أبي الأعمور ، فادعه إلى البارزة ،

(١) الرقه : الخيش والفرق . والسقاط : الخطأ . (٢) متواقفين : وقف بعضهم أمام بعض في الحرب

فقال : إلى مبارزتي أم إلى مبارزتك ؟ فقال : أولو أمرتك بمبارزته فعلت ؟ قال : نعم ؛
والذي لا إله إلا هو ؛ لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لعلت حتى أضربه بالسيف .
فقال : يا بن أخي ، أطال الله بقاءك ! قد والله ازددت فيك رغبة ، لا ما أمرتك بمبارزته ،
إنما أمرتك أن تدعوه لمبارزتي ؛ فإنه لا يبارر - إن كان ذلك من شأنه - إلا ذوى الأسنان
والكفاءة والشرف ، وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ؛ ولكنك حديث
السن ، وليس يبارز الأحداث ؛ فاذهب فادعه إلى مبارزتي .

فأتاهم فقال : أنا رسول فأتوني ، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور .

قال نصر : فحدثني ^(١) عمر بن سعد ، عن أبي زهير المبسي ، عن صالح بن سنان ، عن
أبيه ، قال : قلت له : إن الأشتر يدعوك إلى المبارزة ، قال : فكت عني طويلا ، ثم قال :
إن خفا الأشتر وسوء رأيه وهوائه ؛ دعاه إلى إجلاء حال هوان ، واقتراضه عليه ، يبيع
محاسنه ، ويحمل حقه ، ويظهر عداوته . ومن خفا الأشتر وسوء رأيه أنه سار إلى هوان
في داره وقراره ، فقتله فحين قتله ، وأصبح متبعا ^(٢) بدمه ، لا حاجة لي في مبارزته .

قلت : إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيبك ، فقال : لا حاجة لي في جوابك
ولا الاستماع منك . اذهب عني ؛ وصاح بي أصحابه فانصرف عنه ، ولو سمع لأسمته عن
صاحبي وحجته .

فرجعت إلى الأشتر ، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة ، فقال : لنفسه نظر .
قال : فتواقفنا ، فإذا هم قد انصرفوا . قال : وصحبنا على عليه السلام غدوة سائرا نحو
معاوية ، فإذا أبو الأعور قد سبق إلى سهوة الأرض وسعة للزل ، وشريمة الماء ، مكان

(١) كتاب صفين ١٧٣

(٢) صفين : ٥٥ يعني .

أفصح ؛ وكان أبو الأعور على مقدمة معاوية ، واسمه سفيان بن عمرو ، وقد جعل على ساقه
بُسْر بن أرطاة العامري ، وعلى الحبل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ودفع اللواء إلى
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على يمينه حبيب بن مسلمة القهري ، وعلى رجائه
من اليمين يزيد بن زحر الضبي ، وعلى اليسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرجالة من
اليسرة حابس بن سعيد الطائي ، وعلى حبل دمشق الصعالي بن قيس الفهري ؛ وعلى رجالة
أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز البعلبي ، وعلى أهل حمص ذا الكلالع ، وعلى أهل
فلسطين مسلمة بن مخلد ، وكان وصول على عليه السلام إلى صيقين لثمان بقرين من الحرم من
سنة سبع وثلاثين .

(٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى
عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنٌ مِّنْ لَّمْ يَرَهُ تُذَكِّرُهُ ، وَلَا قَلْبٌ مِّنْ أَنْبَتَهُ يُدِيرُهُ .
سَبَقَ فِي الْمَلُوكِ فَلَا شَيْءَ أَغْلَى مِنْهُ ، وَفَرُبَّ يَدِ الدُّنُورِ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ ؛ فَلَا
اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُ فِي الْمَكَانِ بِهِ .
لَمْ يُطْلِعِ الْمُقُولَ عَلَى تَعْدِيدِ حَقِيقَتِهِ ، وَلَمْ يَمْنَحْهَا مَنْ وَاحِبِ مَعْرِفَتِهِ ؛ فَهُوَ الَّذِي
تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ دَوَى الْجُلُودِ نَمَائِي أَفْهَ مَا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ
بِهِ وَالْجَاهِلُونَ لَهُ هَلُوكَ أَكْبَرًا .

• • •

الشرح :

بطنت سِرَّ فلان ، أى أخففته .

والأعلام : جمع علم ، وهو النارُ يَهْدِي به ؛ ثم جعل لكلِّ مادلٍ على شيء ؛ ف قيل
لمعجزات الأنبياء : أعلام ، لدلالاتها على نبوتهم . وقوله عليه السلام : « أعلام الظهور » ، أى
الأدلة الظاهرة الواضحة .

وقوله فيما بعد : « أعلام الوجود » أى الأدلة الموجودة ، والدلالة هى الوجود نفسه ،
وسياق شرح ذلك .

وقوله : « وامتنع على عين البصير » ، يقول : إنه سبحانه ليس بمرفىٍ بالعين ؛ ومع

ذلك فلا يمكن من لم يره بعينه أن ينكره ؛ لدلالة كل شيء عليه ، بل لدلالته سبحانه على نفسه .

ثم قال : « ولا قلب من أثبتته ببصره » ، أى لا سبيل لمن أثبت وجوده أن يحيط علما بجميع أحواله ومعلوماته ومصنوعاته ؛ أو أراد أنه لا نعلم حقيقة ذاته ؛ كما قاله قوم من المحققين .

وقد روي هذا الكلام على وجه آخر ، قالوا^(١) في الخطبة : « فلا قلب من لم يره ينكره ، ولا عين من أثبتته ببصره » ، وهذا غير محتاج إلى تفسير لوضوحه .

وقوله عليه السلام : « فلا استعلاؤه بأعده » ، أى ليس علوه ولا قربه كما نعلم من العلو والقرب المكانيين ، بل هو علو وقرب خارج من ذلك ، فليس علوه يقتضى بعده بالمكان عن الأجسام ، ولا قربة يقتضى مساواته إليها في الحاجة إلى المكان والجهة .
والباقي « به » متعلقة بـ « ساوهم » ، معناه : ولا قربه ساوهم به في الحاجة إلى المكان ؛ أى لم يقتض قربه بمثالته ومساواته إياهم في ذلك .



[فصول في العلم الإلهي]

وهذا الفصل يشتمل على عدة مباحث من العلم الإلهي :
أولها : كونه تعالى عالما بالأمور الخفية .

والثاني : كونه تعالى مدلولاً عليه بالأمور الظاهرة ؛ بمعنى أفعاله .

والثالث : أن هويته تعالى غير معلومة للبشر .

والرابع : نفي تشبيهه بشيء من مخلوقاته .

(١) كذا في جميع الأصول

والخامس : بيان أن الجاحد لإثباته مكابر بلسانه ، وعارف به بقلبه .
ويمكن مذكر القول في جميع ذلك على سبيل اختصاص المذاهب والأقوال ، ونحيل
في البرهان على الحق من ذلك واطلاق شبهة المخالفين فيه ، على ما هو مذكور في كتبنا
الكلامية ، إذ ليس هذا الكتاب موضوعاً لذلك ، وإن كنا قد لا نخلي بعض فصوله
من إشارة إلى الدليل موجزة ، وتلويح إلى الشبهة لطيف ؛ فنقول : أما

• • •

الفصل الأول

وهو الكلام في كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية

فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما قال : **يَعْلَمُ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ** ، وهذا القدر
من الكلام يقتضي كونه تعالى عالماً **بِأَعْلَمِ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ الْبَاطِنَةِ** ؛ وهذا منقسم قسمين :
أحدهما : أن يعلم الأمور الخفية الحاضرة .

والثاني : أن يعلم الأمور الخفية للمستقبل .

والكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين ، فنعمله عليهما معاً . فقد خالف في كل
واحدة من المسألتين قوم ؛ فمن الناس من نفى كونه عالماً بالمستقبلات ، ومن الناس من نفى
كونه عالماً بالأمور الحاضرة ؛ سواء كانت خفية أو ظاهرة ؛ وهذا يقتضينا^(١) أن شرح أقوال
العقلاء في هذه المسائل ، فنقول : إن الناس فيها على أقوال :

القول الأول : قول جمهور المتكلمين ، وهو أن الباري سبحانه يعلم كل معلوم :
الماضي والحاضر والمستقبل ؛ ظاهرها وباطنها ، ومحسوسها وغير محسوسها ؛ فهو تعالى
العالم بما كان وما هو حاضر ، وما سيكون وما لم يكن ، أن لو كان كيف كان يكون ، كقوله

(١) ب : « يقتضي »

تعالى : ﴿ وَتَوَرَّطُوا لَمَّا سُبُحَا عَنْهُ ﴾^(١) ، فهذا علم بأمر مقدّر على تقدير وقوع أصله الذي قد علم أنه لا يكون .

القول الثاني : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الأمور المستقبلية ، وشبهوه بكونه مدركا ، قالوا : كما أنه لا يدرك المستقبلات ، فكذلك لا يعلم المستقبلات . وهو قول هشام ابن الحكم^(٢) .

القول الثالث : قول من زعم أنه لا يعلم الأمور الحاضرة ؛ وهذا القول يفيض القول الثاني ؛ وشبهوه بكونه قادرا ، قالوا : كما أنه لا يقدر على الموجود ، فكذلك لا يعلم للوجود ؛ ونسب ابن الراوندي هذا القول إلى ممر بن عباد^(٣) ، أحد شيوخنا ، وأصحابنا يكذبونه في ذلك ، ويدفعون الحكاية عنه .

القول الرابع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم محبة خاصة ، ويعلم كل ما عدا دأته ، ونسب ابن الراوندي هذه المقالة إلى معمر أيضا ، وقال : إنه يقول : إن العالم غير المعلوم ، والشيء لا يكون غير نفسه ؛ وأصحابنا يكذبون ابن الراوندي في هذه الحكاية ، ويترهون معمر عنها .

القول الخامس : قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم ير كل عالما بشيء أصلا ؛ وإنما أحدث لنفسه علما عليم به الأشياء ، وهو قول جهم بن صفوان^(٤) .

القول السادس : قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها ؛ وإنما يعلم ذلك إجمالا وهؤلاء يسمون المسترسية ؛ لأنهم يقولون : بستريل علمه على المعلومات

(١) سورة الأنعام ٢٨

(٢) هو هشام بن الحكم ؛ من متكلمي الشيعة ، وصاحب المقالة في التشبيه ؛ وإليه نسب المشامية ؛ إحدى الفرق الغالية ؛ ذكره الشهرستاني وبسط آراءه في اللؤلؤ والنحل ١ : ١٦٤ - ١٦٦

(٣) ممر بن عباد السلمي القنري ؛ وانظر آراءه في اللؤلؤ والنحل للشهرستاني ١ : ٦٥ - ٦٧

(٤) جهم بن صفوان ؛ وإليه تلصّب الفرقة الجهمية ؛ من الجبرية ؛ ظهرت بدعته بترمد ، وقتله سالم بن أخوخل للآزني بمرو ؛ في آخر ملك بني أمية ، الشهرستاني ١ : ٧٩ - ٨١ .

إجمالاً لا تفصيلاً ، وهو مذهب الجويني^(١) من متكلمي الأشعرية .

القول السابع : قول من قال إنه تعالى يعلم المعلومات المفصلة ما لم يُفصّل القول به إلى محال ؛ وزعموا أن القول بأنه يعلم كل شيء يُفصّل إلى محال ؛ وهو أن يعلم ويعلم أنه يعلم ، وهلمّ جراً إلى مالا نهاية ؛ وكذلك المحال لازم إذا قيل إنه يعلم الفروع ، وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلى مالا نهاية . قالوا : ومحال احتياج كل هذه العلوم غير المتناهية في الوجود ، وهذا مذهب أبي البركات البغدادي صاحب المعبر^(٢) .

القول الثامن : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الشخصيات الجزئية ؛ وإنما يعلم الكلّيات التي لا يجوز عليها التعبير ؛ كالعلم بأن كل إنسان حيوان ؛ ويعلم نفسه أيضاً ؛ وهذا مذهب أرسطو وناصري قوله من الفلاسفة كائن سينا وغيره .

القول التاسع : قول من زعم أنه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً ؛ لا كلياً ولا جزئياً ؛ وإنما وجد العالم عنه لخصوصية ذاته فقط من غير أن يعلم ؛ كما أن الصائغ يجذب الحديد لقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب ؛ وهذا قول قوم من كدماة الفلاسفة .

فهذا تفصيل للذاهب في هذه المسألة .

واعلم أن حجة المتكلمين على كونه عالماً بكل شيء ؛ إنما تنصح بعد إثبات حدوث العالم ، وأنه فعله بالاختيار ؛ فينبذ لاند من كونه عالماً ؛ لأنه لو لم يكن عالماً بشيء أصلاً صبح أن يحدث العالم على طريق الاختيار ؛ لأن الإحداث على طريق الاختيار ؛ إنما يكون بالفرض والداعي ، وذلك يقتضي كونه عالماً ، فإذا ثبت أنه عالم بشيء أفسدوا حينئذ أن يكون عالماً بمعنى اقتضى له العالمية ، أو بأسر خارج عن ذاته ؛ مختاراً كان أو غير مختار ؛

(١) هو الإمام أبو العباس عبد الملك بن يوسف الجويني ، إمام الحرمين ، التوفى سنة ٤٧٨ هـ .

(ابن حنبل) .

(٢) كتاب المصطفى المسكوة ، طبع في حيدرآباد ؛ لأبي البركات علي بن مدني البغدادي ، توفى سنة ٦٠ هـ .

وانظر أخبار العلماء للنعلي ٣٤٣ .

لحينئذ ثبت^(١) لهم أنه إنما علم لأنه هذه اللغات المخصوصة لا شيء أزيد منها؛ فإذا كان لهم ذلك وجب أن يكون عالما بكل معلوم؛ لأن الأمر الذي أوجب كونه عالما بأمر ما؛ هو ذاته يوجب كونه عالما بغيره من الأمور؛ لأن نسبة ذاته إلى الكل نسبة واحدة. فأما الجواب عن شبه المحالين فمذكور في المواضع المختصة بذلك، فليطلب من كتبنا الكلامية.



الفصل الثاني

في تفسير قوله عليه السلام: «وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ»

فنعول: إن الذي يستدل به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين؛ وكلاهما يصدق عليه أنه أعلام الظهور؛ أحدهما الوجود والثاني للوجود. أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهي طريقة للدقيقين من الفلاسفة، فإنهم استدلوا على أن معنى الوجود مشترك، وأنه زائد على ماهيات المسكنات، وأن وجود الهاري لا يصح أن يكون زائدا على ماهيته، فتكون ماهيته وجودا؛ ولا يجوز أن تكون ماهيته عارضة عن الوجود؛ فلم يبق إلا أن تكون ماهيته هي الوجود نفسه، وأثبتوا وجوب ذلك الوجود، واستعانة تطرق المذم إليه بوجه ما، فلم يفتقروا في إثبات الهاري إلى تأمل أمر غير نفس الوجود.

وأما الاستدلال عليه بالوجود لا بالوجود نفسه؛ فهو الاستدلال عليه بأفعاله، وهي طريقة المتكلمين. قالوا: كل ما لم يُعلم بالبديهة ولا بالحس؛ فإنما يُعلم بآثاره الصادرة عنه؛ والبارئ تعالى كذلك؛ فالطريق إليه ليس إلا أفعاله، فاستدلوا عليه بالعالم، وقالوا: تارة: العالم محدث وكل محدث له محدث. وقالوا تارة أخرى: العالم ممكن، فله مؤثر.

وقال ابن سينا : إن الطريقة الأولى وهي الاستدلال عليه بالوجود نفسه أغلى وأشرف ، لأنه لم يحتاج فيها إلى الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته ، واستنبط آية من الكتاب العزيز في هذا المعنى ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ ^(١) .

قال ابن سينا : أقول : إن هذا حكم لقوم - بمعنى المتكلمين وغيرهم ؛ ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله ؛ وتتمام الآية : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(٢) .

قال : هذا حكم الصديقين الذين يشهدون به لا عليه ؛ بمعنى الذين استدلوا عليه بنفس الوجود ، ولم ينتقروا إلى التعلق بأفعاله في إثبات ربوبيته .



الفصل الثالث

في أن هويته تعالى غير هوية البشر

وذلك معنى قوله عليه السلام : « واستمع على عين البصير » ، وقوله : « ولا قلب من أتته يبصره » ، وقوله : « ولم يطلع العقول على تحديد صفته » ؛ فنقول : إن جهوز المتكلمين زعموا أننا نعرف حقيقة ذات الإله ، ولم نتعاشوا من القول بأنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلمه نحن منها .

وذهب ضرار ^(٣) بن عمرو : أن لله تعالى ماهية لا يعلها إلا هو ؛ وهذا هو مذهب

(١) سورة فصلت ٥٣

(٢) هو ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجهمية ؛ كان في بدء أمره تليذا لواصل ابن عطاء الغفلى ؛ ثم خالفه في خلق الأعمال وإسكار عذاب القبر . الفرق بين الفرق ٢٠١

الفلاسفة . وقد حُكيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أيضاً ؛ وهو الظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل .



الفصل الرابع

في نفى التشبيه عنه تعالى

وهو معنى قوله عليه السلام : « بُدَّ وقُرْب » ، أى في حال واحدة ، وذلك يقتضى نفى كونه تعالى حسماً ؟ وكذلك قوله عليه السلام : « فلا استعلاؤه بأعداءه ، ولا قرُبه ساوأم في المكان به » ، فنقول : إن مذهب جمهور المتكلمين نفى التشبيه ، وهذا القول يتنوع أنواعاً :

النوع الأول : نفى كونه تعالى جسماً مركباً ، أو جوهرًا فرداً غير مركب ، والمراد بالجوهر هاهنا الجِرم والحجم . وهو قول المعتزلة ، وأكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق ، وإليه ذهب الفلاسفة أيضاً .

وقال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك ، فذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام ، واحتجَّت الحكاية عنه ، فروى عنه أنه قال : إنه يشبر نفسه سبعة أشبار . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة السِّبْكة . وروى عنه أنه قال : إنه على هيئة البِلُّورة الصافية للمستوية الاستدارة من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة ، وروى عنه أيضاً قال : إنه ذو صورة . وأصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه ، ويؤمنون أنه لم يزد على قوله : إنه جسم لا كالأجسام ، وإنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته .

وصدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا ، لقول الله سبحانه : ﴿ أَفَلَا تُرَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِثْلُ نُورٍ ﴾ ^(١) .

وحكى عن محمد بن النعمان الأحول ، المعروف بشيطان اللطاق ، وهشام بن سالم المعروف
بالجوالقي ، وأبي مالك بن الحضرمي ، أنه نورٌ على صورة الإنسان ، وأنكروا مع ذلك
أن يكون جسماً ؛ وهذه مناقضة ظاهرة .

وحكى عن علي بن ميم مثله . وقد حكى عنه أنه كان يقول بالصورة والجسم .
وحكى عن مقاتل بن سليمان ، وداود الجواربي ، وميم بن حماد المصري ، أنه في
صورة الإنسان ، وأنه لحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ؛
وهو مع ذلك لا يشبه غيره ، ولا يشبه غيره ، وانهم على ذلك جماعة من العامة ومن
لا نظره .

وحكى عن داود الجواربي أنه قال : اخفوت من الفرج واللحية وسلوني عما وراء
ذلك . وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره ، وما سوى ذلك مصمت .
وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجوالقي كان يقول : إن له وفرة سوداء .
وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلوة والمحالة والمحادثة .

وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ^(٢) ،
فقال : يُقْعَدُ معه عَلَى سريره ويغلقه بيده .

وقال بعضهم : سألت مُعَاذاً العبدي ، قلت : أه وجه ؟ فقال : نعم ؛ حتى يحدث

(١) - سجدة نور ٢٥

(٢) سورة القمر ٥٥

جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر و بطن ؛ واستعجيت أن أذكر الفرج ؛ فأومأت يدي إلى فرجى ، فقال : سم ، فقلت أذكر أم أنى ؟ قال : ذكر .

ويقال : إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه : أذكر أم أنى ، فقال له بعض أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ ^(١) ، فقال : أفدت وأجدت ؛ وأودعه كتابه .

ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد ، وبين يديه لم في طيبخ سكباج ، فسأله عن الباري تعالى في جملة مأسأله ، فقال : هو والله مثل هذا لدى بين يدي ، لم ودم . وشهد بعض المترلة عند معاذ بن معاذ ، قال له : لقد همت أن أسقطك ؛ لولا أنى سمعتك تلحن حماد بن سلمة ، فقال : أما حماد فلم ألقه ، ولكنى ألحن من يقول : إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جبل أحمر في هودج من ذهب ؛ فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فليبه لعنة الله . فقال : أخرجوه ، فأخرج .

وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى للصلى ، فإذا جماعة بين يدي أمير ^(٢) ، والطبول تضرب والأعلام تخفق فقال واحد من خلعتنا : اللهم لا طبل إلا طبلك ا قفيل له : لا تقل هكذا ، فليس لله تعالى طبل ، فبكى ، وقال : أرايتم هو يحىء وحده ولا يضرب بين يديه طبل ، ولا ينصب على رأسه علم ، فإذا هو دون الأمير ا وروى بعضهم أنه تعالى أجري خيلا ، تخلق نفسه من مثلها .

وروى قوم منهم أنه نطرق في للراءة فرأى صورة نفسه ، تفاق آدم عليها . ورووا أنه يضعك حتى تهدو نواجذ .

(١) سورة آل عمران ٣٦

(٢) ب ه أمير المؤمنين ، والأجود مائة من ا ج .

وروا أنه أمر د جند قَطَط^(١) ، في رجليه ملان من ذهب ، وأتته في روضة خضراء
على كرسى تحمله الملائكة .

وروا أنه بضع رجلاً على رِخل ، وبسنتى فلانها جِلسة الرب .
وروا أنه خلق الملائكة من زَعْبِ ذراعيه ، وأنه اشتكى حينه فسادته
الملائكة ، وأنه يُصوّر بصورة آدم ، وبجاسب الناس في القيامة ؛ وله حُجاب من
الملائكة يحبونه .

وروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ربي في أحسن صورة ، فسألته
عما يختلف فيه الملائكة الأهل ، فوضع يده بين كتفي ، فوجدت برزخها ، فقلت
ما اختلفوا فيه » .

وروا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان ؛ وأنه جالس على العرش قد فصل
منه أربع أصابع من كل جانب . وأنه يأتي الناس يوم القيامة ، فيقول : أما ربكم ،
فيقولون : موذن الله منك ؛ فيقول لم : أنصر قوله إن رأيتموه ؟ فيقولون : يتناوون بينه علامة ؛
فيكشف لهم عن ساقه ، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها ، فيخرون له سجداً .
وروا أنه يأتي في عمام ، فوقه هواء ، ونحوه هواء .

وكان بطبرستان قاص من المشتبة ، يقص على الناس ، فقال يوماً في قصصه : إن يوم
القيامة نجى فاطمة بنت محمد ، معها قبض الحسين أسبعا تلمس القصاص من يزيد
ابن معاوية ، فإذا رآها الله تعالى من بعيد ، دعا يزيد وهو بين يديه ، فقال له : ادخل تحت
قوائم العرش ؛ لا تظفر بك فاطمة ، فيدخل^(٢) ويحتجى ، وتحضر فاطمة ، فتظلم وتبكي ،
فيقول سبحانه : انظري يا فاطمة إلى قدمي ، ويخرجها إليها ، وبه جرح من سهم عمرو ،

(١) قَطَط : قصير

(٢) ب : « يدخل يزيد » ، وما أنجه عن ا ، ج

فيقول : هذا جرح نمرود في قدي ، وقد صوّت عنه ، أملا نعين أمّ من يزيد افتقول .
هي : اشهد يا ربّ أني قد عفوت عنه .

وذهب بعض متكلّمي الجسمة إلى أنّ الباري تعالى مركّب من أعضاء على
حروف المعجم .

وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرّد ، في رجليه نملان من ذهب ،
وعلّى وجهه فراش من ذهب يتطاير .

وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرّد صبيح الوجه ، عليه كساء أسود ، ملتصق به .
وسمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْهُ ﴾
حول المرشى ^(١) : إنهم قيام على رأسه بسيفوفهم وأسلحتهم ، فقال له آخر على سبيل
التحكّم به : يحرسونه من المنزلة أن يقتكوا به ! فمضب وقال : هذا إلحاد .

وروا أنّ النار تزفر وتتعيط تعيطا شديدا ، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها ، فتقول :
قطّ قطّ ، أي حسبي حسبي . ويرفمون هذا الظير مسددا . وقد ذكر شبيه به في الصحاح .
وروى في الكتب الصحاح أيضا : « أن الله خلق آدم على صورته » ؛ وقيل : إن في
التوراة نحو ذلك في السفر الأول .

واعلم أنّ أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتملة
غير مستبعدة ، وما لا يحتمل التأويل منها يقطعون ببطلانه ؛ وبأنه موضوع ؛ وللاستقصاء
في هذا المني موضع غير هذا الموضع .

وحكى أبو إسحاق النخّام ومحمد بن عيسى برغوث أنّ قوما قالوا : إنه تعالى القضاء
نفسه ، وليس بجسم ؛ لأنّ الجسم يحتاج إلى مكان ونفسه مكان الأشياء .

وقال برغوث : وطائفة منهم يقولون : هو الفضاء نفسه ، وهو جسم تحمل الأشياء فيه ؛ وليس بذى غاية ولا نهاية ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ^(١) .

فأما من قال : إنه جسم لا كالأجسام ؛ على معنى أنه بخلاف المرض الذى يستحيل أن يُعوم منه فعل ، وغوا عنه معنى الحسبية ، وإنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنى أنه شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالكليات ؛ فأمرهم سهل ؛ لأن خلافهم فى العبارة ، وهم : على ابن منصور ، والسكاك ، ويونس بن عبد الرحمن ، والفضل بن شاذان ، وكل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة . وقد قال بهذا القول ابن كرامة وأصحابه ؛ قالوا : معنى قولنا فيه سبحانه إنه جسم ، أنه قائم بذاته لا غيره .

والتصديقون لعشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم العلوى ؛ وإنما قال إنه جسم لا كالأجسام ، بالمعنى الذى ذكرناه عن يونس والسكاك وغيرهما ، وإن كان الحسن بن موسى الثوباني - وهو من فضلاء الشيعة - قد روى عنه التجسيم للخص فى كتاب " الآراء والمبانيات " .



النوع الثانى : نفى الأعضاء والجوارح عنه سبحانه ؛ فالكى يذهب إليه المعتزلة وسائر المحققين من المتكلمين نفى ذلك عنه ، وقد تأولوا ماورد فى القرآن العزيز من ذلك ، من نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ^(٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَا فَرَعْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) وغير ذلك ، وحملوه على وجوه صحيحة جائزة فى اللغة العربية . وأطلقت الكرامية عليه سبحانه لفظه اليدين والوجه ، وقالوا : لا تتجاوز الإطلاق ،

(١) سورة الحج ٧٨

(٢) سورة ص ٧٥ .

(٣) سورة الزمر ٤٦

ولا تفسر ذلك ولا تأوله ؛ وإنما يقتصر على إطلاق ماورد به النص .
وأثبت الأشعريّ اليدين صفة قائمة بالبارئ سبحانه ؛ وكذلك الوجه من غير تجسيم .
وقالت الجسمة : إن الله تعالى بدين ؛ هما عضوان له ، وكذلك الوجه والعين ، وأثبتوا
له رجلين قد فضلتا عن عرشه ، وساقين يكشف عنهما يوم القيامة ، وقدما يضعهما في جهنم
فتمتلي ؛ وأثبتوا له ذلك معنى لا لفظا ، وحقيقة لا مجازا .
فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلا ، وإنما كان يقول بترك
التأويل فقط ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ، ولا يخوض في تأويله ؛ ويقف على
قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) ، وأكثر المحصلين من أصحابه على
هذا القول .



النوع الثالث : من الجهة عند سبحانه ؛ فالذي يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين
من المتكلمين أنه سبحانه ليس في جهة ولا مكان ؛ وأن ذلك من توابع الجسمية أو المرضية
اللاحقة بالجسمية ، فإذا انتفى عنه كونه جسما وكونه عرصا لم يكن في جهة أصلا ؛ وإلى هذا
القول يذهب الفلاسفة .

وزهدت الكرامية والخشوية ^(٢) إلى أن الله تعالى في جهة فوق ، وإليه ذهب هشام
ابن الحكم ، وهشام بن منصور ، وبونس بن عبد الرحمن ، وهشام بن سالم الجواليقي ،
وكثير من أهل الحديث .

وزهد محمد بن الهيصم ، متكلم الكرامية إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة
بنفسها عن سائر الموجودات ، لا تحمل شيئا حلول الأعراض ، ولا تمازج شيئا بملازمة الأجسام

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام ؛ وأخشوية ساقطة من التشبيه ؛ سموا بذلك لأنهم لا يتصلحون من

إظهار المشو . راجع شعاع الملل ١٠٥

بل هو مبينٌ للمخلوقين ؛ إلا أنه في جهة فوق ، وبين العرش بسد لا يتناهى .
هكذا يحكى المتكلمون عنه ، ولم أره في شيء من تصانيفه . وأحالوا ذلك ؛ لأن ما لا يتناهى
لا يكون محصوراً بين حاضرين ؛ وأنا أستبعد عنه هذه الحكاية ؛ لأنه كان أذكى من
أن يذهب عليه فساد هذا القول . وحقيقة مذهب متبقي المكان أنه سبحانه متمكن على
العرش ، كما يتمكن الملك على سريره ، فقيل لبعض هؤلاء : أهو أكبر من العرش ،
أم أصغر ، أم مساو له ؟ فقال : بل أكبر من العرش ، فقيل له : فكيف يحمله ؟ فقال :
كما تحيل رجل الكركى جسم الكركى وجسمه أكبر من رجله . ومهم من يجعله
مساوياً للعرش في القدار ، ولا يتمتع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضل
عن العرش ؛ وقد سمعت أنا من قال بهم : إنه مستو على عرشه . كما أنا مستو على
هذه الذكة^(١) ورجلاه على الكرسي الذي وسع السموات والأرض ، والكرسي تحت
العرش ، كما يحمل اليوم الناس تحت أسرهم كراسي يستريحون بوضع أرجلهم عليها .
وإنا هؤلاء كلهم : إنه تعالى ينزل ويصعد حقيقة لا محازا ، وإنه يتحرك وينزل ؛ فمن
ذلك نزوله إلى السماء الدنيا ، كما ورد في الخبر ؛ ومن ذلك إتيانه ومجيئه ، كما نطق به
الكتاب العزيز في قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ
الْعَظَامِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْكَافَّةُ صَفَاً ﴾^(٣) .

وأطلق ابن الميهم عليه هذه الألفاظ اتباعاً لما ورد في الكتاب والسنة ، وقال : لا أقول
بمعانيها ، ولا أعتقد حركته الحقيقية ؛ وإنما أرسلها لإرسالها كما وردت . وأما غيره فاعتقد
معانيها حقيقة .

وقال ابن الميهم في كتاب " الثقات " : إن أكثر الحشوية يُحيز عليه تعالى
المدور والمرولة .

(١) الذكة : بناء يطلع أهله للطلوس عليه .

(٢) سورة البقرة ٢١٠

(٣) سورة النجم ٢٢

وقال قوم منهم : إنه تعالى يحوز أن ينزل فيطوف البلدان ، وينور في السكك .
وقال بعض الأشعرين : إن سائلاً سأل السكك فقال : إذا أجزت عليه
الحركة ، فهلا أجزت عليه أن يطفر ! فقال : لا يحوز عليه الطفر ، لأن الطفر إنما يكون
فراراً من ضد ، أو اتصالاً بشكل . فقال له : فالحركة أيضاً كذلك ! فلم يأت بفرق .
فأما القول بأنه تعالى في كل مكان ؛ فإن للمترلة يقولون ذلك ، وتريد ^(١) به أنه
وإن لم يكن في مكان أصلاً ، فإنه عالم بما في كل مكان ، ومدير لما في كل مكان ،
وكأنه موجود في جميع الأمكنة لإحاطته بالجميع .

وقال قوم من قدماء الفلاسفة : إن الباري تعالى روح شديد في غاية الطاقة ، وفي غاية
القوة ، ينفذ في كل العالم . وهؤلاء يطلقون عليه أنه في كل مكان حقيقة لا تأويلاً ؛ ومن
هؤلاء من أوضح هذا القول ؛ وقال : إنه تعالى سارٍ في هذا العالم سريان نفس الواحد منا
في بدنه ، فكما أن كل بدن منا له نفس سارية فيه تدبره ، كذلك الباري سبحانه هو
نفس العالم ، وسارٍ في كل جزء من العالم ؛ فهو إذاً في كل مكان هذا الاعتبار ، لأن
النفس في كل جزء من البدن .

وحكى الحسن بن موسى النوبختي عن أهل الرِّوَاق من الفلاسفة ؛ أن الجوهر الإلهي
سبحانه روح ناري عاقل ؛ ليس له صورة ، لكنه قادر على أن يتصور بأي صورة شاء ،
ويتشبه بالكل ، وينفذ في الكل بذاته وقوته ؛ لا يعلمه وتديره .

• • •

النوع الرابع : نفي كونه عَرَضاً حالاً في المكان ؛ فاقضى تذهب إليه المترلة وأكثر
المسلمين والفلاسفة نفي ذلك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده ، وكون كل
حال في الأجسام ممكناً بل حادثاً .

(١) ب : « فإن المترلة يقولون ذلك ويريدون .. »

وذهبت الحلولية من أهل الملة وغيرها، إلى أنه تعالى يحمل في بعض الأجسام دون بعض كما يشاء سبحانه ، وإلى هذا القول ذهب أكثر الفلأة في أمير المؤمنين . ومنهم من قال بانتقاله من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أولاده ، ومنهم من قال بانتقاله من أولاده إلى قوم من شيعته وأوليائه ؛ واتبعهم على هذه لفأة قوم من التصوف كالحلاجية والبسطامية وغيرهم .

وذهبت النسطورية^(١) من التصارى إلى حلول الكلية في بدن عيسى عليه السلام؛ كحلول السواد في الجسم .

فأما اليعقوبية^(٢) من التصارى ، فلا تثبت الحول ؛ وإنما تثبت الاتحاد بين الجوهر الإلهى والجوهر الجسمانى ؛ وهو أشدُّ بُدْناً من الحلول .



النوع الخامس : فى نقى كونه تعالى محلاً لشيء ؛ ذهبت المعتزلة وأكثر أهل الملة والفلاسفة إلى نقى ذلك ؛ والقول باستحالة على ذاته سبحانه .

وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحمل فى ذاته ، فإذا أحدث جسمًا أحدث معنى حالاً فى ذاته ؛ وهو الإحداث ، فحدث ذلك الجسم مقارناً لتلك المعنى أو عقيبه ، قالوا : وذلك المعنى هو قول « كن » وهو المسمى خلقاً ، والخلق غير المخلوق ؛ قال الله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٣) ، قالوا : لكنه قد أشهدنا ذواتها ، فدل على أن خلقها غيرها .

(١) النسطورية : أصحاب نسطور الحكيم ؛ ظهر فى زمن اللأمون ، ويصرف فى الأناجيل برأيه وانظر للؤل والنحل للمهرستانى ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) اليعقوبية أصحاب يعقوب ؛ ظهروا بالأنايم الثلاثة ، إلا أنهم قالوا : اقللت الكلمة لها ودماء ؛ فصار الإله هو المسيح المهرستانى ١ : ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٣) سورة الكهف ٥١ .

وصرح ابن الهيثم في كتاب "القلالات" بقيام الحوادث بذات للبارئ فقال: إنه تعالى إذا أمر أو نهى، أو أراد شيئاً كان أمره وسهيته وإرادته كائنة بعد أن لم تكن؛ وهي قائمة به، لأن قوله منه يسع، وكذلك إرادته منه توجد.

قال: وليس قيام الحوادث بذاته دليلاً على حدوثه، وإنما يدل على الحوادث تعاقب الأضداد التي لا يصح أن يتمثل منها، والبارئ تعالى لا تتعاقب عليه الأضداد.

وذهب أبو البركات البهتار صاحب "المعتبر" إلى أن الحوادث تقوم بذات للبارئ سبحانه؛ وأنه لا يصح إثبات الإلهية إلا بذلك. وقال: إن التكلمين يزهوه عن ذلك، والتزيه عن هذا التزيه، هو الواجب.

وذهب أصحابنا وأكثر المتكلمين إلى أن ذلك لا يصح في حق واجب الوجود، وأنه دليل على إمكان ذاته؛ بل على حدوثها وإيجازها مع ذلك عليه أن يتجدد له صفات — ينعون الأحوال لا المعاني —؛ نحو كونه مدركاً بعد أن لم يكن. وكقول أبي الحسين: إنه يتجدد له طلية بما وجد؛ وكان من قبل عالماً بأنه سبوجد؛ وإحدى هاتين الصفتين غير الأخرى.

وقالوا: إن الصفات والأحوال قيل^(١) مفرد عن المعاني، والحال إنما هو حلول المعاني في ذاته لا يتجدد الصفات فداته؛ والكلام في هذا الباب موضع هو أليق به.

النوع السادس: في تنى اتحاده تعالى بعبده؛ ذهب أكثر العقلاء إلى استحالة ذلك؛ وذهبت اليمقونية من النصارى إلى أن الكلمة اتحدت بمبسى، فصارت جوهراً من جوهريين: أحدهما إلهي، والآخر جسماني. وقد أجاز الاتحاد في نفس الأمر لاني ذات

(١) قيل، أي قول.

الهارى قوم من قدماء الفلاسفة ، منهم فرغوريوس وأجازه أيضاً منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تمقل المعقولات ؛ لانحدادها بالجواهر الفارقة للقيص للنفوس على الأبدان ؛ وهو المسمى بالعقل الفعال .

• • •

النوع السابع : في غي الأعراض الجسمانية عنه من التعب والاستراحة ، والألم واللذة ، والممّ والسرور ؛ ونحو ذلك .

ودهبت المنزلة وأكثر المتقلاء من أهل أدلة وغيرهم إلى غي ذلك ؛ والقول باستحالته عليه سبحانه . /

ودهبت الفلاسفة إلى حوار اللذة عليه ؛ وقالوا : إنه يلتذ بإدراك ذاته وكأله ؛ لأن إدراك الكمال هو اللذة أو سبب اللذة ، وهو تعالى أكمل للوجودات ، وإدراكه أكمل الإدراكات ؛ وإلى هذا القول ذهب محمد المرالى^(١) من الأشعرية .

وحكى ابن الزاوند عن الجاحظ أن أحد قدماء المنزلة - وبصرف بابي شبيب - كان يحوّر عليه تعالى السرور والممّ ، والميزة والأسف ؛ ويدكر في ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا أحد أعبر من الله ، وأه تعالى يفرح بقوة عبده ويسرّ بها » . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَوْنَا مَنَاقِبَهُمْ ﴾^(٢) ، وقال مقال المنحصر^(٣) على الشيء : ﴿ يَا حَسْرَةَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ﴾^(٤) ، وحكى عنه أيضاً أنه يحوّر عايشه أن يتعب ويسهر ؛ ويحتج بقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤْمٍ ﴾^(٥) .

(١) هو الإمام محمد بن محمد أبو حامد الفراء صاحب الإحياء .

(٢) سورة الزخرف • •

(٣) كذا في ج ، و ، ب ، ا • حكاية عن المنحصر •

(٤) سورة يس ٣٠

(٥) سورة في ٣٨

وهذه الألفاظ كلها عند أصحابنا متأولة عمولة على محامل صحيحة ؛ تشتمل على شرحها الكتب المبسوطة .

• • •

النوع الثامن : في أنه تعالى ليس عتقون لم يصرح أحد من العقلاء قاطعة بأن الله تعالى متلون ؛ وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسيم إلى أنه نور ؛ فإذا أبصرته العيون وأدركته أنصرت شعما نورايا مضيا ؛ لم يزدوا على ذلك ، ولم يصرحوا بإثبات اللون بهذه العبارة ؛ وإن كان كل مص - ملونا .

• • •

النوع التاسع : في أنه تعالى لا يشبه ولا يغير ؛ ذهب شيوخنا للتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصح عليه الشهوة والتفرد ؛ لأنها إما يصحان على ما قبل الزيادة والتقصان بطريق الاعتداء والتمتد ؛ والبارئ سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك ؛ وما عرفت لأحد من الناس خلافا في ذلك ؛ اللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على معنى الإرادة والكراهية ؛ على سبيل المجاز .

• • •

النوع العاشر : في أن الباري تعالى غير متناهى الذات قالت للمعتزلة : لما كان الباري تعالى ليس بجسم ولا جسماني ، وكانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات للقادر ؛ يقال : هذا الجسم متناه ، أي ذو طرف .

قلنا : إن ذات الباري تعالى غير متناهية ؛ لأعلى معنى أن امتداداته غير متناه ؛ فإنه سبحانه ليس بذى امتداد ، بل بمعنى أن الموضوع الذي يصدق عليه النهاية ليس يتمتع في حقه سبحانه ؛ قلنا : إن ذاته غير متناهية ؛ كما بقول للمهندس : إن النقطة غير متناهية ؛ لأعلى معنى أن لها امتدادا غير متناه ، فإنها ليست بممتدة أصلا ؛ بل على معنى أن الأمر

الذي تصدق عليه النهاية - وهو الامتداد - لا يصدق عليها ؛ فإن صدق عليها أنها غير متناهية . وهذا قول الفلاسفة وأكثر المحققين .

وقالت الكرامية : الباري تعالى ذات واحدة منفردة عن العالم قائمة بنفسها ، مباينة للموجودات ، متناهية في ذاتها ؛ وإن كان لا نطلق عليها هذا اللفظ لما فيه من إيهام انقطاع وجودها ، ونصرم جأها .

وأطلق هشام بن الحكم وأصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهي الذات ؛ غير متناهي القدرة .

وقال الجاحظ : إن لي قوما زعموا أنه تعالى ذاهب في الجهات الست ، التي لا نهاية لها .



النوع الحادي عشر : في أنه تعالى لا تصح رؤيته . قالت المعتزلة : رؤية الباري تعالى مستحيلة في الدنيا والآخرة ؛ وإنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهة .

وقالت الكرامية والحنابلة والأشعرية : تصح رؤيته ويرى في الآخرة ؛ يراه المؤمنون ؛ ثم اختلفوا ، فقالت الكرامية والحنابلة : يرى في حبة فوق ، وحكي عن مضر وكهمس وأحمد الجبلي^(١) أنهم أجازوا رؤيته في الدنيا ، وملامسته ومصالحته ؛ وزعموا أن المخلصين يمانقونه متى شاءوا ، ويسمون الحبيبة .

وحكى شيخنا أبو الحسين في " التصفح " عن أبواب السجستان من المرجئة ، أن الباري تعالى تصح رؤيته ولسه .

وذهب قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى ، وأن الناس كلهم كافرون ومؤمنهم يرونه ؛ ولكن لا يعرفونه .

(١) كذا في ١ ، وفي الحاشية غلا من القاموس : أحمد بن عبد الله الجبلي ، ويحال : الجبالي ، ليلى الجباب ، محدث ، وفي ب : « أنجس »

وقال مَنْ ترفع عن هذه الطبقة منهم : لا يجوز أن يرى بعين حلفت لفناء ؛ وإنما يرى في الآخرة بعين خلقت للبقاء .

وقال كثير من هؤلاء : إن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه بصيْر رأسه ليلحة المراج .
ورَوَّاهُ عَنْ كَسْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَيْتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ورَوَّاهُ عَنْ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ : : قَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ .
وَتَمَاقٍ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ^(١) ﴾ ، وَقَالُوا : كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّتَيْنِ ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مَرَّتَيْنِ .

وَأَسْكُرُ ابْنَ الْمَيْمَمِ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَقْوَالَ الْكِرَامِيَةِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ لَمْ يَرَهُ ، وَلَكِنَّهُ سَوَّفَ بَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ .
قَالَ : وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَتْ جَائِشَةُ أَبِي ذَرٍّ وَقَعْلَدَةُ ؛ وَقَدْ رَوَى مِنْهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ .

وَاخْتَلَفَ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ ؛ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَرَاهُ الْكَافِرُ ؟ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ :
إِنَّ الْكَافِرَ لَا يَرُونَهُ ؛ لِأَنَّ رُؤْيَيْتَهُ كِرَامَةٌ ، وَالْكَافِرُ لَا كِرَامَةَ لَهُ . وَقَالَتِ السَّالِيَةُ وَبَعْضُ
الْحَشَوِيَّةِ : إِنَّ الْكَافِرَ يَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ ذَكَرَ
ذَلِكَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَيْمَمِ .

فَأَمَّا الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ : إِنَّهُ يُرَى كَمَا يُرَى الْوَاحِدُ مِنَّا ،
بَلْ قَالُوا : يُرَى ؛ وَلَيْسَ فَوْقًا وَلَا تَحْتَ وَلَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا أَمَامًا وَلَا وَرَاءَ ؛ وَلَا يَرَى
كَلَّةً وَلَا بَمَضَةٍ ؛ وَلَا هُوَ فِي مَقَالَةِ الرَّأْيِ وَلَا مُتَعَرِّفًا عَنْهُ ؛ وَلَا تَصِغُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ إِذَا رُئِيَ ،

وهو^(١) مع ذلك يرى ويبصر . وأجازوا أبصا عليه أن تسمع ذاته ، وأن تشم وتذاق وتمس ،
لأعلى طريق الاتصال ، بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقاً طارياً عن الاتصال .
وأنكرت الكرامية ذلك ولم يُحيزوا عليه إلا إدراك البصر وحده ، وناقضهم شيخنا
أبو الحسين في "التصحيح" وأزمهم أحد أمرين ؛ إما نفي الجميع أو إثبات إدراكه من جميع
الجهات ، كما بقوله الأشعرية .

وذهب ضرار بن عمرو ، إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسة سادسة لا هذا البصر .
وقيل ذلك عن جماعة غيره .

وقال قوم : يحوز أن يحول الله تعالى قوة القلب إلى العين ، فيعلم الله تعالى بها ،
فيكون ذلك الإدراك علماً باعتبار أنه قوة القلب ، ورؤية باعتبار أنه قد وقع بالمعنى الحال
في العين .

فهذه الأنواع الأحد عشر هي الأقوال والمذاهب التي يشتمل قوله عليه السلام بنفي
التشبيه عابها ؛ وسيأتي من كلامه عليه السلام في نفي التشبيه ما هو أشدّ تصرّحاً بحاس الألفاظ
التي نحن في شرحها .

الفصل الخامس

في بيان أن الجاحد له مكابر بساؤه ومنبت له بقلبه

وهو معنى قوله عليه السلام : « فهو الذي تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب
ذو الجبود » .

لا شبهة في أن العلم بافتقار المتغير إلى الغير ضروري ؛ والعلم بأنّ المتغير ليس هو المتغير

إما أن يكون ضرورياً أو قريبا من الضروري ، فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع ؛ إنما هو جاحد لمعناه لا يقبّه ؛ لأنّ العقلاء لا يمحذون الأوليات بقلوبهم ، وإن كانوا بالسنتهم ؛ ولم يذهب أحدٌ من العقلاء إلى نفي الصانع سبحانه . وأما القائلون بأنّ العالم وجد عن طبيعة ، وأنّ الطبيعة هي المديرة له ، والقائلون بتصادم الأجزاء في الحلاء الذي لانهاية له ؛ حتى حصل منها هذا العالم . والقائلون بأن أصل العالم وأساس بيئته هو النور والظلمة ، والقائلون بأنّ مبادئ العالم هي الأعداد المجردة ، والقائلون باللهيولي القديمة ؛ التي منها حدث العالم ، والقائلون بمشقة النفس للهيولي ؛ حتى تكوّن منها هذه الأجسام ؛ فكلّ هؤلاء أنتوا الصانع ، وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله . وقال قاضي القضاة : إن أحداً من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم بالكلية ، ولكن قوماً من الوراقين احتجوا ووصعوا بينهم مقالة ؛ لم يذهب أحد إليها ؛ وهي أن العالم قديم لم يرل على هيئته هذه ، ولا إله للعالم ولا ملأ أصلاً ، وإنما هو هكذا مارال ، ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر .

قال : وأحد ابن الراوندي هذه المقالة فصرها في كتابه المعروف بكتاب " التاج " قال : فأما العلاسفة القدماء والمتأخرون ، فلم ينعوا الصانع ؛ وإنما نفوا كونه فاعلاً بالاختيار ؛ وتلك مسألة أخرى . قال : والقول بنفي الصانع قريب من القول بالنفسطة ؛ بل هو هو بعينه ؛ لأنّ من شكّ في المحسوس أعذر ممن قال : إن المتحرّكات تتحرك من غير محرك حرّكها .

وقول قاضي القضاة هذا ، هو محض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وعينه ، وليس قول الجاحظ هو هذا ، لأنّ الجاحظ يذهب إلى أن جميع المعارف والمعلوم الإلهية ضرورية ، ونحن ما أدعينا في هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضروري ، فأين أحد القولين من الآخر ؟

(٥٠)

ومن خطبة له عليه السلام :

الأصل :

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تذهج ، وأحكام تبنتج ، يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجال رجالات ؛ على غير دين الله ، فتو أن الباطل خلع من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ؛ ولو أن الحق خلع من لبس الباطل ، انقطعت عنه ألسن المعادين ، ولكن يؤخذ من هذا ضمت ومن هذا ضمت ، فيمر جائر ، فهالك يستولى الشيطان على أوليائه ، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

الشرح :

المرتاد : الطالب . والصمت من الخشيش : القبضة منه ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ﴾^(١) .

يقول عليه السلام : إن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتن الناس بها ، أصلها اتباع الأهواء ، وابتداع^(٢) الأحكام التي لم تعرف يخالف فيها الكتاب ، وتحمل العصبية والهوى على تولي أقوام قالوا بها ، على غير وثيقة من الدين . ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل في النظر الذي هو الطريق إلى استسلام الجهولات ، فلو أن النظر تخلص مقدماته وترتب قضاياها من قضايا باطلة ، لسكان الواقع منه هو العلم الخس ، وانقطع عنه ألسن المخالفين ، وكذلك لو كان النظر تخلص مقدماته من قضايا صحيحة ، بأن كان كالمبين

(١) سورة ص ٤٤

(٢) كغاي ج ، و ا ، ب : د ابداع .

على الفساد ، لظهور فسادُه لطلبة الحق ، وإنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياء الصادقة بالقضاياء الكاذبة .

مثال ذلك احتجاج مَنْ أجاز الرؤية بأن الباري تعالى ذاتٌ موجودة ، وكلٌّ موجود يصح أن يُرى ، فإحدى المقدمتين حق ، والأخرى باطل ، فالتبس أمرُ النتيجة على كثير من الناس .

ومثال ما يكون المقدمتان جميعاً باطلتين ، قول قوم من الباطنية : الباري لا موجود ولا معدوم ؛ وكلٌّ مالا يكون موجوداً ولا معدوماً يصح أن يكون حياً قادراً ، فالباري تعالى يصح أن يكون حياً قادراً ؛ فهاتان المقدمتان جميعاً باطلتان . لا جرم أن هذه المقالة مرغوبٌ عنها عند العقلاء !

ومثال ما تكون مقدماته حقا كلها : العالم متميز ، وكلٌّ متميز ممكن ؛ فالعالم ممكن ، فهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء .

فإن قيل : فما معنى قوله عليه السلام : « فهناك يستولى الشيطان على أوليائه ، وينجو الذين سبقتم لهم من الله الحسنى » ، أليس هذا إشعاراً بقول المجبرة وتلويحاً به ؟
قيل : لا إشعار في ذلك بالجبر ، وسراده عليه السلام أنه إذا امتزج في النظر الحق بالباطل ، وتركبت المقدمات من قضاياء صحيحة وفاسدة ، تمكن الشيطان من الإضلال والإغواء ، ووسوس إلى المكلف ، وخيل له النتيجة الباطلة ، وأما له إليها ، وزينها عنده ، بخلاف ما إذا كانت المقدمات حقا كلها ، فإنه لا يقدر الشيطان على أن يخيل له ما يخالف العقل الصريح ؛ ولا يكون له مجال في تزوين الباطل عنده ، ألا ترى أن الأوليات لا سبيل للإنسان إلى جمعها وإنكارها ، لا بتخييل الشيطان ولا بغير ذلك !

ومعنى قوله : « على أوليائه » ، أى على مَنْ عنده استمداد للجمل ، وتمرن على اتباع الهوى ، وزهدنى تحقيق الأمور العقلية على وجهها ، تقيداً للأسلاف ، ومحبة لا تباع للذهب المؤلف ، فذاك هو الذى يستولى عليه الشيطان وبضله ، وينعو الذين سبقتم من الله الحسنى ، وهم الذين يتبعون محض العقل ، ولا يركنون إلى التقليد ، ويسلكون مسلك التحقيق ، وينظرون للنظر الدقيق^(١) ، يجهلون فى البحث عن مقدمات أنظارهم ، وليس فى هذا الكلام تصريح بالجبر ، ولا إشعار به على وجه من الوجوه ، وهذا واضح .

وحمل الراوندى قوله عليه السلام : « فو أن الباطل خلس ... » إلى آخره ، على أن المراد به نقي القياس فى الشرع ، قال : لأنّ القائلين يحملون المكوث عنه على المنطوق ، فيتمزج المجهول بالمعلوم ، فيلتبس ويطن لامتزاج بعضه ببعض حقاً ، وهذا غير مستقيم ، لأنّ لفظ الخطبة أن الحق يتمزج بالباطل ، وأصحاب القياس لا يسلطون أن استخراج الدالة من الحكم المعلوم باطل ، بل يقولون إنه حق ، وإن الدليل الدال على ورود العبارة بالقياس ، قد أصابهم من كونه باطلاً .



واعلم أن هذا الكلام الذى قاله عليه السلام حق إذا تأملته ، وإن لم تفسره على ما قدمناه من التفسير ، فإن الذين ضلوا من مقلة اليهود والنصارى وأرباب المقالات الفاسدة من أهل لغة الإسلامية وغيرها ، إنما ضلوا أكثرهم بتقليد الأسلاف ، ومن يحسن الظن فيه من الرؤساء وأرباب المذاهب ، وإنما قلدهم الأتباع ، لما شاهدوا من إصلاح ظواهرهم ، ورفضهم الدنيا وزهدهم فيها ، وإقبالهم على العبادة ، وتمسكهم بالدين ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وشدهم فى ذات الله ، وجهادهم فى سبيله ، وقوتهم فى

مذاهبهم ، وصلاتهم في عقائدهم ، فاعتقد الأتباع والخلف والقرون التي جاءت بعدهم أن هؤلاء يجب اتباعهم ، وتحرم مخالفتهم ، وأن الحق معهم ، وأن مخالفتهم مبتدع ضال ، فقلدوهم في جميع ما نقل إليهم عنهم ، ووقع الصلال والمنط بذلك ، لأن الباطل استقر وانفصر بما مارحه من الحق العال الظاهر للشاهد عيانا ، أو الحكم الطاهر ، ولولاء لما تروج الباطل ، ولا كان له قبول أصلا .

(٥١)

ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام
على شريعة الفرات بصيفين ومنعوم من الماء :

الأمثل :

قَدْ اسْتَطَعْتُمْوكمُ الْقِتَالَ ، قَافِرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأَخَّرَ تَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ
مِنْ أَلْدُمَاءَ تَرَوُّوا مِنْ أَلْمَاءَ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حِمَايَكُم مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمُ
قَاهِرِينَ .

أَلَا وَإِنْ مُعَاوِيَةَ قَادَ لَمَّةٌ بَيْنَ النُّوَادِمِ الْخَمْسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرُ ، حَتَّى جَمَلُوا مُحُورَهُمْ
أَغْرَاضَ الْمَلِيَّةِ .

• • •

الشرح :

استطعتموكم القتال ، كلمة مجازية ، ومعناها : طلبوا القتال منكم ؛ كأنه جعل القتال شيئاً
يُستطعم ، أى يطلب أكله ، وفي الحديث : « إذا استطعمكم الإمام فأطعموه » ، يعنى
إمام الصلاة ، أى إذا أرنج فاستفتحكم فافتحوا عليه . وتقول : فلان يستطعمنى الحديث ؛
أى يستدعيني منى ويطلبه .

واللِّمَّةُ ، بالتخفيف : جماعة قليلة .

وخمسة عليهم الخبر ؛ يجوز بالتشديد ، ويجوز بالتخفيف ، والتشديد يعطى الكثرة
وفيلها ؛ ومعناه أنهم عليهم الخبر ، وجمعه مظلما ، ليل خمس ، أى مظلم ، وقد عرس الليل نفسه

بالكسر ؛ إذا أظلم وعتمه غيره ، وعتمت عليه عتماً ، إذا أربته أنك لا تعرف الأمر وأنت به عارف .

والأنغراض : جمع غرض وهو المهدف .

وقوله : « فأقرّوا على مذلة وتأخير محلة » ، أى اثبتوا على القل وتأخر المرتبة والمؤلة ، أو فاضلوا كذا وكذا .

وبحوقوله عليه السلام : « فالموت في حياتكم مهوورين » قول أبي نصر بن نباتة : والحسين الذي رأى الموت في العيز حياة والميت في الدل قتلاً وقال التهامي :

وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلُ الْعَلَا بِعُلُوبِهِ وَأَقْلَامِهِ فَلْيَبْتِهَا بِحُسَامِهِ^(١)
فَمُوتُ الْفَقْرِ فِي الْعِزِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ وَعِيشَتُهُ فِي الدَّلِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ

•••••

[الأشعار الواردة في الإباء والأنف من احتمال الضيم]

والأشعار في الإباء الأنف من احتمال الضيم والقل والتعريض على الحرب كثيرة ؛ ونحن نذكر منها ما هنا طرّقاً ؛ فمن ذلك قول عمرو بن بركة الهذلي :

وَكَيْفَ يَفَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَا لِهْ حُسَامٌ كُلُّونَ لِلْعِ أَيْضُ حَارِمٍ^(٢)
كَذَّبْتُمْ وَيَتِ اللَّهُ لَا تَأْخُذُوهَا مِرَاحِمَةٌ مِلَادِمَ السَّيْفِ قَائِمُ
وَمَنْ يَطْلُبُ لَلَالِ الْمَنَعِ بِالْقَسَا يَبِيشُ مَا جَدَا أَوْ تَحْتَرِمُهُ الْخَوَارِمُ^(٣)

(١) ديوانه ٣٣

(٢) من أبيات له في الأغانى ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ (سأسى) .

(٣) الأغانى : « المحارم » .

ومثله :

ومن يطلب المال الممتع بالفتنا
بمش ما جدياً أو يؤذ فيا بما ريس

وقال حرب بن وسعمر :

عطفت عليه للهر قطعة بأسيل
فأوجرت له لذن الكعوب منقفا
كمن ومن لا يظلم الناس يظلم
نحر صريحا للبدن وللغم

وقال الحارث بن الأرقم :

وما ضاق صدري يا سلمي بسخطكم
تروك لدار الخسف والصيم، منكر
ولكنني في الحادثات صليب
بغير بمل للكرامات أريب
إذا سمي السلطان ذلاً أيتته
ولم أخط خففا ما أقام عيب

وقال العباس بن مرداس السلمي :

بأي فارس لا يمرى صواهلها
لأوالسيف بأيديها بجرودة
أن يقبلوا الخسف من ملك وإن عظم
لا كان منا غداة الرؤع منهزما

وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبي كأقوام عبت بهم
لأعلقى قذاة لست فاعلها
لن ياغوا الذل حتى تأنف الحر
واحذر شبائي قديما ينفع الحذر
قد عليت بأني غير منتهم
حتى يلوح يطن الراحة الشعر

وقال السيب بن علس :

أبلغ ضبيعة أن السلا
د فيها لدى قوة منضب^(١)

وقد يفسد القوم في دارهم إذا لم يضاموا وإن أجدبوا
ويزيل القوم عند الهوا
وقد كان سامة في قويمه
فساموه خسفا فلم يرضه
ن عن دارهم بعد ما أخصبوا
له مسطعم وله مشرب
وفي الأرض عن ضييعهم مهرم

وقال آخر :

إن الهوان حار القوم يعرفه
ولا يقيم على خف يراد به
هذا على الحسف مشدود برميته
فإن أقمتم على صميم يراد بكم
وفي البلاد إذا ما حفت مادرة
والحر بكرة والرسلة الأجد^(١)
إلا الأدلان عير الحى والويد^(٢)
وذا يشج فلا يأوى له أحد^(٣)
فإن يرحل له والي ومعتد
مكروهة عن ولاه السوء معتد

وقال بعض بني أسد :

إن امرؤ من بني خزيمة لا
لست بمعطر ظلامه أبدا
أظم خسفا لغائب نسأ
حجما ولا أتى بها عربا

دخل مويثك السدوسى إلى البصرة يبيع إبلا ، فأخذ حامل الصدقة بعضها ، فخرج

إلى البادية وقال :

ناق إنى أرى المقام على الضييع عطيا و قبة الإسلام
قد أراى ولى من العايل النعة من يجد السنان أو بالحسام

(١) للتلس ، مصاحد التنصيص ٢ : ٣٠٦ . الرسالة : الساقطة السهلة السير . والأجد :
الموتقة الخلق .

(٢) العير ، بفتح العين : الحمار ، وعلب على الوحش ؛ ولما راد به هنا الأهل .

(٣) الرمة : القطعة من الجبل ، وأوى له ، أى رقى .

وَوَيْتَقَتْ بِالدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى جَمَافَهَا شَعَانَا
وَعَزَمْتَ وَيْلَكَ عَلَى الْحَيَاةِ وَطَوِيلَهَا عَزْمًا بَعَانَا
يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ - فِيمَنْ قَدْ رَأَى - كَأَنَّا فَعَانَا
هَلْ فِيهَا لَكَ عِزَّةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ اضْطِلَافَا
وَمَنْ الْقَدَى طَلَبَ التَّفَلُّسَاتِ مِنْ مَنِيَّتِهِ قَفَاتَا
كُلُّ نُسْبَةٍ لِلْسَبَةِ أَوْ تُبَيِّهُ يَبَاتَا

وله :

أَرَى الدُّنْيَا لَمَنْ هِيَ فِي بَدْبِهِ
تُهِنُ لِلْكَرَمِ لَهَا بِصُنْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ مِنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ
هَذَا بَا ، كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ^(١)
وَنُكْرُمُ كُلُّ مَنْ هَاتَتْ عَلَيْهِ
وَحُذِّ مَا أَتَتْ مَحَاجِجَ إِلَيْهِ

وله :

أَلَمْ تَرَ رَبِّبَ الدُّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
أَبَا بَانِي الدُّنْيَا لِقَبْرِكَ تَبْنِي
أَرَى لِلرَّءِ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
بُجَازِلُ مَا لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ خَيْرُهُ
وَأَيُّ امْرِئٍ فِي غَابَةٍ لَيْسَ غَمُّهُ
لَهُ عَارِضُ فَمِنْ النِّيَّةِ تَنْتَحِ^(٢)
وَبِاجَامِعِ الدُّنْيَا لِقَبْرِكَ تَجْمَعُ
وَلَقَدْ بَوْمًا لَا تَحَالَةَ تَضَرَّعُ
مَتَى تَنْقِضِي حَاجَاتِ مَنْ لَيْسَ بِشَيْءٍ
إِلَى غَابَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ

وله :

سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقْصُتْ
مَقْصِدَكَ لِلْعَالِمِ وَالرُّسُومِ^(٣)

(١) ديوانه ٢٨٨

(٢) ديوانه ١٤٤

(٣) ديوانه ٢٤٦

وَالْأَحْسَمَاءُ يَبْهَرُ الْعَيْنَ لَمَعُهُ كَصَاعِقَةٍ فِي عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّأَ

•••

[أبَاهُ الضَّيْمِ وَأَخْبَارِهِ]

سيد أهل الإباء ، الذي علم الناس الحمية وابتوت تحت ظلال السيوف ، اختياراً له على
الهدية ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ؛ عرض عليه الأمان
وأصحابه ، فأبى من الدّل ، وخاف من ابن زياد أن يذله بنوع من الهوان ؛ إن لم يقتله ،
فاختار الموت على ذلك .

وصحت النقيب أبا زيد يحيى بن زبد العلوي البصري ، يقول : كأن أيماء أبي
تمام في محمد بن حميد الطائي^(١) ما قيات إلا في الحسين عليه السلام :
وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَّجَهُ إِلَيْهِمُ الْخِفَافُ الثَّرُ وَالْخَلْقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَصَافُ الضَّيْمَ حَقٌّ كَانَهُ هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْجِ أَوْ دَوْنَهُ الْكَفَرُ
فَأَثَبَتْ فِي سُنْتَقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مَنْ تَحْتَ أَخَصَّكَ الْحَشْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ مُخْرَافًا أَتَى لَهَا الْهَيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خَضْرُ
لَمَّا فَرَّ أَصْحَابُ مَصْعَبٍ عَنْهُ ، وَتَحَفَّ فِي غَرْبِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، كَسَرَ جَفْنَ
سُوفِهِ ، وَأَشَدَّ :

فَإِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّؤًا فَتَّؤُوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا^(٢)
فَلَمْ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ قَدْ اسْتَقْتَلَ .

ومن كلام الحسين عليه السلام يوم الطف ، للنقول عنه ، نقله عنه زين العابدين على
أبيه عليه السلام : « أَلَا وَإِنَّ الدَّمْعَ ابْنَ الدَّمْعِ » ، قد خسرنا بين اثنتين : الله^(٣)

(١) ديوانه ٢٦٨ - طبع بيروت .

(٢) لسان بن قنفة الكامل ١ : ١١١ والطف : من صاحبه الكوفة ؛ كل فيها قتل الحسين عليه السلام

(٣) الل : أترأك الشيء وإخراجك له في رفق ؛ وعد الله ؛ أي عند استلال السيوف .

أوالذلة، وهيات منّا الذلة ! يا أي الله ذلك لناورسوله والمؤمنون ، وحججور طابت ، وحججور طهرت^(١) ، وأنوف حية ، ونفوس آية .

وهذا نحقول آية عليه السلام ، وقد ذكرناه فيما تقدم : « إن امرأ أمكن عدوا من نفسه ، يمرق لجه ، ويفري جلده ، ويهشم عظمه ، لعظيم مجزؤه ، ضيف ما ضمت عليه جواع صدره ؛ فكن أنت ذلك إن شئت ؛ فأما أما فدون أن أعطى ذلك ضرباً بالشرقية تطير منه قرأش الهام ، وتطيح السواعد والأقدام . »

• • •

وقال العباس بن مرداس السلمي :

مقال امرئ يهدي إليك نصيحة
وان بؤهوك منزلا غير طائل^(٢)
ولا تطلع من ما يلفونك لهم^(٣)
أراك إذا قد صرت لقوم ناضعا
فخذها فليست للمريز بطة
وفيها مقام لامري متدلل^(٤)

(١) الحجر : جمع حجرة ، حيث ينشئ طرف الإردار ، كناية من السنة .

(٢) من أبيات الحماسة ٢ : ١١ - بمرح التبريزي ، طالعها :

ألا أبلغ أبا سلى رسولا يروعه
ولو حل ذا سدر وأهل يستعجل

(٣) الحماسة : « مبركا غير طائل » .

(٤) قال التبريزي : التمل : هو السم الذي قد خلد به ما يهويه ويهجه ليكون أفع ، أي سموك السم وإن كانوا أقباءك فلا تفرجهم وكس ذا أفة . وبمنه في رواية التبريزي :

أبعد الإزار مجدا لك شاهدا
أنيت به في الدار لم ينزىل

(٥) الناضح : البحر الذي يستق عليه النساء ، قال التبريزي : « يقول : أبعد الإزار عنضوبا بالهم أنيت به في الدار شاهدا تصالحهم ! فإن قلت ذلك صرت كالناسخ لقوم انقيادا لهم » .

وله أيضا :

فحارب فإن مولاك حارده نصره في السيف مولى نصره لا يحارده^(١)
وقال مالك بن حريم الهذلي :

وكنيت إذا قوم غزوني عزوتهم
فهل أمانى ذايال همدان ظالم^(٢)
مضى تجمع القلب الديكى وصارما
وأما حبيب تجنبك المظالم^(٣)
وقال رشيد بن رميض المنزى :

باتوا نياما وابن هند لم يمت
باتت بحاسيا غلام كازلم^(٤)
خدلج الساقين خفاق القدم^(٥)
قد كفها الليل يسواق حطم^(٦)
ليس براعى إبل ولا غنم
ولا محزاي على ظهر وضم^(٧)
• من يلقى يود كما أودت لدم •

وقال آخر :

ولست بمبتاع الحياة بسبل
ولا مرتقى من خشية الموت حلقا^(٨)
ولما رأيت الود ليس بنافى
عندت إلى الأمر الذى كان أحزما

• • •

- (١) ديوان الحماسة ٢ : ١٥ - بصرح التبريزي : وحارده نصره ؟ أى امتنع ؟ والمحاددة فى الأصل اللين ، واستمر هتا .
(٢) من قصيدة له فى الأغاني ٢١ : ١١٣ ، ١١٤ وحريم ، سطره البكرى فى اللآلى ٧٤٨ « بالحاء والراء اللهمتين ، الحاء مفتوحة ، والراء مكسورة » ، وقال : « ومن روى حريم ، بالزاي فقد صحف » .
(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٣٣ - بصرح التبريزي ؟ من وصف عارة .
(٤) الزلم : القدح . بحاسيا ، أى يمانى الفارة كيف يوفىها ويدبرها .
(٥) خدلج الساقين : يمشيها . خفاق القدم : سريع الخطو ؟ ضراب بها للأرض .
(٦) قد كفها ، أى الإبل ؟ وجعل الفيل ليل على أمار . والحطم : القى لا يبق من السير شيئا ؟ وللمنى أنه جعلها برجل متاعى القوة ، عفيف السوق .
(٧) الوضم : كل ما فضع عليه اللحم .
(٨) الحمسين بن حمام الرى ، للفضليات ٦٥ مع اختلاف فى الرواية .

ومن أباة الضيم يزيد بن المهلب ؛ كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافة ؛
 لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت إليه الخلافة ، خلعه يزيد بن المهلب ،
 ونزع يده من طاعته ، وعلم أنه إن ظفر به قله وباله من الهوان ما القتل دونه ، فدخل
 البصرة وملكها عنوة ، وحبس هدى بن أرمطة عامل يزيد بن عبد الملك عايبا ، فسرح
 إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا ، وبشتميل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرة ،
 وبمئ مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وكان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتديرها ،
 وأمين الناس نقيبة في الحرب ، وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فسار
 يزيد بن المهلب من البصرة ، فقدم واسط ، فأقام بها أياما ، ثم سار عنها فدخل العقرة^(١) ،
 واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفا ، وقدم مسلمة بجيوش الشام ، فلما تراءى
 المعكران ، وشبت الحرب ، أمر مسلمة قائدا من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها
 يزيد بن المهلب فأحرقها ، فلما رأى أهل العراق أن الخان قد علا انهزموا ، فقبل ليزيد
 ابن المهلب : قد انهزم الناس ، قال : وميم انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم الناس من مثله ؟
 فقيل له : إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا ، فقال : قبحهم الله ! بن دخن عليه فطارا
 ثم وقف ومعه أصحابه ، فقال : اضربوا وجوه المهزمين ، ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه ،
 واستقبله منهم أمثال الجبال ، فقال : دعوهم قبحهم الله ! ضم هذا في نواحيها الذئب . وكان
 يزيد لا يحدث نفسه بالفراق ، وقد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط ،
 فقال له :

فَمِنْ مَلِكًا أَوُمْتُ كَرِيمًا فَإِنْ تَمُتَ رَسِيْفَكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعَذَّرُ

فقال : ما شعرت ، فقال :

(١) قال ابن خلكان : دعى مقر بابل ؛ وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء ؛ للموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه .

إن بنى مروان قد بادَ ملكهم فإن كنت لم تشع بنك فاشعر
 فقال : أما هذا فحس . فلما رأى يزيد انهزام أصحابه ، نزل عن فرسه ، وكسر جفن
 سيفه واستقتل ، فأتاه آت فقال : إن أخاك حبيباً قد قُتل ، فزاده ذلك بصيرة في توطئه
 نفسه على القتل ؛ وقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! والله لقد كنت أبتغى الحياة بعد
 الهزيمة ؛ وقد ازددت لها بنصاً ؛ امضوا قدماً . فلم أصحابه أنه مستميت ، فتسأل عنه من
 يكره القتال ، وبقي معه جماعة خشية ، فهو يتقدم كلما مرّ بخيل كشفها ، وهو يقصد مسلمة
 ابن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما دنا منه ، أدنى مسلمة فرسه ليركب ، وحالت خيول أهل
 الشام بينهما ، وعطفت على يزيد بن المهلب ؛ فجالدهم بالسيف مصلاً^(١) ؛ حتى قتل وحل
 رأسه إلى مسلمة ، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب ؛ وكان أحوها للفصل بن المهلب ؛ يقاتل
 أهل الشام في جهة أخرى ، ولا يعلم قتل أخويه يزيد ومحمد ؛ فأتاه أخوه عبد الملك بن
 المهلب ، وقال له : ما صنع وقد قتل يزيد ومحمد ، وقبلهما قتل حبيب ، وقد انهزم الناس !
 وقد روى أنه لم يأت بالخير على وجهه ، وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويقتل ، فقال
 له : إن الأمير قد انحدر إلى واسط ، فاقصر أثره ، فأنحدر للفضل حينئذ ، فلما علم يقتل
 إخوته ، حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبداً ؛ وكانت عين الفضل قد أصيبت من قبل
 في حرب الخوارج ، فقال : فضعن عبد الملك فضعه الله ! ما عدى إذا رأى الناس
 قالوا : شيخ أمور مهزوم ، إلا صدقني قتلته ! ثم قال :

وَلَا خَيْرَ فِي طَعْنِ الصَّنَادِيدِ بِالْفَنَاءِ وَلَا فِي لِقَاءِ النَّاسِ نَمْدَ يَزِيدٍ

فلما اجتمع من بني من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة ، أخرجوا عدى بن أرطاة
 أمير البصرة من الحبس ، فقتلوه وحلوا عياله في السفن البحرية ، ولججوا في البحر ؛ فبعث
 إليهم مسلمة بن عبد الملك نعتاً عليه قائد من قواده ، فأدركهم في قنذابيل^(٢) ؛ فخاربهم

(١) مصلاً ، أي مجرداً من غمده .

(٢) قنذابيل ؛ مدينة بالمند .

وحاربوه ، وتقدم بنو المهلب بأسياهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وهم : الفضل بن المهلب ، وزيد بن المهلب ، ومروان بن المهلب ، وعبد الملك بن المهلب ، ومعاوية بن يزيد ابن المهلب ، والنهال بن أبي عيينة بن المهلب ، وعمر بن المهلب ، والميرة ابن قبيصة بن المهلب ، وحملت رموسهم إلى مكة بن عبد الملك ؛ وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستؤسر الباقون في الوقعة ، فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام ؛ وهم أحد عشر رجلا ، فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمة ، فأنشد :

حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُحْمِلًا أَشَدَّ الْمُقَابِ أَوْ عَنَا لَمْ يُتْرَبِ
فَعَنُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِثْبَةً فَمَا تَأْتِيهِ مِنْ حَالِجٍ لَكَ بِكَتَبِ
أَسَاءُوا فَإِنْ تَصَفَّحْ فَإِنَّكَ قَادِرٌ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حَسْبُهُ حِلْمُ مَغْضَبِ

فقال يزيد : أملت ^(١) بك الرِّحْمَ يَا أَمَّا حَسْبُكَ ! لولا أنهم قد حووا في الملك لغفوت عنهم ؛ ثم أمر بقتلهم فقتلوا ، وبقى منهم صبي صغير ، فقال : اقتلوني فليست بصغير ، فقال يزيد بن عبد الملك : انظروا هل أمت ا فقال : أنا أمت بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء فاقتلوني ؛ فلا خير في العيش بعد أهلى فأمر به قتل .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وأسماء الأسارى الذين قتلوا صبرا - وهم أحد عشر مهلبيا : المارك وعبد الله والميرة والفضل والمثعاب ؛ بنو يزيد بن المهلب . ودريد والحجاج وفسان وشيب والفضل ؛ بنو الفضل بن المهلب لصلبه . والفضل بن قبيصة بن المهلب . قال : ولم يبق بعد هذه الوقعة الثمانية لأهل المهلب باقية إلا أبو عيينة بن المهلب . وعمر بن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن الفضل بن المهلب ، فإنهم لحقوا برقبيل ^(٢) ، ثم أومئوا بعد ذلك .

• • •

(١) أملت بك الرِّحْمَ : رقت وحت .

(٢) رقبيل : من ملوك الترك .

وقال الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

أَلَا يَهْدِي بِادِرَةِ الطَّلَابِ وَعَزَمَ لَا يَرَوُّعُ بِالْعَنَابِ^(١)
وَكُلَّ مَشْرِطِ الْبُرْدَيْنِ يَهْوِي هَوَىٰ لِلصَّلَاتِ إِلَى الرَقَابِ
أَعَاتِبُهُ عَلَى بُعْدِ النَّبَايِ فَيَحْذِرُنِي عَلَى قُرْبِ الْإِيَابِ
رَأَيْتُ الْعَجَزَ بِمَضْعُ اللَّيَالِي وَيَرْضَىٰ عَنْ نَوَائِبِهَا الْفِضَابِ
وَأَمِلَ أَنْ نَطَاوِعِي اللَّيَالِي وَيَسْبِقُ فِي الْمَنَى ظَفَرِي وَنَائِي
وَلَوْلَا صَوْلَةُ الْأَقْدَارِ دُوِي هَمَزَتْ عَلَى الْمَلَامِينَ كُلِّ بَابِ

وقال أيضا :

لَا يَبْدُوُ الْمَيُومَ إِلَّا غِلَامٌ يَرْكَبُ الْكَمُولَ وَالْحَسَامَ رَدِيفَ^(٢)
مَا يَذِلُّ الزَّمَانُ بِالْفَقْرِ حُرًّا كَيْفَ كَانَ فَالشَّرِيفُ شَرِيفُ

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وَلَسْتُ أَضِلُّ فِي طُرُقِ الْعَالِي وَنَارُ الْيَمْرِ عَالِيَةُ الشَّمَاعِ^(٣)
وَدُونَ الْمَجْدِ رَأَىٰ مُسْتَطِيلٌ وَبَاعَ خَيْرُ تَجَنُّوبِ الدَّرَاعِ
وَبُعْثِي إِلَى الْعِبَادِ كَأَنِّي قَدِي يَحْدِثُ مِنْ عَدِيٍّ بِنِ الرَّقَاعِ
فَرَدُّ يَنْهَى الْعِلَاءَ بِلا رَقِيبِ وَشَمَرِي فِي الْأُمُورِ بِلا زَوَاعِ
وَلَا تَفْرُكُ قَمَقَمَةُ الْأَعَادِي فَذَاكَ الصُّغَرُ خَرَّ مِنَ الْيَفَاعِ
وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْإِنْيَا وَلَسَكِنْ تُحَيِّرُ الْقَطُوفُ عَلَى الْوَسَاعِ^(٤)



(١) ديوانه لوحة ٧٧ ، من قصيدة يمدح فيها آل البيت ويذكر قورم وينشوقها

(٢) ديوانه ، لوحة ١٨٩ .

(٣) ديوانه ، لوحة ٣٦ من قصيدة يمدح فيها أباء البيت .

(٤) القطوف : الدابة الحليمة السعيدة . والفرس الوساع : الجواد ذو السمة في خطوه .

وقال حارثة بن بدر الخُدائي :

أمانٌ وأقصى ثم ينصحووني ومن ذا الذي يُعطى نصيحتَه قسراً
رأيت أكَفَّ المصلين طبعكم بلاء وكفى من عطائكم حِزراً
مَنْ تَسْأَلُونِي مَا عَلَى وَتَعْنُوا لِي لِي ، لَا أَسْتَطِيعُ فِي ذَلِكَ حِزْراً

وقال بعض الخوارج :

تُعَذِّبُنِي بِالْحَرْبِ عِرْسِي وَمَا دَرْتُ بَاتِي لَهَا فِي كُلِّ مَا أَمَرْتُ حِدَةً
لَمَّا اللَّهُ قَوْمًا يَفْسُدُونَ وَعِنْدَهُمْ سُيُوفٌ وَلَمْ يَنْصَبْ بِأَيْدِيهِمْ قِدَةً
وقال الأحمسي :

أَبَالُوتُ خَشَفَنِي حَبَادٌ وَإِعْمَا كَرَأَيْتُ مِنْهَا الْقَوْمَ يَنْتَقِي دَلِيلَهَا^(١)
وَمَا مَوْتُهُ إِنْ يَتَى غَيْرَ عَاجِزٍ سَارَ إِذَا مَا ظَالَتِ النَّفْسَ غَوْلَهَا

وقال آخر :

فَلَا أَسْتَعْنُ فِيكُمْ بِأَمْرِ مُضْمِرٍ وَضِيمٍ وَلَا تَسْمَعُ بِهِ هَامِقٌ بَعْدِي
فَإِنَّ اللِّسَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءَ حَذَاهُ مِنَ الضَّمِيمِ ، أَوْ يَسُدُّ عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدَ

ومثله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخِيكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَيْجَرَانِ إِنْ كَانَ بِمَقِيلٍ^(٢)
وَيَرْكَبُ حَذَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرِ السَّيْفِ مَقِيلٌ

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) الحسن بن أوس ، ديوانه ٥٩ .

وقال آخر :

كِرِهُوا لِلْمَوْتِ فَاسْتَبِيحِ جَاهُكُمْ وَأَقَامُوا فَمَلَ الثَّيْمِ الدَّلِيلُ
أَمِنَ الْمَوْتَ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ أَلْ مَوْتَ الدَّلِيلُ غَيْرُ جَمِيلٍ

وقال بشامة بن الندير :

وإِنَّ أَلْ تَقَى سَامَكُمْ قَوْمَكُمْ مُمْ جَمَعُوا عَلَيْكُمْ عُدُولاً^(١)
أَخِزْتُمُ الْحَيَاةَ وَكُرِهَ الْمَوْتَ فَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِبْرٌ إِحْدَاهَا مَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتَ سَيْرًا جَمِيلًا
وَلَا تَقْعُدُوا وَبَيْنَكُمْ مَتَّةٌ كَثُرَ بِالْخَوَاطِثِ لِلْمَرءِ عُولًا

•••

قال يزيد بن المهلب في حرب جرجان لأخيه أبي عينة : ما أحسن منظرٍ رأيتَ
في هذه الحرب ؟ قال : سيف بن أبي سبرة وبيضته ! وكان عبدُ الله بن أبي سبرة يحمل
على غلام تركي قد أفرج الناس له ، وصيدوا عنه لباسه وشجاعته ، فتضاربا ضرتَين ،
فقتله ابن أبي سبرة بعد أن صر به التركي في رأسه ، فنشب سيفه في بيضة ابن أبي سبرة ،
فماد إلى الصفِّ وسيفه مصبوغ بدم التركي وسيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلتمع ،
فقال الناس : هذا كوكب الذنب ، ومجبوا من منظره .

وقال هذبة بن خشرم :

وإِنِّي إِذْ مَالْتُ لِمَوْتٍ لَمْ يَكْ دُونَهُ قَدَى الشِّبْرِ أَحْمَى الْأَنْفِ أَنْ أُنَاخِرَا^(٢)
وَلَكِنِّي أُعْطِيَ الْخَفِيفَةَ حَقًّا فَأَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَأَنْكُرُ مَنْكُرًا

وقال آخر :

إِنِّي أَنَا لِلْمَرءِ لَا يُنْضَى عَلَى تَرِيٍّ وَلَا يَقَرَّ عَلَى ضَيْمٍ إِذَا غُشِمَا

(١) مختارات ابن السكيت ١٦ ، المفصليات ٥٩

(٢) قدى القبر : قدمه ، والبيت في اللسان (٢٠ : ٣٢) .

ألقى النية خوفاً أن يقال فتى أمسى وقد ثبت الصفان — منهزماً
وقال آخر :

قَوْضُ خِيَامِكَ وَالْتِمِيسُ نَكْدًا تَنَاضَى مِنَ الْفَاشِيكِ بِالظَّلَمِ
أَوْ شَدَّةُ شِدَّةِ يَبْهَسِ فَعَسَى أَنْ يَنْقُوكَ بِصَفْحَةِ السَّلَمِ^(١)

استنصر سبيع بن الخطيم النهمي من بني تيم اللات بن ثعلبة زبد الفوارس الضبي
فنصره ، فقال :

نَبِهْتُ زَيْدًا فَلَمْ أَفْزَحْ إِلَى وَكَلٍ رَثُ السِّلَاحِ وَلَا فِي الْحَيِّ مَضُورٍ
سَأَلْتُ عَلَيْهِ شَعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَمَا أَنْصَارُهُ بِوَجْوِهِ كَالدَّيَاغِيرِ
وقال أبو طالب بن عبد المطلب :

كَذَبْتُمْ رِيثَ اللَّهِ نُحْلِي نُحْمَدًا وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَتَنَاضَلَ^(٢)
وَنَنْصُرُهُ حَتَّى نَصْرَحَ حَوْلَهُ وَنَذْجَلَ مِنْ أَبْنَانَا وَالْحُلَّائِلِ

• • •

لما برز علي وحزرة وعبيدة عليهم السلام يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد ، قتل علي
عليه السلام الوليد ، وقتل حمزة وشيبة ، علي اختلاف في رواية ذلك : هل كان شيبة قرنه أم
عتبة ؟ وتجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما ، فجرح عبيدة عتبة في رأسه ، وقطع عتبة ساق عبيدة ،
فكرت علي وحزرة عليهما السلام على صاحبهما ، فاستنقذه من عتبة ، وخطاه بسيفيهما حتى
قتلاه واحتسلا صاحبهما ، فوضعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش ،
وهو محمود بنفسه ، وإن منح ساقه ليدبيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حياً لطم
أنى أولى منه بقوله :

(١) النهمي : الضجاعي .

(٢) ديوانه ١١٠ ، ١١١ مع اختلاف في الرواية

كَذَّبْتُمْ وَيَسِّرَ اللَّهُ تَحْلِيَّ مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَظَّاهُ دُونَهُ وَتَنَاضَلَ
وَنَصَرَ حَتَّى نَصَرَ حَوْلَهُ وَنَهَلَ مِنْ أَبْنَانِهَا وَالْحَلَالِ
فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْجِرْنِي مَا وَعَدْتَنِي يَا اللَّهُمَّ إِنْ
تَهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ .

• • •

لَمَّا قَدِمَ حَيْشُ الْحَرَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهَلَكَ الْجَيْشُ مُسْلِمٌ بِنَ عَقْبَةَ الْمُرِّي ، أَبَاحَ لِلدَّبَّةِ
ثَلَاثًا ، وَاسْتَمْرَضَ أَهْلَهَا بِالسَّيْفِ جَرًّا كَمَا يَحْرُرُّ النَّصَابَ الْغَنَمَ ؛ حَتَّى سَاحَتْ الْأَقْدَامُ
فِي الدَّمِ ، وَقُتِلَ أُنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَذُرِّيَّةُ أَهْلِ بَنِي ، وَأَحَدُ الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَبَقَاهُ مِنَ الصَّعَابَةِ وَالنَّاسِ ؛ عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ قَيْنَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ ؛ هَكَذَا كَانَتْ صُورَةُ الْمُبَايَعَةِ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، إِلَّا عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
فَإِنَّهُ أَعْظَمُهُ وَأَجْلَسُهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَخَذَ يَمِينَهُ عَلَى أَنَّهُ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ وَابْنُ عَمِّهِ ، دَفَعَا لَهُ نَحْمًا بِابِيعٍ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِوَصَايَةِ مَنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ لَهُ ،
فَهَرَبَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَحْوَالِهِ مِنْ كِنْدَةَ ، لَحْمُوهُ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ
عَقْبَةَ ، وَقَالُوا : لَا يَبَايِعُ ابْنُ أَخْتَانَا إِلَّا عَلَى مَا يَبَايِعُ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَبَى مُسْلِمُ
ابْنُ عَقْبَةَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتَ إِلَّا بِوَصَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلْتُهُ ،
فَإِنْ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ أَجْدَرُ بِالْقَتْلِ ، أَوْ لَأَخَذْتُ يَمِينَهُ عَلَى مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ بَيْعَةَ غَيْرِهِ . وَسَفَرُ
السُّفَرَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، حَتَّى وَقَعَ الْإِتْفَاقُ عَلَى أَنْ يَبَايَعَ وَيَقُولَ : أَنَا أَبَايِعُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالْأَتَمُّ طَاعَتَهُ ، وَلَا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ عَلَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

أَبِي الْعَبَّاسُ رَأْسُ بَنِي قُصَيٍّ وَأَحْوَالِي الْمُلُوكُ بَنُو وَلِيَّةٍ
هُمْ مَنَعُوا ذِمَّتِي يَوْمَ جَاءَتْ كِتَابُ مُسْرِفٍ وَبَنُو الْكَيْمَةِ

أراد بى التى لا عز فيها فحالت دونه أيدى منهم
 مسرف كناية عن مسلم ، وأم على بن عبد الله بن العباس ذرعة بنت مشرح بن
 معدى كرب بن وليمة بن شراحيل بن معاوية بن كندة .
 قال الحصين بن الحزام :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا^(١)
 تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقِ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَحِذْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
 فَلَسْتُ عَلَى الْأَعْقَابِ تَذِمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَعْدَائِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ
 فَتَلَقَّ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزُّ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَأَمْوَالِنَا وَأَغْلَا
 أَبَى لَابِنِ سُلَى أَنَّهُ غَيْرُ حَالٍ مُلَاقٍ لِلْمَلَا أَيْ مَسْرِفٍ تَيْمًا
 ابن سلى بنى نفسه ، وسلى أمة

وقال الطرماح بن حكيم :

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا هَرَّةٌ أَهْلِهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَاءِ وَالْقَابِلِ^(٢)
 وقال آخر :

وإن التى حدثها فى أوفى وأعتقنا من الإباء كغاهيا
 وقال آخر :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَبْزَى وَنَفْسِي وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ^(٣)
 فَمَا لَيْسَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيبَةٍ وَلَا ذَقْنًا لَلِى لَيْسَ مَجْمَلُ
 وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً نَحْمِلُ مَا لَا يَسْطَاعُ فَصَحْلُ

(١) للتضليات ٦٨ ، ٦٩

(٢) ديوانه ١٥٩

(٣) لإبراهيم بن كفيف النيهان ، ديوان الخامسة ١ - ٢٥٦ - بمرح التبريزى .

وقال آخر :

إذا جانب أعيانك فاعمد بجانب
فإنك لاقى في البلاد مولا^(١)

وقال أبو النشاش :

إذا للرم لم يترح سواما ولم يرح
سواماً ولم تمط عكبه أقرية^(٢)
فلموت خير لفق من قوميه
عديماً ومن مولى تدب عفاربه
ولم أر مثل ألم حاجته الفقى
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فميش معديماً أو مت كرمياً فإنى
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربة

•••

وقد يحى بن حرثة بن الزبير على عبد الملك ، فحس يوماً على بابه ينداد إذنه ،
فجرى ذكر عبد الله بن الزبير ، فقال منه حاجب عبد الملك ، فلعلم يحى وجهه حتى أدمى
أنفه ، فدخل على عبد الملك ودمه يجرى من أنفه ، فقال : من ضربك ؟ قال : يحى
ابن حرثة ، قال : أدخله - وكان عبد الملك مشككاً فحس - فلما دخل قال : ما حلقك
على ما صنعت بحاجي ؟ قال : وأمر المؤمنين ، إن عني عبد الله كان أحسن جواراً لملكك
ملك لنا ، والله إن كان ليؤمى أهل ناحيته ألا يسموها قذعاً^(٣) ، ولا يذكرهم عندها
إلا بخير ؛ وإن كان ليقول لها : من سب أهلك فقد سب أهل ، فأما والله للمم الخول ،
تفرقت العرب بين نعى وخال ، فكنت كما قال الأول :

يداه أصابت هذه حنق هذه فلم تجد الأخرى عليها مقدماً

فرجع عبد الملك إلى مشككه ، ولم يزل يعرف منه الزيادة في إكرام يحى بعدها .

(١) الجابر بن طلق الطائى ، ديوان الحماسة ١ : ٢٩٣ - بهرح التبريزى .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٤٠٢ - بهرح التبريزى .

(٣) القذع : النعش .

وأم يحيى هذه ابنة الحكم بن أبي العاص نعمة عبد الملك بن مروان .
وقال سعيد بن عمر الحرشي أمير خراسان :

فلستُ لعامر إن لم تروني أمام الخيلِ أظعنُ بالموالي^(١)
وأصربُ هامة الجمارِ منهمُ بماضي العربِ حودثُ بالصقال^(٢)
فما أنا في الحروبِ بمستكينٍ ولا أحشى مصالاة الرجالِ
أبني لي والدي من كلِّ ذمٍ وخالي حين يُذكرُ خيرُ خالٍ

قال عبد الله بن الزبير لما خطب حين أتاه نبي مصعب : أما بعد ؛ فإنه أنا أنا من
المراق خبراً أفرحنا وأحزننا ؛ أنا أنا خيرُ قتلٍ للمصعب ؛ فأما الذي أحزننا فلوحة يمدُّها
الحليم عند فراق حميه ؛ ثم يرمي بها ذو القرب إلى حسن الصبر وكرم العزاء .
وأما الذي أفرحنا ، فإن ذلك كان له شهادة ، وكان لنا وله خيرة ؛ إنا والله ما نموت
حباً^(٣) كما يموت آل أبي العاص ؛ ما نموت إلا قتلاً قصصاً^(٤) بالرماح ، وموتنا تحت
خلال السيوف ؛ فإن يهلك المصعب ؛ فإن في آل الزبير تخلقاً .
وخطب مرة أخرى فذكره فقال : لوددت والله أن الأرض قاء ثني عنده حين لفظ
غصته وقضى تحبه .

شعر :

خذي به فجريه ضباع وأنثري باجم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

(١) الموالي : جمع غالبة ؛ وهي أهل القبلة .

(٢) عرب السيف : حده ؛ ويقال : حدث السيف ؛ إذا حلاه ؛ وصقال السيف : جلاؤه .

(٣) المبيع : أن يأكل البعير لحاء المروج مرم منه سماً وربما قتله ذلك ؛ وقى اللسان (٣ : ٤٨) .
بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يرض بين مروان لسكرة أسلمهم وإسراهم في بلاد الدنيا ، وأنهم
يموتون بالنخمة » وقى ج : « جنحاً » .

(٤) القصص : الموت السريع ؛ ويقال : مات قصصاً ؛ أي أصابته سرعة أورمية فات مكانه .

وقال الشدّاح بن يعمر الكِنَافِي :

قَاتِلُوا الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا يَدْخُلَكُمْ مِنْ رِقَالِهِمْ قَتْلٌ^(١)
القوم أمثالكم لهم شعرة في الرأس لا ينشرون إن قتلوا

وقال يحيى بن منصور الحنفِي :

وَلَسَا نَاتٍ عَنَّا الْمَشِيرَةُ كُلُّهَا أَمْحَنَّا فَاَلْقَيْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّغْرِ^(٢)
فَمَا أَسْلَمْتَنَا حَسَدُ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضِيْنَا الْجُنُودَ عَلَى وَثَرٍ

قيل لرجل شهد يوم الطَّف مع عمر بن سعد : ومحك ! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : عَصَيْتُ بِالْجُنْدَلِ ! إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة ، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان عبيدا وشمالا ، وتُلقي أنفُسها على الموت ؛ لا تقبل الأمان ، ولا ترهب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض النية ، أو الاستيلاء على الملك ؛ فلو كَفَفْنَا عنها رويدا لَأَكْتَتْ على نفوس العسكر بمذافيرها ؛ فما كنا فاعلين لا أمّ لك !

• • •

السَّخَاءُ من باب الشَّجَاعَةِ ، والشَّجَاعَةُ من باب السَّخَاءِ ؛ لأنَّ الشَّجَاعَةَ إِنْشَاقُ الْعَمْرِ وبذلكَ فَكَانَتْ سَخَاءً ، والسَّخَاءُ إِقْدَامٌ عَلَى إِتْلَافِ مَا هُوَ عَدِيلٌ لِلْمُهْجَةِ ؛ فَكَانَ شَجَاعَةً .

أبو تمام في تفضيل الشَّجَاعَةِ عَلَى السَّخَاءِ :

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِنْسَاءٍ مَقَاتِلُهُمْ مَالٌ وَقَوْمٍ يَنْفِقُونَ نَفُوسًا^(٣)

• • •

(١) ديوان الحماسة لأبي تمام ١ : ١٨٩ - بصرح التبريري ، والنقل : الحسن والصنف .

(٢) ديوان الحماسة - بصرح التبريري ١ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٢ : ٢٦٧

قيل لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى : أتجد في الخصوص ما يدل على تفضيل على عليه السلام ؛ بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه ؛ فإن ذلك أمر مفروغ منه ؟ فذكر حديث الطائر المشوي^(١) ؛ وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب . فقيل له : قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا ؛ فهل تجد غير ذلك ؟ قال : نعم قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَانٌ مَرصُوعُونَ ﴾ ، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثيروت البنيان الموصوفين ، فكل من زاد ثباته ؛ زادت المحبة له ؛ ومعلوم أن علياً عليه السلام ما فر في زحف قط ، وفر غيرُه في غير موطن .

• • •

وقال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتابِ / في حده الحدة بين الجلد والقص^(٢)
بيضُ الصفايحِ لأسودِ الصغائفِ في / متوهمين جلاء الشك والريب^(٣)
والعلمُ في شهبِ الأرماعِ لامة / بين الغيبين لافي السهبة الشهب^(٤)

وقال أبو الطيب المتنبي :

حق رجعته وأقلأى قوائلي : المجد لسيف ليس الجد للقلم^(٥)

(١) يعبر إلى ما رواه الترمذي في باب الثواب (١٣ : ١٢٠) ، بسنده عن أنس بن مالك ، وافظه : « كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال : اللهم اني بأحب خلقك إليك ؛ يأكل مني هذا الطير . فجاء على فأكل منه . وانظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٧ »

(٢) ديوانه ١ : ٤٥ ؛ من قصيدة يمدح بها للمصم باقه ؛ ويدكر دج عمورية ، وكان الحسنون قد حكموا أن للمصم لا يفتح عمورية ؛ وراسلته الروم بأن يمد في كتبنا أنه لا يفتح . مدبنتنا إلا ولت إدراك الذين والضب ؛ وبيننا وبين ذلك الوقت شهر يحملك من انقام فيها الثلج والبرد ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها فتحمها ، فأبطل ما قالوا .

(٣) الصغائف : جمع صفيحة ؛ وهي الحديد العريضة ؛ وقال لسيف العريض كفتك .

(٤) يرد على المنجيين ما حكموا به ؛ لأن الطير كان قتل حكمهم . وبينى بشهب الأرماع أستها ، وبينى بالسبة الصهب الطوالع التي أرضها زحل وأدنتها لقمر .

(٥) ديوانه ٤ : ١٥٩

اَسْكُتْ بِنَا اَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَاِنَّمَا نَحْنُ لِلْاَسْيَافِ كَالْخَلَدِ
اَسْمَعْنِي وَدَوَانِي مَا اَعْرَضْتُ بِهِ فَاِنْ عَقَلْتُ فِدَايَ قِلَّةُ الْقَهْمِ
مَنْ اَقْتَضَى بِسُوءِ الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ اُجَابُ كُلَّ سَوَالٍ عَنْ «هَلِ» بِأَمِّ

•••

قال عطاء بن محمد الألوخي :

أَمْكَابِدَ الزُّفَرَاتِ مَوْصِدَةً تَقْدَحُ حُوفَ الْقَطْعِ بِالشَّلَلِ
مَرْفُءَ هُمُومِكَ تَفْتَدِبُ هِمَمًا فَالشُّكْرُ بِمُعِيبِ نَشْوَةِ الشُّمْلِ
وَلَيْلِيَةِ الْهِلَادِ مَفْرَحَةً تُنْسِي الْحَوَامِلَ أَشْهُوَ الْحَبْلِ
يَرِي فِي الْهِلَادِ تَخْوِضَهَا بَلْجًا فَالْذَّرُّ لَيْسَ يُصَابُ فِي الْوَشْلِ^(١)
وَاجْتَمَلَ لَصُورَتِكَ الظُّبَا سَكَنًا وَالْذُّورُ أَكْوَارًا عَلَى الْإِبْلِ
وَالْعَيْشُ وَالْوَطَنُ الْمَهْدُ فِي غَرَمِ الْحَمَامِ وَغَارِبِ الْجَلِ
وَاشْدُدْ عَلَيْكَ وَخُذْ إِلَيْكَ وَدَعْ حَسَةَ الْحَمُولِ وَفَرَّةَ الْكَلِ
وَارْزُقِ الْمُدَاةَ بِكُلِّ صَائِبَةٍ مَا الرَّمْيُ مَوْقُوفًا عَلَى نَعْلِ^(٢)
لَا تَحْسَبِ النُّكَبَاتِ مَنَصَّةً قَدْ يُسْتَجَادُ السَّيْفُ بِالْعَلَلِ

•••

وقال عروة بن الورد :

لَحَا أَفَّهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَهُهُ مُصَانِي لُشَّاشٍ آفَا كُلَّ تَجْزَرِ^(٣)

(١) الوشل : لاء القليل .

(٢) نعل : أبو حمى من طيء ، اشتهر بالرمي .

(٣) ديوانه ٩٣ (من ديوان الشعراء الخمسة) . الصغْلوك : الفير ، والمصاني : من الصلاة ؛ وهي الاختيار والملازمة . والشاش : العلم المكنى بصفه ، والمحرر : موضع نحر الإبل .

بِمَدِّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ ۖ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مَيَّسٍ (١)
يَقَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا ۖ يَحْتِ الْخَصَا مِنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرُ (٢)
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ ۖ وَيُمَيِّ طَلِيحًا كَالْبَحْرِ الْمَحْصَرُ (٣)
وَلَكِنْ صُلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ ۖ كَصَوِّهِ شِهَابِ الْقَابِيسِ لِلتَّنَوُّرِ
مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَرْجُرُونَهُ ۖ بِسَاحَتِهِمْ رَحَى اللَّيْبِيعِ الشَّهْرُ (٤)
وَأِنْ تَعَمَّدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ۖ تَشَوَّفُ أَهْلَ الْعَائِبِ الْمُتَنَظِّرُ (٥)
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى لِلْيَيْسَةِ بِتَقْهَرٍ ۖ حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَمِرُّ يَوْمًا فَأَجْدِرُ

• • •

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِمَوْلَى سَوْدَةَ أَدْعَى طَا ۖ فَلَنْ لَوَاتِ الْأُمُورَ مَوَالِيَا (١)
وَسَيَانُ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى ۖ كَهَمُضِ رَجَالٍ يُوطِنُونَ الْخَازِيَا
وَلَنْ يَحِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعِدَا ۖ أَدْعَى لِقَا عَدُوِّ أَدْعَى وَاهِيَا
وَأَنْ نَحَارِي بَابِنَ غَمٍّ مُخَالِفُ ۖ نَجَارَ لَتَائِمِ هَابِي مِنْ وَرَائِيَا (٢)
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي ۖ وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا نَكْرَاهَا ۖ حِرَاضِ الْمَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا (٣)

• • •

- (١) الميسر : الذي قد تلج إليه مكثر خيره ؛ يقول : من صعد ذلك الصلوك أنه إذا أصاب القري في كل ليلة من صديق غني ؛ عد ذلك لنفسه غنى وخيرا .
(٢) يحت الخصا : يهرك ، والناعس : الذي يأتي عليه الصباح وهو ناعس لحوله وانحطاط همته .
(٣) المير الطليح : المي ؛ وكذلك المحصر .
(٤) أمل على أعدائه : أوى عليهم . وللبيح والسبيح والرجد : قداح لا أنصاء لها ، وإنما يكثر بها الصباح ليس تبال أبدا ، وترجر حالا بعد حال ، تشبه الصلوك به (من شرح التبريزي) .
(٥) الهويان : « فإن يمدوا يأمنون اقترابه » .
(٦) لطرفة الجدعي ، ديوان الحماسة بعصر التبريزي ١ : ٣٨٩ ، مع اختلاف في الرواية ومرتبة الأبيات
(٧) التجار : الأصل .
(٨) الملووق : الناقة التي ترام ولدها وطعمه حتى يأس بها ، فإذا أراد ارتضاع اللبن منها ضربته وطرده .

نهار بن تومعة في يزيد بن المهلب :

وَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ أَمِيرٍ كَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ يَزِيدٍ
فَأَخْطَأَ قَلْبًا فِيهِ وَقَدْ مَأَى رَهْدُنَا فِي مَعَاثِرَةِ الرَّهِيدِ
إِذَا لَمْ يَمِطْنَا نَصْفًا أَمِيرٌ مَشِينًا نَحْوَهُ مَشَى الْأَسُودِ

• • •

كان هذبة الشكري - وهو ابن عم شوذب الخارجي الشكري - شجاعا مقداما، وكان ابن عمه بسطام الملقب شوذبا الخارج في خلافة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك، فأرسل إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا لحاربه، فانكشفت الخوارج، وثبت هذبة وأبى الفرار، قتال حتى قُتل، فقال أبو بربك بن خولى يرثيه :

فَيَا هُذْبَ لِلْبَيْجَا وَيَا هُذْبَ لِلنَّدَى وَيَا هُذْبَ لِلْخَصَمِ الْأَلَدِ يُحَارِبُهُ (١)
وَيَا هُذْبَ كَمْ مِنْ مَلْعَمٍ قَدْ أَجَبْتَهُ وَقَدْ أَكَلَتْهُ لِلرَّمَاكِ كَتَائِبُهُ (٢)
تَرَوَّدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ دِرْعًا وَمِعْمَرًا وَهَضَبًا حُسَامًا لَمْ تَحْصُكْ مَضَارِبُهُ (٣)
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاكِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَى وَافَى الرُّبُشِ حُجْنٌ مَحَالِبُهُ (٤)

• • •

كانت وصايا إبراهيم الإمام وكتبه ترد إلى أبي مسلم بخراسان : إن استعظمت إلا تدع بخراسان أحدا يحكم بالعربية إلا وفقتك فاعمل، وأتما غلام بلغ خمسة أشهر تشبه

(١) الأبيات مع ذكر الخبر مفصلا في تاريخ الصبري ٢ : ١٣٧٦ - ١٣٧٨ (طبع أوروبا).

(٢) اللعن : الذي أسر وظهر به أعداؤه ، وق ج : « ملجم » تصحيف .

(٣) الطبري : « تروود . . . لم تحنه » .

(٤) أجرد ، من وصف القرس ، والجرد قصر شعر الجلد به ، وهو من الأوصاف اليهودية . المرأة : الظهر ، ومحبوك المرأة ، أي شديد الخلق . حجن غلبه ، يريد سفرا ، والحجن . الامواج .

فاقتله ؛ وعليك بمُضَر ؛ فإنهم المدوون القريب الدار ، فأبذ خَصْرَاءَهُمْ^(١) ، ولا تدع على الأرض منهم دياراً .

• • •

قال المتنبي :

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُوَافِقَ عَلَى جَوَارِبِهِ اللَّهُمَّ^(٢)
وله :

وَمَنْ حَرَفَ الْأَهَامَ مَغْرِقِي رِيَا وَيَا نَاسِي رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاجِمٍ^(٣)
فَلَيْسَ يَسْرَحُومٍ إِذَا حَفِرُوا وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَأْسٌ
وقال المتنبي أيضاً :

رِدِّي حَيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسِي وَالطَّرِيقَ حَيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ^(٤)
إِنْ لَمْ أَدْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِنَةً فَلَا دُعَيْتُ ابْنَ أُمِّ التَّجْدِ وَالكَرِيمِ

• • •

ومن أمانة الصميم قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ البساحلي أمير خراسان وما وراء النهر ؛ لم يصنع أحدٌ صبيحة في فتح بلاد الترك ، وكان^(٥) الوليد بن عبد الملك أراد أن يزرع أخاه سليمان بن عبد الملك من العهد بعده ، ويحمله في ابنه عبد العزيز بن الوليد ، فأجابه إلى ذلك قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ وجماعة من الأمراء ، فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك ، وقام سليمان بالأمر بعده — وكان

(١) في الأساس : أناد الله خصراءهم ، أي شجرتهم لئلا يترعوا منها

(٢) ديوانه ٤ : ١٢٥

(٣) ديوانه ٤ : ١١٢

(٤) ديوانه ٤ : ٤٣

(٥) الظهري (حوادث سنة ٩١) .

قتيبة أشد الناس في أمر سليمان وجميعه عن العهد - علم أنه سيمر له عن خراسان ويوليها يزيد بن المهلب ، فودع كان بينه وبين سليمان ، فكتب قتيبة إليه كتابا يهنئه بالخلافة ، ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك وللوليد بعده ، وأنه على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بتوحيه وآثاره ، ونكايته في الترك ، وعظم قدره عند ملوكهم ، وهيبته المعمر والعرب له وعظم صيته فيهم ، وبذل آل المهلب ، ويحلف له بالله : أن استعمل يزيد بن المهلب على خراسان ليخلصه ، وليلأتمها عليه خيلا ورجلا ، وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان ، وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهلة يتق به ، وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده ، فقرأ الكتاب ثم دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثاني ، فإن قرأه وألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث ؛ وإن قرأ الكتاب الأول ولم يدعه إلى يزيد ؛ فاحتبس الكتابين الآخرين معك .

فقدِم الرسول على سليمان ، ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب الأول ، فقرأ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الكتاب الثاني ، فقرأه وألقاه إلى يزيد أيضا ، فدفع إليه الكتاب الثالث ، فقرأه وتغير لونه وطواه ، وأمسكه بيده ، وأمر بإنزال الرسول وإكرامه ، ثم أحضره ليلا ، ودفع إليه جائزته ، وأعطاه عهد قتيبة على خراسان ، وكان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليطمئن ثم يمر له ، وبعث مع رسوله رسولا ، فلما كان بمحلوان بلبه خلع قتيبة سليمان بن عبد الملك ، فرجع رسول سليمان إليه ، فلما اختلفت العرب على قتيبة حين أبدى صفحته لسليمان ، رحل ربة الطماعة ، بايعوا وكيع بن أبي سود التميمي على إمارة خراسان ، وكانت أمراء القبل قد تفكرت قتيبة لإذلاله بإمام ، واستهافتهم واحتطالتهم عليهم ، وكرهوا إمارته ، فكانت بيعة وكيع في أول الأمر

مرأً ، ثم ظهر قتيبة أمره ، فأرسل إليه بدعوه ، فوجده قد طلاً رجله بمغرة^(١) وعلق في عنقه خرزاً ، وعنده رجلان يرتقيان رجله ، فقال للرسول : قد ترى ما يرجلي أفرجع وأخبر قتيبة ، فأعاده إليه ، فقال : قل له ليأتيني محملاً ، قال : لا أستطيع . فقال قتيبة لصاحب شرطته : انطلق إلى وكيع فأتني به ؛ فإن أبي فاضرب عنقه ، وأتني برأسه ، ووجهه معه خيلاً . فقال وكيع لصاحب الشرطة : البث قليلاً تلحق للكثائب ، وقام فلبس سلاحه ، ونادى في الناس فأتوه ، فخرج خلفاه رجل ، فقال : ممن أنت ؟ فقال : من بني أسد ، فقال : ما اسمك ؟ فقال خيرغام ، فقال : ابن من ؟ قال : ابن ليث ، فحين به وأعطاه رايته ، وأتاه الناس أرسالاً من كل وجه ، فتقدم بهم ، وهو يقول :

فَرَمَّ إِذَا تُحْمَلُ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ^(٢)

واجتمع إلى قتيبة أهله وقاتله ، وأكثم^(٣) العرب أنفسهم له وقلوبهم عليه . فأمر قتيبة رجلاً فنادى : أين بنو عامر ؟ وقد كان قتيبة جفام في أيام سلطانه . فقال له بجفر^(٤) ابن حزم الكلبي : نادهم حيث وضعهم ، فقال قتيبة : أشدكم لله والرحيم . وذلك لأن باهله وطامراً من قيس عيلان . فقال بجفر : أنت قطعتمها ، قال : فلكم العتي ، فقال بجفر : لا أقالنا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُصُولِ الْعِيشِ أَقْرَانًا

ثم دعا^(٥) يبرذون له مدرب^(٥) ليركبه ، فجعل يمنة الركوب حتى أحميا . فلما رأى ذلك

(١) المغرة : عين حجر .

(٢) البث في اللسان ١٥ : ٢١ ، من غير نسبة . القرم : السيد . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تعرف على البطن . والحزيم : موضع الحرام من الصدر والظهر كله .

(٣) في الطبري : ٥ محصى .

(٤) في الطبري : ٥ ودعا مائة ، وكانت أمه بنت بها إليه : فاعتم بها ، وكان يتم بها والشائد ، ودعا يبرذون

(٥) العرب : للزود التي ألف الركوب وهوود المعى .

عاد إلى سريره فجلس ، وقال : دعوه ؛ فإن هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيان النبطي - وهو يومئذ أمير الموالي ، وعدتهم سبعة آلاف ، وكان واجدا على قتيبة - فقال له عبد الله بن مسلم أخو قتيبة : احمل يا حيان ، فقال : لم يأن بعد ، فقال له : ناولني قوسك ، فقال حيان : ليس هذا بيوم قوس . ثم قال حيان لابنه : إذ رأيتني قد حولت قلنسوتي ، ومضيت نحو عسكر وكيع فيل بمن معك من العجم إلى ، فما حول حيان قلنسوته ومضى نحو عسكر وكيع ، مالت الموالي معه بأشرها ، فبغت قتيبة أحياه صالح بن مسلم إلى الناس ، فرماه رجل من بني حنيفة فأصاب رأسه ، فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضعه على مصلاه ، وجلس عند رأسه ساعة ، وتهايج الناس ، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبة نحوهم ، فرماه الموغا وأهل السوق فقتلوه ، وأشير على قتيبة بالانصراف ، فقال : للوث أهون من الفرار . وأحرق وكيع موصفا كانت فيه إبل قتيبة ودوابه ، وزحف بمن معه حتى دأبته ، فقاتل دونه رجل من أهله قتالا شديدا ، فقال له قتيبة : ارجع بنفسك ، فإن مثلك يضن به عن القتل ، قال : بشما جزيتك به أيها الأمير إذا ، وقد أطمعتني الجرذق ، وألبستني الثمرق^(١) . وتقدم للناس حتى بلعوا فسطاط قتيبة ، فأشار عليه نصحاؤه بالحرب ، فقال : إذا لست لمسلم بن عمرو ثم خرج إليهم بسيفه يقاتلهم ، فجرح جراحات كثيرة ، حتى ارتث^(٢) وسقط ، فأكبوا عليه ، فاحترقوا رأسه ، وقتل معه من أخوته عبد الرحمن ، وعبد الله وصالح ، والحصين ، وعبد الكريم ، ومسلم ؛ وقتل معه جماعة من أهله وعدة من قتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلا . وصعد وكيع بن أبي سود المنبر وأشد :

• مَنْ يَنْكِحِ الْمَيْمَنَ بِكَ نَيْكًا •^(٣)

(١) الجرذق : الرغبة ، مغرب طرسية : كرهه . والتمرق : اللينة .

(٢) ارتث ، مالبس للجهول : حمل من الحركة جريحا وبه رمق .

(٣) مثل ؛ قاله خضر بن شبل الخنص ، في خبر ذكره صاحب مجمع الأمثال ٢ : ٣٠٥

إِنَّ قَتِيْبَةَ أَرَادَ قَتْلِي ، وَأَنَا قَتَلْتُ الْأَقْرَانَ ، ثُمَّ أَشَدُّ :

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غَلَوَتَيْنِ وَمِنْ أَلْيَتَيْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبَّيُونِي خَلُّوا عَنِّي ثُمَّ سَبَّيُونِي^(١)
حَذَارِ مِنِّي وَتَسْكَبُونِي فَإِنِّي رَاِمٌ لِمَنْ يَوْمِي

ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ ، يَكْرُرُهَا مَرَارًا ، ثُمَّ قَالَ :

أَنَا ابْنُ خَنْدِيفٍ تَنْمِيْنِي قَبَائِلُهَا الصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عَيْلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ بِلَعْبَتِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَا قَتْلَنَ ثُمَّ لَا قَتْلَنَ وَلَا أَصْلَبَنَ ثُمَّ لَا أَصْلَبَنَ ؛ إِنْ مَرَّرُ بَأَنَكُمْ^(٢)
هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ ، قَدْ أَغْلَى أَسْعَارَكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَتُنَّ لَمْ يَصِرْ الْقَفِيرُ^(٣) بَارِئَةً دِرَاهِمَ لِأَصْلَبَتِهِ ،
صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ .

ثُمَّ نَزَلَ وَطَلَبَ رَأْسَ قَتِيْبَةَ وَخَاتَمَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْأَرْدَ أَخَذَتْهُ ؛ فَخَرَجَ مُشْهَرًا^(٤) ،
وَقَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أَوْتِيَ بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَذْهَبَ رَأْسِي مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ
الْحُصَيْنُ بْنُ النَّذَرِ : يَا أَبَا مَطْرَفٍ فَإِنَّكَ تَوْتِي بِهِ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَرْدَ ، فَأَخَذَ الرَّأْسَ وَأَتَاهُ
بِهِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخِلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ رَعُوسُ إِخْوَتِهِ وَأَهْلُهُ ، وَعِنْدَهُ الْهَذِيلُ
ابْنُ زُقَرِّ بْنِ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ ، فَقَالَ : أَسَاءَ لَكَ هَذَا يَا هَذِيلُ ؟ قَالَ : لَوْ سَاءَ لِي لَسَاءَ نَاسًا كَثِيرًا .
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا أَرَدْتَ هَذَا كُلَّهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ سُلَيْمَانُ ذَلِكَ لِلْهَذِيلِ ، لِأَنَّ قَيْسَ عَيْلَانَ يَجْمَعُ
رِجَالًا وَبَاهِلَةً ، قَالُوا : مَا وَلَّى خُرَاسَانَ أَحَدٌ كَقَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلَمٍ ؛ وَلَوْ كَانَتْ بَاهِلَةٌ فِي الدَّهَادَةِ
وَالضَّمَّةِ وَالزُّومِ إِلَى أَقْصَى غَايَةِ ، لَكَانَ لَهَا بِقَتِيْبَةَ الْفَخْرُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ .

(١) أَسَفُهُ فِي الْغَايَةِ ، يُقَالُ : سَبَّابُ الْغَايَةِ ، إِذَا بَرَكَهَا تَذَنُّبٌ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ :

حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبَّيُونِي خَلُّوا عَنِّي وَتَسْكَبُونِي

وَانْظُرْ أَمَالَ الْقَالِ ١ : ٢٨٦

(٢) لِلزُّوزِيَةِ : رِيسَةُ الْفَرَسِ ، وَهُوَ صِدْرَانِمْ .

(٣) الطَّبَرِيُّ : « وَاقْتُ لِيَصِيرَ الْقَفِيرُ فِي السُّوْلِ مَعَا بَارِئَةً » .

(٤) أَيْ مَشْهُرًا سَبِيحًا .

قال رؤساء خراسان من العجم لما قُتِل قتيبة : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ، والله لو كان مِنّا ثم مات لجلعناه في تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا .

وقال الأصمعي^(١) : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب ، لقد جثم شيئا إذا قيل له : أيهما كان أعظم عندكم وأغيب ؟ قال : لو كان قتيبة بأقصى حُجْرَةٍ^(٢) في المغرب ، مكبلا بالحديد والقيود ، ويزيد معنا في بلدنا وآل علينا ، لكان قتيبة أغيب في صدورنا وأعظم .

وقال عبد الرحمن بن جحانة الباهلي برئى قتيبة :

كَانَ أَمَا حَفْصُ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ بِمِشْرِ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَقُلْ مِشْرًا
وَلَمْ تَحْمِقِ الرَّايَاتُ وَالْجَيْشُ حَوْلَهُ صُفُوفًا وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عُسْرًا
دَعَتْهُ الْمَنَابِتُ فَاسْتَجَابَ لِرَأْسِهَا وَرَاحَ إِلَى الْجَنَاتِ حَقًّا مُطَهَّرًا
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ عَمْدِهِ بِمِثْلِ أَبِي حَفْصٍ ، قَبْكَمِ عِبْرًا
عَنْهُ : أُمٌّ وَلَدَهُ .

وفي الحديث الصحيح : « إن من خير الناس رجلاً ممسكاً بطن فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هَيْبَةً^(٣) طار إليها » .

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد : واعلم أن عليك حيوناً من الله ترثه لو تركك ، فإذا لقيت العدو ؛ فاحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تفعل الشهداء من دماهم ؛ فإن دم الشهيد يكون له نوراً يوم القيامة .

(١) الأصمعي في الفيل : كالأمير في العرب .

(٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الهبة : الصوت أو الصياح .

عمر : لا تزالون أمعاء ما تزعمون ونزوتهم ؛ يريد : ما تزعمون في^(١) القوس ، ونزوتهم على الخيل .

بعض الظوارج :

وَمَنْ يَحْشَ أَظْفَارَ النَّسَاءِ فَإِنَّا
لَبِئْسَ لهنَّ السَّابِغَاتِ مِنَ الصَّبْرِ
وإنَّ كَرِيهَةً لِلوُثِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ
إذا ما مزجناه بطوبى من الله كَرِهَ
حض منصور بن مختار في قصصه على النزو والجهاد ، فطرحَتْ في المجلس صُرَّةَ فيها
شيء ، فَفُتِحَتْ فإذا فيها صغيرتا امرأة ، وقد كتبت : رأيتك يا ابن مختار محض على الجهاد ،
ووالله إني لا أملك لنفسي مالا ، ولا أملك سوى صغيرتي هاتين ، وقد ألقيتهما إليك ،
فخاله إلا جعلتهما قيد فرس غازي في سبيل الله فلعن الله أن يرسمي بذلك .
فارتج المجلس بالبكاء والصبحيح

لبعض شعراء المعجم :

وَأَسْوَأُ تَأْ لَأْمَرِي شَيْبَتُهُ
فِي حُنُفَوَانِي وَمَاؤُهُ خَضِيلُ ١
رَاضٍ بِبَزْرِ الْعَاشِ مُضْطَمَدٍ
عَلَى تَرَاتِيِ الْآبَاءِ يَفْكَلُ
لَا حَفَظَ اللَّهُ ذَاكَ مِنْ رَجُلٍ
وَلَا رَعَاهُ مَا أَطَتْ الْإِبِلُ
كَلَّا وَرَبِّي حَتَّى تَكُونَ قَتَى
قَدْ نَهَكَهُ الْأَسْفَارُ وَالرُّحْلُ
مُسْتَمِرًّا يَطْلُبُ الرِّيَاسَةَ أَوْ
يُضْرَبُ يَوْمًا يَهْنِكُ لِلثَّلِ
حَتَّى مَتَى تَتَّبِعُ الرُّجَالَ وَلَا
تُتَّبَعُ يَوْمًا ، لَأَمْكُ الْهَبْلُ ١

• • •

(١) يقال : نزع في القوس نزعاً ، إذا جذب الرمز بالسهم .

عبد الله بن ثعلبة الأزدي :

قَلْبِي تَحِيرْتُ لِأَشْفِيهِ^(١) الْفَسْ مِنْ تِلْكَ الْمَاعِي
وَلَأَعْلِيَنَّ الْبَطْنُ أَنْ^(٢) الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
أَمَّا النَّهَارُ فَهَذَا أَرَى قَوْمِي بِمَرْقَبَةٍ^(٣) بَقَاعِ
فِي قَرَّةٍ هَلَكَةٍ وَشَوْءٍ لِكَيْ مِثْلِ أَنْيَابِ الْأَفَاعِي^(٤)
تَرِدُ السَّاعُ مَعِي فَتَحْسِبُنِي السَّاعُ مِنَ السَّاعِ

• • •

محير الجراد أبو حنبل حارثة بن مرة الطائي ، أجازَ حراداً زل به ومنعَ مِنْ صيده ،
حق طار من أرضه ، فسقى محيرَ الجرادِ .

وقال هلال بن معاوية الطائي :

وَبِالْجُهْلَيْنِ لَنَا مَمْلُوكٌ صَدَدْنَا إِلَيْهِ بِصُومِ الصَّامِدِ
مَلَكَكُنَا فِي أَوَّلِيَّاتِ الزَّمَانِ نَمِينُ قَبْلِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ حَادِ
وَمِنَّا ابْنُ مَرْءٍ أَبُو حَنْبَلٍ أَجَارَ مِنَ النَّاسِ رَجُلَ الْجَرَادِ
وَزَيْدٌ لَنَا وَلَنَا حَاتِمٌ ضِيَاثُ الْوَرَى فِي السَّنِينَ الشَّدَادِ

• • •

وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَعْنَا فَحَالَعْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّخْرِ^(١)
فَمَا أَسْلَمْتَنَا حِينَئِذٍ يَوْمَ كَرِيهِهِ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَثَرِهِ

(١) البقاع : التل .

(٢) ما يصيب الإنسان من البرد .

(٣) ديوان الحماسة ٣٢٦ - بصرح المروزقي .

وقال آخر :

أرى لأرحام أراها قربة
لحار بن كعب لا لجرم ورأسه^(١)
وإنا نرى أقدامنا في نعلهم
وآفنا بين اللقي والمواجب
واقدامنا يوم الوغى وإيادنا
إذا ما أبينا لا ندر لمصيب



حاصرت الترك مدينة برذعة من أعمال أذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصارا شديدا ، واستضعفتها وكادت تملكها ، وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشي من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة ، وعلم الترك بقربه منهم تخافوا ، وأرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل برذعة يسرا يعرفهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر خوفا ألا يدركهم ، فإر الرجل ، ولحق قوم من الترك ، فأخذوه وسألوه عن حاله ، فكتمهم فمذبوه ، فأخبرهم وصدقهم فقالوا : إن فعلت ما يأمر بك به أطلقناك ، وإلا قتلناك ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : أنت عارف بأصحابك برذعة وهم يعرفونك ، فإذا وصلت تحت السور فدأهم : إنه ليس حلفي مدد ، ولا من يكشف ما بينكم ، وإنما بهمت جاسوسا . فأجابهم إلى ذلك ، فلما صار تحت سورها ، وقف حيث يسمع أهلها كلامه ، وقال لهم : أنصرفوني ؟ قالوا : نعم ، أنت فلان ابن فلان ، قال : فإني سعيد الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف ، وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد ، وهو مصبحكم أو ممسيكم ، فرفع أهل برذعة أصواتهم بالتكبير ، وقتلت الترك ذلك الرجل ، ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين .

وقال الراجز :

مَنْ كَانَ بِبُيُوتِ أَهْلِهِ فَلَا رَجْعَ قَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ

(١) ديوان الخاتمة ١ : ٣٢٨ بصرح للرزولي ، ونسبها إلى بشر بن عيسى .

أشرف معاوية يوما فرأى عسكرا على عليه السلام يصفين فهما ، فقال : مَنْ طلب
عقلها خاطر بمظلمته .

وقال الكلبية :

إذا المرء لم يعش المكاره أوشكت بحال الموفى بالحق أن تقطعا^(١)

• • •

ومن شعر الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعا من الأبطال وتمك لا تراعى^(٢)
فلبك لو سألت بهاء يوم على الأجل الذي لك لم تطامى
فصبأ في مجال الموت صبأ فما تهل الخلود عتطاع
ولا توب البقاء بثوب من فيطوى عن أخى الخنع اليراع^(٣)
سبيل الموت غاية كل حي فداعى لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط بئام ويهزم وتلجئة اللون إلى اقطاع
وما للمرء خير في حياة إذا ماكد من سقط المتاع

ومنه أيضا :

وفي الشر نحاة حين لا ينجيك إحسان

ومنه أيضا :

ولم ندر إن جئنا عن الموت جيئة كم العمر باق والدى متطاول^(٤)

(١) الفضليات ٣٢

(٢) لفرى بن الصجاء - ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ١ : ٩٦

(٣) أخو الخنع : القليل . واليراع : الرجل الجبان ؛ كأنه لا قلب له ؛ تدبها له بالقصة الجرواء .

(٤) لقصد الزماني ، ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ١ : ٢٦

(٥) لجعفر بن عتبة الحارثي ، ديوان الحماسة - بصرح التبريزي ١ : ٤٨ . جئنا : عدنا وانخرنا .

ومنه أيضا :

وَلَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرٍّ
يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا^(١)
ومنه أيضا :

فَلَا نَحْسَى أَنِّي تَحَشَّيْتُ بَعْدَكُمْ
وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزِدُّهَا وَعِيدُكُمْ^(٢)
وَلَا أَنِّي بِالشَّيْءِ فِي الْقَيْدِ أُخْرَقُ
ومنه أيضا :

مَأْغِيلٌ عَلَى الْمَارِّ بِالسَّيْفِ جَالِبًا
وَأَذْهَلٌ عَنْ دَارِي وَأَجْمَلٌ هَدْمًا
وَيَصْفُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَبَهْتُ
فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْفَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا
أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُطِيعُ عَلَى الَّذِي
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَةً
فَمَا لَرِ زَامٍ رَشَعُوا بِي مُقَدَّمًا
إِذَا هَمَّ لَمْ تُرَدِّعْ عَزِيمَةً هَمَّ
وَلَمْ يَسْتَشِيرْ فِي أَمْرِهِ عَيْرٌ فِيهِ
ومنه أيضا :

مَهَا خُطْبًا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ
وَأَمَادٌ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ^(٣)

(١) لجحر بن عتبة أيضا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٥٠ .
(٢) له أيضا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٥٤ . (٣) وق الشرح : وروى «وعيدكم»
(٤) لسعد بن ناصب ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٧٠ .
(٥) لتأبط شرا ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٧٨ .

ومنه أيضا :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَيْنَاهُ هَامِرٌ وَسَّوْلٌ^(١)
يُخَصِّرُ حُبَّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ فَطَوْلُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّى أَفْنَاهُ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَبِيلُ
نَسِيلُ عَلَى حَدِّ الْفُلْبَانَةِ قَوْمُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الشُّيُوفِ نَسِيلُ

ومنه أيضا :

لَا يَزِ كُنَّا حِدًّا إِلَى الْإِحْبَامِ يَوْمَ الْوَهَى مُتَخَوِّفًا لِحَامِ^(٢)
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً مِنْ عَن يَمْنَى ثَارَةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا يَحْدُرُ مِنْ دَمِي أَكْثَفَ سَرَجِي أَوْ هِنَانٍ يُلَامِي
نَمْ أَنْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصْبْتُ وَلَمْ أَصْبْ جَدَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ

ومنه أيضا :

وَأَنِّي لَدَى الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ قَتْلِ لَا أَرِيدُ قَضَاءَهَا^(٣)
مَنْ بَاتَ هَذَا اللَّوْثَ لَا تُلْفَ حَاجَةً لِلْفَيْسِ إِلَّا قَدْ قَصَبْتُ قَضَاءَهَا

•••

كتب هبذ الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كتابا ، يُجِلُّ على جملٍ
لِعِظَمِهِ وَكَثْرَتِهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الطَّوْلِ إِلَى هَذِهِ النَّيَاةِ ، وَقَدْ يُجِلُّ عَلَى جَمَلٍ تَعْظِيَا
لَأَمْرِهِ ، وَقَالَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ : إِنَّ قَرَأَهُ خَالِيَا نَحِبَ^(٤) قَلْبِهِ ، وَإِنْ قَرَأَهُ فِي مَلَا مِنْ

(١) لِسَمُودٍ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِمَشْرِحِ التَّجْرِيزِ ١ : ١١١

(٢) نَظَرِي بْنِ التَّجَاعَةِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِمَشْرِحِ التَّجْرِيزِ ١ : ١٣٠

(٣) الْفَيْسُ بْنُ الْحَطِيمِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ - بِمَشْرِحِ التَّجْرِيزِ ١ : ١٨١

(٤) نَحِبٌ : جَبَنٌ .

أصحابه ثبطهم وخذلهم ، فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه ، وكتب على يماض
كان على رأسه وأعادته إلى مروان :

تَحَا السَّيْفُ اسْطَلَزَ الْبَلَاغَةَ وَانْتَهَتْ^(١) إِلَيْكَ لِيُوثُ الْقَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٢)
فَإِنْ تَقْدُمُوا نُعْمِلْ سِيوفًا شَحِيذَةً^(٣) يَهْوَنُ عَلَيْهَا الْعَثْبُ مِنْ كُلِّ طَائِفٍ^(٤)
ويقال : إن أول الكتاب كان : لو أراد الله بالشملة صلاحها ، لما أبت لها جناحا .
وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار ، وهو أول كتاب صدر عن أبي مسلم إلى نصر ،
وذلك حين لبس السواد ، وأعلن بدعوة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة :
أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِخْدَىٰ الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا رَادُّهُمْ إِلَّا نَقُورًا •
أَسْكَبُوا فِي الْأَرْضِ مَكْرًا سَيِّئًا وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَىٰ • قُلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٥)
فلما ورد الكتاب إلى نصر تماطله أمره ، وكثر له إحدى عينيه ، وقال : إن لهذا
الكتاب لأخوات ، وكتب إلى مروان يستصرخه ، وإلى يزيد بن هبيرة يستنجده ،
فقدما عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بني عبد شمس .

• • •

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى :

سَأَمْنِي قُلْتِي لَا عَيْبَ فِيهَا وَإِنْ لَمْ أُسْتَفِدْ إِلَّا عَنْهُ^(١)

(١) انصت : قصدت .

(٢) شحينة : منقوشة .

(٣) سورة طه ١٢ ، ١٣ .

(٤) ديوانه لوحة ٧٥ - ٧٦ .

وَأُطْلِبُ غَايَةً إِنْ طَوَّحْتُ بِي أَصَابَتْ بِي الْحَمَامُ أَوْ الْقَلَاءُ
تَنَازِي مِنْ أَبْرِ الْعَصِمِ آيٍ^(١) أَفَاضَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبَاءِ
وَمِنَّا كُلِّ أَغْلَبٍ مُتَعَبٍ إِذَا أَنْتَ لَدَدْتَهُ بِالْقُلِّ قَاءُ^(٢)
إِذَا مَاضِيٍّ تَمَرَّ صَفَحَتَيْهِ وَقَامَ عَلَى بَرَائِيهِ إِبَاءُ^(٣)
وَنَابِي أَنْ يُنَالِ النُّفْثَ مِنَّا وَأَنْ نُطْلَى مَقَارِعُنَا السَّوَاءُ
وَلَوْ كَانَ الْعِدَاءُ يَسُوعُ فَبِذَا كَمَا تُنْمَا الْوَرَى إِلَّا الْعَدَاءُ
وَهُ :

سَيُطِمْطِكُ الْمَهْدُ مَاضِيٍّ وَيُطِمْطِكُ لِلنُّفْثِ . أَنشَاءُ^(٤)
وَمَا يَنْبَغِي مِنَ الْفَرَاتِ إِلَّا طِيَّانٌ أَوْ ضِرَابٌ أَوْ رِمَاءُ

ومن أهل الإباء الذين كرهوا الدنيا واختاروا عليها للذة ، عبد الله بن الزبير ،
تفرق عنه - لما حاربه الحجاج بمكة ، وحصره في الحرم - فأتاه أصحابه ، فخرج كثير منهم إلى
الحجاج في الأمان ؛ حتى حمزة وخبیب ابناه ، فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبي بكر
الصديق ، وكانت قد كُفَّ بصرها ، وهي مجرزة كبيرة ، فقال لها : خذاني الناس حتى
ولدي وأهلي ، ولم يبق مني إلا من ليس عنده من الدَّفْعِ أكثر من ساعة ، والقوم يطعونني
من الدنيا ما سألت ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك
على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قُتِلَ أكثر أصحابك ، فلا تمسكن من رقبته
بتلاعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فليس العبد أنت ! أهلك

(١) الديوان : د نام .

(٢) الأغلب : الشجاع ، وأصله في الأسد .

(٣) المصحات : جانا المعنى ، ونمرها - جعلها يشبهان صفة النمر .

(٤) ديوانه لوحة ١٧٦

نفسك ، وأهلك من قُتل معك ، وإن كنت قاتلت على الحق ، فما وهن أصحابك إلا ضعف ، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك في الدنيا ! القتل أحسن .

فدنا عبد الله منها فقتل رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ، والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله تعالى عز وجل أن تستعمل محارمه ، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فقد زدتني بصيرة ، فانظري يا أماء ، إني مقتول بومي هذا ، فلا يشتد جزعك ، وسئلي لأمر الله ، فإن ابنك لم يتمم إتيان مسكر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يظلم مسلماً ولا معاهداً ، ولا يلفظ ظلم من عامل من تحتاي فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شيء عندي آثراً من رضا الله . اللهم إني لأقول هذا تركية لنفسى ، أنت أعلم بي ؛ ولكني أقوله تمرية لأمي لتسلو عني . قالت : إني لأرجو من الله أن يكون حزاني عليك حسناً إن تقدمتني ؛ فأخرج لأنظر إلى ماذا يصير أمرك ؛ فقال : جرت لك الله خيراً يا أمي ، فلا تدعي الدعاء لي حياً وميتاً . قالت : لا أدعه أبداً ، فمن قُتل على باطلٍ فقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النعيب في الظلماء ، وذلك الصوم في هواجر مكة والمدينة ، وبرّه بأبيه وبي ؛ اللهم إني قد أسدت لأمرك ، ورضيت بما قضيت فيه ، فأثبني عليه ثواب الصابرين .

وقد روي في قصة عبد الله مع أمه أسماء رواية أخرى ، أنه لما دخل عليها وعليه الذرع واليفغر - وهي عياء لا تبصر - وقف فلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها ، قالت : هذا وداع فلا تبعد ، فقال : نعم ، إنما جئت موذعاً ، إني لأرى هذا اليوم آخر أيامي من الدنيا ، وأعلى يأتي أني إذا قتلت فإنما أنا لم لا يضرني ما صنع لي ، فقالت : صدقت يا بني ! أقم على بصيرتك ، ولا تمكن ابن أبي عتيل منك ، ادن مني لأودعك ، فدنا منها فقبلته

وعاقته ، فوجدت مسّ الدرع ، فقالت : ما هذا صنع من يريد ما تريد ، فقال : إنما لبسته لأشدّ منك ، قالت : إنه لا يشدّ مني ، ثم انصرف عنها ، وهو يقول :

إني إذا أعرفُ بؤمى أصبرُ إذ بعضهم يعرف ثم ينكرُ

وأقام أهل الشام على كل باب من أبواب الحرم^(١) رجالاً وقائداً ، فكان لأهل حص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبه ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب ججع ، ولأهل قنشرين باب بنى ستم . وخرج ابن الزبير فمرة يحمل هاهنا ومرة يحمل هاهنا ، وكأنه أسد لا يقدم عليه الرجال ، وأرسلت إليه زوجته : أخرج فأقاتل معك ؟ فقال : لا ، وأنشد :

كُتِبَ القتل والقتال هلياً . وعلى لخصنات جرّ الذبول^(٢)

فلما كان الليل ، قام يصلي إلى قريب السحر ثم ألقى بحائل سيفه ، ثم قام فتوسأ وصلى ، وفرأ (ن وَالْقَمَرِ وَمَا يَبْطَرُونَ) ، ثم قال بعد انقضاء صلاته : من كان معي سائلاً فإني في الرحيل الأول ، ثم أنشد :

وَلَسْتُ بمبتاع الحياة بسنة ولا مرتقٍ من خشية الموت سلماً^(٣)

ثم حمل حتى بلغ الحصون ، فرمى بأحرّة ، فأصابته وجهه فدمى ، فلما وجد سغونة الدم يسيل على وجهه ، أنشد :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَغْصَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَفْدَانِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا^(٤)

ثم حمل على أهل الشام فحاص فيهم ، واعتوروه بأسياقهم حتى سقط ، وجاء الحجاج

(١) كذا في ح ، وهو المواب ، وفي ب : « مكة »

(٢) ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ، مطهر ديوانه ٤٩٨ .

(٣) للحصين بن الحمام الرقي ، من مفصلته ص ٦٤ - ٦٩

فوقف عليه وهو ميت ، ومعه طارق بن عمرو ، فقال : ما ولدت النساء أذكرك من هذا !
وبعث برأسه إلى المدينة ، فنُصب بها ، ثم حل إلى عبد الملك .

أبو الطيب اللثبي :

أطاعينُ خَيْلاً مِنْ قَوَارِيهَا الدُّهْرُ	وحيداً وما قولي كذا وَمِى الصَّبْرُ ^(١)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلُّ يَوْمٍ سَلَامِي	وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا	تقول : أَمَاتَ لِلْوَتِ أَمْ ذَعِرَ الدُّعْرُ ^(٢)
وَأَقْدَمْتُ إِهْدَامَ الْأَيْ كَأَنِّي	يَوْمِي مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي مِنْهَا وَتَرُ ^(٣)
ذَرْتُ النَّفْسَ تَأْخُذُ حَطَّهَا قَبْلَ يَبْنِهَا	فَفَتَرْتُ جَارَانَ دَارَهَا الْعَمْرُ ^(٤)
وَلَا تَحْبِنُ لِلْجَدِّ زَيْناً وَفَيْتَةً	فَالْهَدَى إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبِكْرُ ^(٥)
وَتَضْرِبُ هَامَاتٍ لِللُّوكِ وَأَنْ تَرْمِي	لَكَ الْهَيَوَاتُ السُّودُ وَالْعُكْرُ الْبَجْرُ ^(٦)
وَتَرْكُوكَ فِي الدُّنْيَا دَوْباً كَأَنَّمَا	تَدَاوَلَ تَمَسَّحُ الْمَرْءِ أَسْمَلُهُ الْعَشْرُ ^(٧)

وقال ابن حيوس :

وَلَسْتُ كَمَنْ أَخْنَى عَلَيْهِ زَمَانُهُ	فَظُلَّ عَلَى أَحْدَائِهِ يَحْتَبُ ^(١)
تَلَذُّ لَهُ الشُّكْرَى وَإِنْ لَمْ يُفِدْ بِهَا	صَلَاحاً كَمَا يَلْتَذُّ بِأَلْطَفِ أَجْرَبِ ^(٢)
وَلَسْتُ كَمَنْ أَحْمَى ذِمَارِي بِمَزْمَةٍ	تَنْوِبُ مِنْابِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مَقْضَبُ ^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٤٨

(٢) في الديوان : « إقدام الآتي » ، والآتي : السبل التي لا يردده شيء .

(٣) القية : اللينة . والزنق : طرف الحُر . والفتكة السكر : التي لم يسبق إلى مثلها .

(٤) الهَيَوَات : جمع هَيوة ؛ وهي العيرة الخلية . والمهر : الجيش العظيم .

(٥) ديوانه ١ : ٣٥ .

(٦) اللثبي : السيف المطاع .

وليس الفتى من لم نسم جسمه الغلبا ويُحتمل فيه من قنا انخطأ أكرم^(١)
وله أيضا :

أخفق الترف الجنوح إلى الغلـض وقاز الخاطر القدام^(٢)
وإذا ما الشيوف لم تشهد الحر بـ فتيان صادم وكهـام



ومن تقتل مذاهب الأسلاف في إباء الضيم وكرهية القتل ، واختار القتل على ذلك
وأن يموت كريما ؛ أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ،
أمه أم ولد ، وكان السبب في خروجه وحلمه طاعة بني مروان ، أنه كان يخاف من عبد الله بن
حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في صدقات علي عليه السلام ، هذا
بخاف من بني حسين ، وهذا عن بني حسن ؛ فتنبأ يوما عند خالد بن عبد الملك بن
الحارث بن الحكم أمير المدينة ، فأغضب كل واحد منهما لصاحبه ، فمر خالد بن عبد الملك
بذلك ، وأعجبه سبابهما ، وقال لهما حين سكما : أغدوا علي ، فليست بدين عبد الملك إن
لم أقبل بينكما غدا ، فباتت المدينة تنزل كالبرجل ، فن قاتل يقول : قال زيد كذا ،
وقاتل يقول : قال عبد الله كذا ، فلما كان المد جلس خالد في المسجد ، وجمع الناس ؛ فن
بين شامت ، ومموم ، ودعا بهما وهو يحب أن يتشاعا ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد :
لا تعجل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن حاصمك إلى خالد أبدا ، ثم أقبل على خالد ،
فقال له : أجمت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر
ولا عمر ، فقال خالد : أما لهذا السفيه أحد بكلمه !

فحكهم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم ، فقال : يا ابن أبي تراب ، ويا ابن

(١) الديوان : نسم جسمه .

(٢) ديوانه ٢ : ٥٦٦ .

حسين السفيه ! أما ترى عليك لوالٍ حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيها القعطاني ، فإننا لا نجيب مثلك ، فقال الأنصاري : ولم ترغب عني ! فوالله إني خير منك ، وأبي خير من أبيك ، وأمي خير من أمك ! فضاحك زيد ، وقال : يا معشر قریش ! هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فتكلم عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فقال : كذبت أيها القعطاني ، والله لهمو خير منك قسا وأباؤاها وتحتيداً ، وتناوله بكلام كثير ، وأخذ كفاً من الحما ، فضرب به الأرض ، وقال : إنه والله مالدأ على هذا من صبر ، وقام .

فقام زيد أيضاً ، وشخص من فوره إلى هشام بن عبدالله ، فجعل هشام لا يأذنه وزيد يرفع إليه القمص ، وكفارفع إليه قصة كتب هشام في أسفليها : ارجع إلى أرضك ، فيقول زيد : والله لا أرجع إلى ابن الحارث أبداً . ثم أذن له بمد حبسٍ طويل وهشام في حليته ، فرقى زيد إليها ، وقد أمر هشام خادما له أن يتبعه حيث لا يراه زيد ، ويسمع ما يقول . فصعد زيد - وكان بادنا - فوقف في بعض الدرجة ، فسمعه الخادم ، وهو يقول : ما أحب الحياة إلا من ذل ! فأخبر الخادم هشاماً بذلك ، فلما قصد زيد بين يدي هشام وحده حلف له على شيء ، فقال هشام : لا صدقك ، فقال زيد : إن الله لا يرفع أحداً من أن يرضى بالله ، ولم يضع أحداً من أن يرضى بذلك منه . قال له هشام : إنه بلنفي أنك تذكر الخلافة وتسميها ، ولست هناك ! لأنك ابن أمة ، فقال زيد : إن لك جواباً ، قال : تكلم ، قال : إنه ليس أحد أذلي بالله ، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه ! وهو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو بن أمة ، قد اختاره الله لنبوته ، وأخرج منه خير البشر ، فقال هشام : فما يصنع أخوك البقرة ! فنضب زيد ، حتى كاد يخرج من إهابه ، ثم قال : سماء رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقرة ! لشدما اختلافنا ! لتخالفته في الآخرة ، كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة ، وترد النار .

فقال هشام : خذُوا بيد هذا الأحق المائق ، فأخرجوه ، فأخذ الملمان بيده فأقاموه ، فقال هشام : احيوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله ، فقال زيد : والله لن حملتني إليه لأجتمع أما وانت حيين ، ولبيوتن الأجل ميت . فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ، ومعه نفر يسير ، حتى طردوه عن حدود الشام ، فلما فارقوه عدل إلى العراق ، ودخل الكوفة ، وبايع لنفسه ، فأعطاه البيعة أكثر أهلها ، والعامل عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكوز في كتب التواريخ . وخذل أهل الكوفة زيدا ، وتخلف معه ثمن تاسع فرسير ، وأبلى بنفسه بلاء حسناً وجهاداً عظيماً ، حتى أناه سهم غرب^(١) ، فأصاب جانب حنثه اليسرى ، فثبت في دماغه فحين نزع منه مات عليه السلام .



حنث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام زيدا لما خرج ، وحذره القتل ، وقال له : إن أهل العراق خذلوا أباك علياً وحسنا وحينما عليهم السلام ؛ وإليك مقتول ، وإنهم لخاذلك ، فلم يئن ذلك عزمه وتمثل .

بَكَرَتْ نَحْوُفِي الْحُتُوفِ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْرِزِ^(٢)
فَاجِبَتُهَا إِنَّ لِلنِّيَةِ مَنَهِلٌ لَا بُدَّ أَنْ أَشْقَى بِذَلِكَ الْمَنَهِلِ
إِنْ لِلنِّيَةِ لَوْ تَمَثَّلَ مَثَلْتُ مِثْلِي ، إِذَا زَلُّوا بِصَيِّقِ الزَّلِيلِ^(٣)
فَأَقْنَى حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَى أَيْ أَمَرُوا سَامُوتَ إِنَّ لَمْ أَقْتَلِ^(٤)



(١) سهم غرب ، على الإصافة : لا يدري راحته .
(٢) لحنزة ، ديوانه ٤٢ ، (من مجموعة القصد الثمين)
(٣) في الديوان : « ضحك الزل » .
(٤) اقنى حياءك : الزميه .

المولى البصرى صاحب الزيج يقول :

وَإِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي
مَوْتُ لِّلْوَكِّ عَلَى صُعُودِ النَّبَرِ
مَا قَدْ قَفَسَ سَيِّكُونُ فَاصْطَبِرِي
وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ

وقال أيضا :

إِنِّي وَقَوْمِي فِي أَنْسَابِ قَوْمِيهِمْ
كَجِدِّ الْخَلِيفِ فِي مُحْبُوحَةِ الْخَلِيفِ
مَاعَلَقَ السِّيفُ مِنَّا بَابَ عَائِشَةَ
إِلَّا وَهَرَّتْهُ أَمْغَى مِنَ السِّيفِ

بعض الظالمين :

وَإِنَّا لَتَصِيحُ أَسْبَابُنَا
إِذَا مَا التُّضَيُّعِ يَوْمَ سَفْوِكَ
مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَرْكَفِ
وَأَخْبَادُهُنَّ رُمُوسُ لِّلْوَكِّ

بعض الخوارج يصف أصحابه :

وَهُمُ الْأَسْوَدُ لَدَى التَّرِينِ بَسَالَةٌ
يَمْحُضُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الدِّمَا
فَكُلَّمَا أَعْدَاوُهُمْ أَحْبَابُهُمْ
فَرَحًا إِذَا خَطَرَ الْفِتَا الْخَطَارُ
يَرِدُونَ حَوَامَاتِ الْجَاهِمِ وَأَنْهَا
تَأْكُلُ عِنْدَ قَوْمِيهِمْ لَصِيفَارُ
وَلَقَدْ مَضَوْا وَأَنَا الْحَبِيبُ إِلَيْهِمْ
وَهُمْ هِيَ أَحَبُّهُ أَبْرَارُ
قَدَرْتُ يَخْلُقَنِي وَتُضَيِّعُهُمْ بِهِ
بِالْهَفِّ كَيْفَ يَفُوتُنِي الْقَدَارُ

وفي الحديث للرفوع « خُلِقْنَا بِحُبِّهِمَا اللَّهُ : الشَّجَاعَةُ وَالسَّخَاءُ » .

• • •

كان يشر بن العنبر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل علي عليه السلام

ويقول : كان أشجعهم وأسقام ، ومنه سرى القول بالتفضيل إلى أصحابنا البغداديين قاطبة ، وفي كثير من البصريين .

دخل النضر بن راشد المبدى على امرأته في حرب الترك بخراسان في ولاية الجديد ابن عبد الرحمن الرضى في خلافة هشام بن عبد الملك ، والناس يفتلون ، فقال لها : كيف تكونين إذا أتيتى في لبدي فتيلا مضرجا بالدماء ؟ فتفت جيبها ، ودعت بالويل ، فقال : حسبك الواحوت قلى كل أنثى لمصبتها شوقا إلى الجنة . ثم خرج فقاتل حتى قتل ، وحمل إلى امرأته في لبدي ودمه يقطر من حلاله .

• • •

قال أبو الطيب النضى :

إِذَا قَامَرْتُ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ الشُّجُومِ^(١)
فَطَمُ لُوتٍ فِي أَمْرِ حَضِيرٍ كَطَمُ لُوتٍ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
يَرَى الْجَبَنَاءُ أَنَّ الْجَبْنَ سَعَزَمَ وَتِلْكَ خَيْرُ بَيْتِ الطُّبَعِ النَّثِيمِ
وَكُلَّ شُعَامَةٍ فِي الرُّءُوسِ وَلَا مِثْلَ الشُّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

وقال :

إِذَا لَمْ تَحِذْ مَا يَسْتُرُ الْعُمَرَ فَاعْدَا فَمَنْ وَأَطْلَبِ النُّى ، الِذِى يَنْتُرُ الْعُمَرَ^(٢)

وقال :

أَهْمُ شَيْءٍ وَالْيَأَى كَأَهْمَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطْلَرِدُ^(٣)
وَحِيدًا مِنَ الْخِلَآنِ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِذَا عَظُمَ لِلطَّلُوبِ قَلُّ الْمَاعِدِ

• • •

(١) ديوانه ٤ : ١١٩

(٢) ديوانه ٢ : ١١٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٧٠

قيل لأبي مسلم في أيام صباه : نراك تنظر إلى السماء كثيراً كأنك تسترق السمع ،
أو تنتظر نزول الوحي أقال : لا ، ولكن لي مهمة عالية ، ونفس تتطلع إلى معالي الأمور ،
مع عيش كعيش الممتج والرعاة ، وحال متناهية في الاتضاع . قيل : فما الذي يشغى غلتك ،
ويؤوي غلتك ؟ قال : للثك ، قيل : فأطلب الثك ، قال : إن للثك لا يطلب هكذا .
قيل : فما تصنع وأنت تذوب حمراً^(١) ، وتموت كذا أقال : سأجعل بعض عقل جهلاً ،
وأطلب به ما لا يطلب إلا بالجهل ، وأحرس بالباقي ما لا يحرس إلا بالعقل ، فأعيش بين
تدبير خيدين ، فإن الخول أحو المذم ، والشهرة أخت الكون .



قال ابن خيوس :

أَمْوَانُهُمْ بِالْقَدْرِ كَالْأَحْيَاءِ وَلِحَيْثُهمْ فَغَلَّ عَلَى الْأَحْيَاءِ^(٢)
فَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ الْمَرُومِ وَمَوَاسِطُهَا بِالْبَاسِ ظَهَرَ الْمِزَّةُ الْقَمَاءُ
وَالْمِزَّةُ لَا يَنْتَقِي لَنْبَرٍ مَعُودٍ أَنْ يَكْشِفَ الْعَمَاءُ بِالْعَمَاءِ
لَا تَحْتَسِبِ الصَّرَاءُ ضَرَاءَ إِذَا أَفْضَتْ بِصَاحِبِهَا إِلَى الصَّرَاءِ

وقال :

وَمِنْ الرِّيَاسَةِ لَا تَبُوحُ بِسَرِّهَا إِلَّا لِأَزْوَاجٍ لَا يُبَاحُ ذِمَارُهَا^(٣)
يَحْمِي حِمَاةَ قَلْبِهِ وَلِسَانَهُ وَتَدُودُ هَنْبِهِ بِمِيقَةِ وَبَسَارُهُ
لَا الْعِذْلَ نَاهِيَهُ ، وَلَا الْحَرَمُ الَّذِي أَمَرَ الشُّفُوسُ بِشُحِّهَا أَمَارُهُ
فَلْيَعْلَمْ السَّاعِي لِيَبْلُغَ ذَا الْمَدَى أَنَّ الطَّرِيقَ كَثِيرَةٌ أَخْطَارُهُ



(١) يقال حمر عليه حمراً وحمره ، أي تلهف .

(٢) ديوانه ١ : ٢٩٨ - ٢٩٩

(٣) ديوانه ١ : ١٢ - ١٩

كان ثابت قُطْنَة في حيل عبد الله بن سِطَام في فتح شكند من بلاد الترك في أيام هشام بن عبد الملك ، فاشتدَّت شوكة الترك ، وانحار كثير من المسلمين واستؤسروهم خلق ، فقال ثابت : والله لا ينظرُ إلى بنو أمية غداً مشدوداً في الحديد ، أطلب الفداء ؛ اللهم إني كنتُ صيف ابن سِطَام الباردة ، فاحماني ضيفك الليلة ، ثم حمل وحمل معه جماعة ، فكسرتهم الترك ، فرجع أصعاه وثبت هو ، فرمى برذوته فشب ، وضربه فأقدم ، فصريع ثابث وارث ، فقال : اللهم إني استعنت دعوتي وأما الآن ضيفك ، فأجمل قرأى الجنة ؛ فزل تركي فأجهر عليه .

• • •

قال يزيد بن المهلب لابنه حاتم ، وقد أمره على جيش في حرب جرجان : يا بني ، إن غلبت على الحياة فلا تمكِّن على الموت ، ولربما أن أراك غداً عندى مهروماً ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الخير في السيف ، والخير مع السيف ، والخير بالسيف » ، كما يقال : المنية ولا الدنيا ، والدار ولا القمار ، والسيف ولا الخيف . قال سيف بن ذي يزن لأنوشيروان حين أعاده بوهزرز الديلمي ومن معه : أيها الملك ، أن تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفاً ؟ فقال : يا أمراءي ، كثير الحطب يكفيه قليل النار .

• • •

لما حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام خرج أبو العباس السفاح ، وأخوه أبو جعفر ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم الإمام ، وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد أبناء علي بن عبد الله بن العباس ، وعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، من الحميمة من أرض السراة ، يطلبون الكوفة ، وقد كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس وأبوه موسى بن داود بالعراق ، فخرجوا يطلبون الشام ، فلقاها أبو العباس وأهل بيته بدومة الجندل ، فسأله داود عن

خروجهم ، فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهرُوا بها ، ويدْعُوا إلى البيعة
لأبي العباس . فقال : يا أبا العباس ، يظهر أمرُك الآن بالكوفة ، ومروان بن محمد
شيخ بني أمية بمرَّان مُطَّلٌّ على العراق في جيوش أهل الشام والجزيرة ، ويزيد بن عمر
ابن هبيرة شيخ العرب بالعراق في فرسان العرب ! قال : يلعم مَنْ أحب الحياة ذلَّ ،
ثم تمثل بقول الأعشى :

فما مينة إن ميتها غيرةً عاجزٍ بارِ إذا ما غالتِ النفسُ قولها^(١)
فقال داود لابنه موسى : صدقَ ابن عمك ، ارجع بنا معه ، فلما أن هلك
أو نموت كراما .

وكان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحسيَّة يريدون
الكوفة : إن ثلاثة عشر رجلاً أخرجوا من كوارم وأهليهم يطلبون ما طلبنا لمطلبنا^(٢)
همسهم ، كبيرة نفوسهم ، شديدة قلوبهم .

• • •

أبو الطيب المتنبي :

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتَ في مُرادِها الأجسامُ^(٣)

وله :

إلى أيِّ حينِ أنتَ في زِيٍّ مُحَرَّمٍ وَحَقِّي مَتَى في شِفْوَةٍ دَالٍ كَرَامٍ^(٤)
وإلا تَمُتْ مَحْتِ السُّيُوفِ مَكْرُوماً تَمُتْ وتَقاسِي الدَّاءُ غيرَ مُكْرَمٍ
فَيْبُ واتَّقا باللهِ وَثْبَةً مَاجِدٍ يَرَى الموتَ في المِجَاعِ في النُّعْلِ في القَمَرِ

(١) ديوانه ١٢٥ .

(٢) ديوانه ٣ : ٣٤٥ .

(٣) ديوانه ٤ : ٣٣ .

وقال آخر :

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ الرَّجَالِ كَمَا حَدُثْتُ قَتْلَ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
وإن سِلْتُ لَوْ قَتِرَ بَعْدَهُ فَصَى وَكَلَّ شَيْءٌ إِلَى حَسَدٍ وَمِقْدَارٍ

• • •

خطب الحجاج ، فشكا سوء صاحة أهل العراق ، فقام إليه جامع الحارثي ، فقال :
أيها الأمير ، دَعْ ما يباعِدُهم منك إلى ما يقرُّهم إليك ، والنس العافية تمن دونك تَطْمَئِنُّها
من فوقك ، فلو أحْبَبوك لأطاعوك ؛ إِيَّاهم ما شئتوك بنسبك ولا نَبَأوك ، ولكن لإِقْطَاعِكَ
بَعْدَ وَعِيدِكَ ، ووَعِيدِكَ بَعْدَ وَعْدِكَ .

فقال الحجاج : ما أراني أُرِدُّ بنى ^(١) الشكبة إلى طاعتي إلا بالسيف ، فقال جامع :
أيها الأمير ، إنَّ السيف إذا لاقَ السيفَ ذهبَ الخيلار ، فقال الحجاج : الخيلار يومئذٍ ،
فقال : أجل ، ولكنك لا تدري لمن يَحْمِلُهُ اللهُ ، فقال : يا هذا ، إِيَّاهُ فَإِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ ،
فقال جامع :

وَلَمَّحَرَّبٍ سَبِينًا فَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا أَلْقَانَا أَمْسَى مِنَ الْعَطْمِ أَحْمَرًا

• • •

ومن الشعر الجيد في تحسين الإباء والحقية والتخريض على النهوض والحرب وطلب
الملك والرياسة ، قصيدة مُحَارَّةُ اليَمِينِ شاعر للمصريين في فخر الدين توران شاه بن أيوب ،
التي يفرح فيها بالنهوض إلى اليمين ، والاستيلاء على مَلِكِهَا ، وصادفت هذه القصيدة
مَحَلًّا قَابِلًا ، وَمَلِكًا توران شاه اليمين بما هزّت هذه القصيدة من عطفه ، وحركت من
عزمه ، وأولها :

العلمُ مَذَّكَانَ محتاجٌ إلى العلمِ
 وَحَيْثُ حِيلَتْ إِنْ عَامَرْتَ فِي شَرَفِ
 إِنْ الْمَسَالِي عَرُوسٌ غَيْرُ وَاصِلَةٍ
 تَرَى مَسَامِيحَ فَخْرٍ الَّذِينَ تَسْمَعُ مَا
 فَإِنْ أَصَبْتُ فِي حِطِّ الْمَصِيبِ وَإِنْ
 كَمْ تَتْرِكُ الْيَمِينَ فِي الْأَجْفَانِ طَامِئَةً
 وَمَقَلَّةَ الْمَجْدِ عَمَّا عَرِمَ شَاخِصَةً
 فَتَمُكُّ الْمَلِكُ لِلْمَصُورِ سَوَاءَ مَا
 وَاحْتُلِقَ لِنَفْسِكَ أَمْرًا لَا نَصَافِيَّةَ
 وَإِنَّ الشَّيْرِينَ إِنْ لَجَّتْ نَصِيحَتُهُمْ
 وَاعْرِمْ وَصَمَّ فَتَطَالَتْ وَلَدَتْ تَحْتِ
 فَرَبِّ أَمْرِ يَهَابُ النَّاسُ عَابَتُهُ
 فَكَيْفَ إِنْ نَهَضَتْ فَمَا هَمَّتْ بِهِ
 لَا يَدْرُكُ الْمَجْدَ إِلَّا كُلُّ مُقْتَمِرٍ
 لَا يَلْقُضُ الْخَطْوَةَ الْأُولَى بِثَانِيَةٍ
 كَأَنَّ السَّيْفَ أَفْنَاءُ قَتْلِهِمْ
 وَلَمْ يَرَاوُوا لَعْمَانٍ وَلَا عَمْرٍ
 فَمَا تَرُومُ سِوَى قَتْعِ صَوَارِمِهِ
 حَقٌّ كَانَ لِسَانُ السَّيْفِ فِي يَدِهِ
 وَشَفْرَةُ السَّيْفِ نَسْتَفِي عَنِ الْقَلَمِ (١)
 عَزَمَ يَفْرُقُ بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ
 مَا لَمْ تَخْلُقْ رِدَائِيهَا بِنَضْحِ دَمٍ
 أَمْلَأَهُ حَاطَرُ أَفْكَارِي عَلَى قَلْبِي
 أَحْطَاتُ قَصْدَكَ فَاعْذِرْنِي وَلَا تَلُمِ
 إِلَى الْمَوَارِدِ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْقِمَمِ
 فَاتْرَكَ قَمُودَكَ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَقَمِ
 مِنْ الْفَرَاتِ إِلَى مَصْرِ بِلَا سَامِ
 إِلَى سِوَاكَ ، وَأَوْرِي النَّارَ فِي الْعِلْمِ
 لَوْلَا ، فَأَنْتُمْ عَلَى الْعُمَيَّانِ بِالصَّمْعِ
 فَصِيَّةَ لَعَلَّكُمْ أَلَسْنُ الْأُمَمِ
 وَالْأَمْرُ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ يَدِي لِقَمِ
 أَسْدَنْسِرُ مِنْ انْطَلَقَ فِي أَجَمِ
 فِي مَوْجِ مَلْعَطٍ أَوْ فَوْجِ مُصْطَرِمِ
 وَلَا يَفْكَرُ فِي الْمُقْبَى مِنَ الْقَدَمِ
 فِي فَتْحِ مَكَّةَ حَلَّ الْقَتْلِ فِي الْحَرَمِ
 وَلَا الْحُسَيْنَ ذِمَامَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
 بَصَحْكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَابِسَ الْبَهَمِ
 يَرُوي الشَّرِيعَةَ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته فيما يقول الورى لحما على وطم
وقد ترقى إلى أن صار طالعاً من الكواكب بالأنفاس والكظم
وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دمره سيّد الأمم
— كذب ، لم يظهر الدين الحنيف المقدس على الأديان سعى البشر ؛ بل بالتأييد الإلهي ،
والسر الرباني ، صلوات الله وسلامه على القائم به ، والمتعمّل له —

والبدر يبدؤ حلالاً ثم يكشف بالأنوار ما سترته شملة الظلم
والغيث فهو كما قد قيل أوله قطر ومد خراب السد بالمرم
تنمو قوى الشيء بالتدريج إن درفت لطفاً ويقوى شرار النار بالصرم
حاسب ضميرك عن رأي أنك وقل نصيحة وردت من غير منهم
أقسمت ما أنت ممن جُل همهم ما راق من سم أوزق من رعم
وإما أنت مرجو لو أحدهم نبي هذا الدهر تحداً غير منهم
كأنى باليسالى وهى هاتفة قد سمع مع رجال دوسها وعي
وبالعلا كلما لاقتك قائلة أهلا بنبشير آمالي من الرمم



ومن أباة الضيم الذين احتاروا القتل على الأسر ، والموت على الدنية ، مُصنّب بن
الزبير ، كان أمير المراقين من قتل عبده بن الزبير ، وكان قد كسر جيوش عبد الملك
ميرارا ، وأعياء أمره ؛ نخرج إليه من الشام بنفسه ، فليّم في ذلك ، وقيل له : إنك تفرّ
بنفسك وخلافتك ، فقال : إنه لا يقوم لحرب مُصنّب غيرى ؛ هذا أمر يحتاج إلى أن يقوم
به شجاع ذو رأى ، ورتما بعثت شعاعاً ولا رأى له ، أو ذا رأى ولا شعاعاً عنده ،
وأنا بصير بالحرب ، شعاع بالسيف ؛ فلما أجمع على الخروج إلى حرب مُصنّب ، جاءته

امراته حانكة بنت يزيد بن معاوية ، فالترمة ، وبكت لفراره ، وبكى جواربها حولها ،
 فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أبي جهم^(١) اكأنه شاهد هذه الصورة حيث يقول :

إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَنْزِلْ عَزَمُهُ حَصَانٌ عَذِيْبًا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِيْبُهَا
 نَهَقُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ لَهَا حَاقَهُ بَكَتْ قَبْكَى بِمَا عَرَاهَا قَطِيْبُهَا

فسار عبد الملك حتى إذا كان بمسكن من أرض العراق ، وقد دنا منه عسكر
 مصعب ، تقاعد بمصعب أصحابه وقواده وحذلوه ، فقال لابنه عيسى : الحق بمكة فاصح
 بنفسك ، وأخبرحك عبد الله بما صنع أهل العراق بي ، ودعني فإني مقتول ، فقال :
 لا تتحدث نساء قريش أني فررت منك ، ولكن أقاتل دونك حتى تقتل ، فالفرار عار ،
 ولا عار في القتل ، ثم قاتل دونه حتى قُتل . وخفت من يحامي عن مصعب من أهل
 العراق ، وأيقن بالقتل ، فأخذ عبد الملك إليه أخام محمد بن مروان ، فأعطاه الأمان وولاية
 العراقين أبدا مادام حيا ، وأبى ألف درهم صلة ، فأبى وقال : إن متلي لا ينصرف عن هذا
 المكان إلا قالها أو مقتولا ، فشده عليه أهل الشام ورموه بالنبل فأتحموه ، وطمعه زائدة
 ابن قيس بن قدامة السعدي ، ونادى : يا ثارات الحجار افرقع إلى الأرض ، فترى إليه
 عبد الملك بن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه ، وجمه إلى عبد الملك .

لما قيل رأس مصعب إلى عبد الملك بكى وقل : لقد كان أحب الناس إلي وأشدهم
 مودة لي ، ولكن الملك عقيم .

كتب مصعب إلى سَكينة بنت الحسين عليه السلام ، وكانت زوجته لما شغص إلى
 حرب عبد الملك وهي بالكوفة بعد ليال من فرائها :

وكان عزيزاً أن أيتَ ويته حجابٌ قد أصبعتِ مِنِّي على عشرِ

(١) هو كعب بن عبد الرحمن بن أبي جهم .

وأبكاهما والله لعين فاعلى إذا ازددت مثليها فصرت على شهر
وانكى قلبي سبها اليوم أنى أخاف بالآلا نلتقى آخر الدهر
ثم أرسل إليها وأشخصها ، فشهدت معه حرب عبد الملك ، فدخل عايتها يوم قتل ،
وقد نزع ثيابه ثم لبس علالة ، وتوشح بثوب واحد ، وهو محتضن سيفه ، فعلت أنه غير
راجع ، فصاحت : واحزناء عليك يا مصعب ! فالتفت إليها ، وقال : إن كل هذا فى
قلبك ا قالت : وما أحنى أكثر . قال : لو كنت أعلم هذا لكان لى ولك شأن ، ثم
خرج فلم يرجع .

فقال عبد الملك يوما لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فقالوا : قطري ، شبيب ، فلان وفلان ،
قال عبد الملك : بل رجل جمع بين سكية بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، وأمة الحيد
بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، وقلاية ابنة زبائن بن أبي الكلب سيد العرب ، وولى
المراقين خمس سنين ، فأصاب كذا وكذا ألف درهم ، وأعطى الأمان على ذلك كله وعلى
ولايته وماله فأبى ، ومشى بسيفه إلى الموت حتى قتل ، ذاك مصعب بن الزبير ، لا من
قطع الجسور مرة ها هنا ومرة ها هنا

سئل سالم بن عبد الله بن عمر ، أى ابني الزبير أشجع ؟ فقال : كلاهما جاءه الموت ،
وهو ينظر إليه .

لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك أشد :

لقد أزدى الفوارس يوم حنى علما غير مناع للنايع^(١)
ولا فرح بخير إن أتاه ولا هلع من الخلدان لايح
ولا وقافة والخليل تردي ولا حال كأنبوب اليراع

(١) من أبيات نسيها ابن الشجري فى أماليه ٨٥ لك طيلى الموى .

كان ابن ظبيان ، يقول : ما دَيْمْتُ عَلَى شَيْءٍ يَدْعَى عَلَى الْإِلَهِ كَوْنٌ لَنَا حَمَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ رَأْسَ مُصَـبٍ فَسَجَدَ قَتْلُهُ فِي سَجْدَتِهِ ، فَأَكُونُ قَدْ قُتِلْتُ مَيْلَ الْغَرَبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

قال رجل لعبد الله بن ظبيان : بماذا نَحْتَجُّ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا ، وَقَدْ قُتِلْتُ مُصَـبًا ؟
قال : إِنْ تَرُكْتَ احْتِجَّ كُنْتَ أَحْطَبَ مِنْ صَمُصَةَ بْنِ صَوْحَانَ .
كان مصعب لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن علي عليه السلام ، وكيف كان قتله ؟ فجعل عروة ابن المغيرة يحدث عن ذلك ، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قُتَيْبَةَ :
وَإِنَّ الْأُنَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأْسِسُوا فَنَسُوا الْكِرَامَ النَّاسِيَا ^(١)
قال عروة : فعلت أن مصعباً لا يخرى .

لما كان يوم السَّخَةِ ، وَعَسَكَرَ الْحِجَابِ بِإِذْنِ شَيْبٍ ، قَالَ لَهُ النَّاسُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَوْ تَمَحَّيْتُ مِنْ هَذِهِ السَّبْخَةِ ، فَإِنَّهَا مِثْلَةُ الرِّيحِ . قَالَ : مَا تَبْهَوْنِي - وَاللَّهِ - إِلَيْهِ أَنْتُمْ ، وَهَلْ تَرَكْتُ مُصَـبَ لَكْرِيمٍ مَعَرًّا أَمْ أَتَدَّ قَوْلَ الْكَذَّابَةِ :
إِذَا لَرَّهْ لَمْ يَفْشَ الْكَرْبِيَّةُ أَوْ شَكَّتْ جِبَالُ الْهُوْبَنِ بِالْفَقِّ أَنْ تَقَطُّوا ^(٢)

• • •

ورد في أبو الفرج في كتاب " الأغانى " ^(٣) : خطبة عبد الله بن الزبير في قتل مُصَـبٍ برواية هي أنتم عما ذكرناه نحن فيما تقدم ، قال : لما أتى خبرُ المصَّبِ إِلَى مَكَّةَ ، أَضْرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ عَنْ ذِكْرِهِ أَيَّامًا ؛ حَتَّى تَحْدِثَ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنِيرَ فَجَلَسَ عَلَيْهِ مَيْلًا لَا يَحْكُمُ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ وَإِنَّ الْكَاتِبَةَ عَلَى وَجْهِهِ لِهَادِيَةٌ ؛ وَإِنْ

(١) الأغانى ١٨ : ٣٧

(٢) القطليات ٣٢

(٣) الأغانى ١٧ : ١٦٦ (سأسى) ، عيون الأخبار ٢ : ٢٤٠ مع اختلاف في الروايات .

جبيته ليرشع عرفاً، فقال واحد لآخر: والله لا يتكلم ؟ أترأى يهاب العلق ؟ فوالله إنه غلطيب .
فأترأى يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتل المصعب سيد العرب ، فهو يقطع بذلك .
فابتدأ فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، ملك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ،
ويذل من يشاء ؛ ألا إنه لا يذل من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضيقاً ، ولا يعز من
كان الباطل معه ؛ وإن كان ذا عدد وكثرة . ثم قال : أنا أنا خير من العراق ، بلد العذر
والشفاق ، فساءنا ومسرنا ؛ أنا أنا أن مصعباً قتل رحمه الله ؛ فأما الذي أخرجنا من ذلك
فإن لعراق الحميم أذعة ولوعة ، يمجدها تحبته عند المصيبة ، ثم يرعوى ذو الرأي والدين إلى
جهول الصبر . وأما الذي سترنا منه ؛ فإن قتله كان له شهادة ؛ وإن الله جاحل لنا وله في
ذلك الخيرة . ألا إن أهل العراق باعوه بأقل الأثمان وأحسرها ، وأسلموه لإسلام التميم
المخطئة ^(١) قتل ؛ وإن قتل لقد قتل أبوه وحمته وأخوه ^(٢) ، وكانوا الحيار الصالحين ؛
وأما والله ما نموت سحتف آمافنا ، ما نموت إلا قتلاً قتلاً ، وقمصاً ^(٣) قمصاً ، بين قصد ^(٤)
الرماح ، ونحت خلال السيوف ؛ ليس كنا نموت شو مروان ^(٥) ؛ والله ما قتل بهم رجل في
جاهلية ولا إسلام ؛ وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبدد
مملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أحد التميم البطر ، وإن تدبر عنى لا أبكى عليها
بكاء الخريف ^(٦) المنهر . ثم نزل .



- (١) المخطئة ، من قولهم حطم الصبر بالمخطام إذا جملته على أفعه ، والمخطام : ما وضع على أقب العير ليقناده .
(٢) قتل أبوه صداقة بن الربيع يوم الجسل ، قتله عمرو بن جرمور في صلانه بوادي الساج . وحمته
عبد الرحمن بن الموام بن خويلد ، قتل يوم اليرموك وأخوه لندمر بن الإبر قتل يوم الحرة .
(٣) القمص : اللوث السريع ؛ وقال : مات قمصاً ؛ أي أصابه صرعة أو رمية لاث في مكانه .
(٤) القمص : القصة مما يكسر ، وجه قصد .
(٥) كنا في جميع الأصول ، ويرى السيد جاسم أنها « مروان العامر » .
(٦) الخريف : من قصد حقله من الكبر ، وكذلك المنهر .

وقال الطرماع بن حكيم ، وكان يرى رأى الخوارج :

وإني لَمُعْتَادُ جَوَادِي قَادِفٌ به وَيَنْفَسِي الْيَوْمَ إِحْدَى اللَّتَائِفِ ^(١)
لَا كَيْسَ مَالًا أَوْ أَرْبَ إِلَى غَيٍّ مِنْ اللَّهِ يَكْفِي عِدَاةَ الْخَلَائِفِ ^(٢)
فَيَارِبْ إِنْ حَاتَ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ عَلَى شَرْجَعٍ يُمَلِّي بِخُنُوفِ الْمَظَارِفِ ^(٣)
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلِهِ بِجَوْءِ السَّمَاءِ فِي نَسْرِ حَوَا كَيْفِ
وَأَمْسِي شَهِيدًا ثَارِيًا فِي عِصَابَةِ يُصَابُونَ فِي فَيْجٍ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
فَوَارِسُ أَخْتَاتٍ يُولَفُ بَيْنَهُمْ هُدَى اللَّهِ تَزَالُونَ حَيْثُ الْوَاقِفِ

قال ابن شبرمة : مررت يوماً في بعض شوارع الكوفة ، فإذا بنفش حوله رجال ،
وعليه مطرف غزأ أحضر ، فسألت عنه فقيل : الطرماع ، فقلت أن الله تعالى لم يستحب له .

وقال محمد بن هاني :

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعْدٍ فَمَنْ كَانَ أَسَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا ^(١)
وَالْمَلَمَةُ الْعِلَاءُ تَرُقُّ إِلَى الْمُسْلَا فَمَنْ كَانَ أَعْلَى مِمَّنْ كَانَ أَظْهَرًا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخُّرًا

الرضي اللوسوي رحمه الله تعالى :

وَمَنْ أَخَّرَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ عَاجِرًا وَمَنْ قَدَّمَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيِّدًا ^(٢)

(١) ديوانه ١٥٥ والأمان ١٤: ١٤ ، والسر والشراء ٧٠ والفود : غيب السوق ؟ هو من أمام .

(٢) الخلائف : جمع خيلة ؟ وهو السلطان .

(٣) الشرجع : النش . وفي اللسان : « إذا مرض إلى حات » .

(٤) ديوانه ٣٩٢

(٥) ديوانه ١٢٧ (طبعة نخب الأخبار) .

وله رحمه الله :

مَأْمُقَانِي عَلَى الْبَهَّانِ وَعَيْنِي مَفْسُولَ صَارِمٍ وَأَنْفُ حَمِيٍّ^(١)
وَأَبَا مَخْلُوقِي عَنِ الضَّيِّمِ كَمَا زَاغَ طَائِرٌ وَخَشِيٍّ^(٢)
أَبُو الطَّيِّبِ الْقَتَّانِي :

تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبَهُ تَجِدِي مِثْلَ^(٣)
مَحَبٍّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مَرْهَمَاتِهِ وَالْحَدْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنْ الْعَقْلِ^(٤)
وَالسُّتْرِ عَنْ ثَمَرِ الْقَاعِ عَيْنِي حَتَّى أَجِبَانِي وَأَطْرَافَهَا رُسُلِي
عَدِمْتُ فَوَادًا لَمْ يَبْتَ فِيهِ فَصْلَةٌ لَمَسِيرِ ثَلَاثِ الْمَرَّةِ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَسَالِي رَحِيمَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِمْرِ النَّجْلِ

ابن الهبتارية : الهمم العلية ، والمهيج الأبية ، تقرب القية ، منك أو الأمنية .

• • •

أبو تمام :

فَقَى النَّسَكَاتِ مَنْ بَأْوَى إِذَا مَا قَطَنَ بِهِ إِلَى خُلُقٍ وَمَسَاجٍ^(١)
بَشِيرٌ عَجَاجَةٌ فِي كُلِّ فَجْرٍ يَسِيمُ بِهَا عَدِيَّ بْنَ الرَّقَّاعِ^(٢)
يَخْتَوِضُ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى لَتَعْيِبُهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ^(٣)

(١) ديوانه ٥٤٦ (مجلعة نضة الأخبار) . (٢) ديوانه ٣ : ٢٨٩ مع اختلاف في الرواية .

(٣) البيض : النساء . والرمجات : السيوف .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٣٦ .

(٥) بغير إلى ما ذكره عدي بن الرقاع في حار وأنان :

يَتَنَازَعَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةً فِي الْأَرْضِ مَنْشُوءَاهَا نَسْجَاهَا

نَطْوَى إِذَا قَرَّمَا بِلَادَا حَزَنَةً وَإِذَا أَصَابَا سَهْلَةً نَشْرَاهَا

(٦) رواية الديوان : • أين مع السباع الماء حتى • .

قَلْبُ الْعَزْمِ إِنْ حَاوَلَتْ يَوْمًا بَأْسُ تَنْطِيعِ غَيْرِ السَّطَاعِ
فَلَمْ تَرَ كَبْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارِ وَلَمْ تَرَ كِبْ هُمُومِكَ كَالْزُمَاعِ
وله أيضا :

إِنْ خَيْرًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ الْعُفْعِ عَنْ النَّائِبَاتِ وَالْإِغْمَاضِ^(١)
غُرْبَةً تَفْتُلِي بِرَبِّهِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُصَاضٍ^(٢)
غَرَضِي تَكْبِتِي مَا قَتَلَا رَأَى بَا لِحَفَا عَلَيْهِ تَكْتُتُ انْقِضَاضِ
مَنْ أَبَى السُّيُوتَ أَصْبَحَ فِي تَوْبِ بِي مِنَ الْعَبَثِ لَيْسَ بِالْمُضَاضِ^(٣)
صَلَتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حُورَا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُتَقَاضِ^(٤)
وَالْفَقَى مَنْ تَمَرَّتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَالِ ، كَالْحَيَّةِ النَّضَاضِ^(٥)
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ يَصْرِفُ اللَّيَالِي فَتَشْكُو مِثْلُ فَتَشْكُو الْبِرَاضِ^(٦)
وله أيضا :

إِنْ تَرَبَّيْتُ تَرَبَّى خُسَامًا مَقْبُولًا قَشْرَةً هِيَ مِنَ الشَّيْثَانِ الْجَدَادِ
ثَانِي اللَّيْلِ ثَالِثُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ بِرِ تَدِيمِ التَّجُومِ تَرَبَّى الشَّهَادِ
أَخَذَ هَذَا الْإِظْفَ أَبُو عُمَادَةَ الْبَحْرِي فَقَالَ :

يَا مَدِينِي بِالسَّوَاغِيرِ مِنْ تَمْسِ بْنِ عَمْرِو وَتَحْتَرِ بْنِ عَتُودِ^(٧)

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٩

(٢) قيس بن زهير البجلي ؟ بعد حربه ذبيان تغل و اللاد ؟ وفي آخر عمره لقبه رجل فساله عن خبره
فاما علم أنه قاتل حديجة ورجل ابنى بدر قتله . واخبرني بن مضاف المرحوم ، كان رئيسا فلكه أيام كان بها
قومه ، ويقال : إن حراجه أجلتهم عنها ؟ وهو القائل :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَيْسُ وَلَمْ يَنْتَمِرْ عَمَكَةَ سَامِرُ

(٣) يقال : أبى بالموضع إذا أقام به .

(٤) الصلتان : اللامى في أسره .

(٥) الحية الضعيف : التي لا تستقر في مكان . تمرته ليالي . أحدث ما عليه من العزم .

(٦) الدرام بن قيس البكائي ، قتل عمروة الرجال في غير حرب ، فحدثك حرب النجاريين قيس وكنانة .

(٧) ديوانه ١ : ٥٠٢ . وفي الديوان : « ودين من »

اعطيا ثالثاً سوى فإني رابع العيس والله حي والبيد
لست بأحازر الضعيف ولا الفا ثل يوماً إن الفنى بالحدود
وإذا استصعبت مقادة أسرى سهلتها أبدى المهارى القود

وقال الرضى رحمه الله تعالى :

ولم أرَ كالرجاء اليوم شيئاً تدلُّ له الجسام والرقاب^(١)
وتنصُّ العدم مأثرة وفخرٌ ونقصٌ للمال منقصة وعابٌ
تتأني والعتان إذا ثبت في ربأ أرضٍ ، ويرحلي والركابُ
وقد عرفت توفلي القبالى كما عرفت توفلي القباب^(٢)
لأمتنع جأياً وأغيد هراً وغير الموت ماعز الجباب
إذا هول دحاك فلا شهة فلم يهني للذين أبوا وهابوا
كليب عافسته يد وأودى عتبة يوم أقمصة ذواب^(٣)
سواء من أقل الثرب منا ومن وارى معارمه التراب
وإن مزابل العيش اغتباطاً سكر للذين تقوا وشابوا
وأولنا العناء إذا طلمنا إلى الدنيا ، وآخرنا الدهاب
إلى كم ذا التردد فى الأمانى وكم يلوى بناظري السراب
ولا تقع يثار ولا قتام ولا طعن بشب ولا يضراب

(١) ديوانه لوحة ٧٩

(٢) التوفل : الممود . والمقاب : جمع عقة ؛ وهي للرضى الصبغ فى الحبل ونحوه

(٣) طافسته : صرخته ، وكليب هو كليب وائل ، وأراد باليد حساس بين مرة الذى قتله . وأودى : هلك . وعتبة هو ابن الحارث بن شهاب كان فارس بين نعيم قتله ذواب بين ديمة الأسدى . وأقمصة : قتله فلا مريباً

وَلَا خَيْلٌ مُنْقَدَةٌ النَّوَاصِي يَمْوجُّ عَلَى شَكَايِمِهَا الْأَعَابُ
هَلَبَهَا كُلُّ مُتَلَهَّبِ الْخَوَاصِي يُصِيبُ مِنَ الْمَدُورِ وَلَا يُصَابُ
سَاخِطُهَا بِحَذِّ السَّيْفِ فَيَلَا إِذَا لَمْ يَنْفُ قَوْلٌ أَوْ خِطَابُ
وَأَخَذُهَا وَإِنْ رَعِمَتْ أَنْوَفُ مَنَابِلُهُ وَإِنْ ذَلَّتْ رِقَابُ



قعد سليمان بن عبد الملك بغير ض و بغير ض ، فأقبل فتى من بنى عيس وسيم ، فأهجمه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ، وجعل بغير ض لمن دونه ، فلم التفتي أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا علمت اسمك ، ولا شئني اسمي ^{بـ} يوافق اسمك ^{بـ} فأعرض ، وإنما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن أمرتني أطيعت ، وسهمي كمانتك ، أشد إن أريدت ، وأشد حيث وجهت . فقال سليمان ، وهو يروزه ^(١) ويحتره : ما قولك يا فتى ، لو لقيت هدوا ؟ قال : أقول : حسبى الله ونعم الوكيل . قال سليمان : أ كنت مكثفياً بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد ؟ قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ما أنت قاتل فأخبرتني ، ولو سألتني : ما أنت فاعل لأبائك ؛ إنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يعمق ؛ ولطمنت بالرمح حتى يفتصف ، ولعلت إن أليت فإنهم يألمون ، ولرجوت من الله ما لا يرجون . فأهجم سليمان به وألحقه في العطاء بالأشراف ، وتمثل :

إِذَا مَا اتَّيْتُ اللَّهَ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَهْلِهِ كَلًّا فَقَدْ كَمَلَ الْفَتَى

السرة تحت قوله : « ثم لم يكن على أهله كلاً » ، يقال في المثل : « لا تكن كلاً على
أهلك قهلك » .

عدي بن زيد :

قَهْلٌ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَمَلْ بِالْمَوْتِ بِالنَّاسِ عَارًا^(١)

• • •

الرضى الموصوفى رحمه الله تعالى :

إِذَا لَمْ يَسْكُنْ إِلَّا الْحَسَامُ فَإِنِّي سَاكِرٌ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ الْقَوَائِمِ^(٢)
وَالْبُسْهَاءِ سَحَاءٍ تَضْفُو ذُبُولَهَا مِنْ الدَّمِ بُمْدَأٍ عَنْ لِبَاسِ اللَّالِيمِ
فَعِنَ قَبْلُ مَا اخْتَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ حَيْثُ عَلَى شَرَفٍ عَالٍ وَفِيعِ الدَّعَائِمِ
فَطَارَ ذَمِيماً قَدْ تَقَسَّدَ عَارَهَا بِشَرِّ حَنَاجٍ يَوْمَ دَهْرِ الْحَاجِمِ^(٣)
وَجَاءَهُمْ يَجْرِي الْبَرِيدُ بِرَأْسِهِ وَلَمْ يَمِنْ لَيْسَالٌ بِهِ فِي الْمَزَائِمِ
وَقَدْ حَاصَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلِّ حَيْصَةٍ فَمِ بَيْجٍ وَالْأَفْدَارُ حُرْبَةٌ لَا زِمَ^(٤)
وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ نَافَرَتْ بِهِ الْقُلُ أَمْرَاقُ الْجُدُودِ الْأَكَارِمِ^(٥)
فَقَالَ وَقَدْ عَنِ الْفِرَارِ أَوْ الرَّدَى لَهَا إِنَّهُ أَخْزَى ذُكْرَةٍ فِي الْمَوَاسِمِ
وَمَا غَمَرَاتُ اللَّوْتِ إِلَّا انْمِاسَةً وَلَا ذِي النَّبَا غَيْرُ تَهْوِيمٍ فَالْمَمِ

(١) شعراء النصرانية ١٥٦

(٢) ديوانه لائحة ١١٠

(٣) وقعة دير الجماجم كانت بين الحجاج الثقفي وصد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، انتهت بمقتل ابن الأشعث سنة ٨٣

(٤) حاس ، أى حاد وذهب بعيدا .

(٥) يزيد بن المهلب من أبي صبرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادما ، قتله يزيد بن عبد الملك في خيبر مشهور سنة ١٠٢

رأى أن هذا السيف أهونُ حملًا
 وما قلَّ البيضُ للبايرِ عنقه
 فماف الدنايا امتلأ الموت شاعها
 وقد حلت خوف الهوان بمصيب
 على حين أعطوه الأمان فساه
 وفي خذره غراه من آل طلحة
 تمجَّب أيام الحياء وإنها
 فقار قمسا والملأ لمارآها
 ولما ألح الخوف قرآن من الردى
 وغادرها شماء إن ذكركم له
 كذلك من بعد الفرار أمية
 وسل لاسل الحسام ابن مسمر
 بردد ذكرى كل تجدي وعائير
 وهددى الأعداء في المهدي لمحين
 وعندي يوم لو يزيد وسلم
 على المزممت لا مينة مستكينة
 وخاطر على الجلى خطارا بن حرم
 من العار يبقى وسه في الخاطم
 سوى الخوف من تقليدها بالأديم
 بمارت عز لا يذل الخاطم
 قوادم آباء حكرام للقادم
 وخير فاحتر الردى غير ناديم
 علاقة قلب للنديم المخالم^(١)
 لأعذب من طم الخلود لطام
 بجران إذلال النفوس للكرام
 حذاء المغازي رشح قبس بن حاسم
 بين العار طاطار رأس خزيان واجم
 يشفق قوتاء من آل دارم
 فكر على أقطاب تلج بصارم
 وألجم خوف كل باغ وظالم
 هو من ولم تقطع حقود غامى
 بدا لها لاستغفرا يوم واقم
 تزيل عن الدنيا بسم المراهم
 وإن زاحم الأمر العظيم فزاحم

• • •

(١) هي عائشة بنت طلحة ؟ كانت زوجة لجدد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ ولا طاعة تروجها مصعب بن الزبير ؟ فقل عنها ، وإهالة : للصادقة والمارة .

ومن أمانة الصِّمِّ ومُؤَثِّرِ الموت على الحياة الدَّليَّة محمد وإبراهيم ، أنا عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . لما أحاطت عساكر عيسى
ابن موسى بمحمد وهو بالمدينة ، قيل له : انجُ نفسك ، فإنَّ لك خَيْلاً مُضْمَرَةً^(١)
ونجائب سابقة^(٢) ، فاقعد عليها ، والنهق عكة أو ملبين . قال : إني إذا لمبدأ وخرج
إلى الحرب يباشرها بنفسه ومواليه ، فما أمسى تلك الليلة وأيقن بالقتل ، أشير عليه
بالاستتار ، فقال : إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف ، فيكون لهم [يوم] كيوم الحرّة ،
لا والله لأحفظنّ ههنا هلاك أهل المدينة ، بل أجمل دمي دون دمائهم . فبذل له عيسى الأمان
على نفسه وأهله وأمواله ، فأبى وهب^(٣) إلى الناس بسيفه ، لا يقاربه أحد إلا قتله ، لا والله
ما يبقى شيئاً ؛ وإن أشبه خلق الله به فيما ذكر هو حمزة بن عبد المطلب . ورَمَى بالسَّهام ،
ودعَّمته الحيل ، فوقف إلى ناحية جدارٍ ، وكحماماء الناس فوجد الموت ، فتعامل على سيفه
فكسره ؛ فالزبدية تزعم أنه كان سيف رسول الله صل الله عليه وآله ذا الفقار .

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب " مقاتل الطالبين " أن محمداً عليه السلام ،
قال لأخته ذلك اليوم : إني في هذا اليوم على رجل هؤلاء ، فإن زالت الشمس ، وأمطرت
السماء فإني مقتول ، وإن زالت الشمس ولم تُمطر السماء ، وهبت الريح ، فإني أظفر بالقوم ،
فأججني التناير ، وهبني هذه الكتب - يعني كتب البيعة الواردة عليه من الآفاق - فإن
زالت الشمس ، وأمطرت السماء فاطرحني هذه الكتب في التناير ، فإن قدرتم على بدني

(١) صر الحيل ؛ إذا ربطها وأكثر ماءها وعلقها حتى تفسن ؛ ثم قلل ماءها وعلقها مدة ؛ ثم ركضها
في الميدان حتى تهزل ؛ ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً .
(٢) الحيل السوابق : المجلبة في المعركة .
(٣) يقال نهب لعدوه ؛ إذ برز لقتاله وصعد له .

نخذه ، وإن لم تقدرُوا على رأسى نفثُوا سائر بدنى ، فَأَتُوا به ظَلَّةُ بنى بِلْيَةَ^(١) على مقدار أربعة أدرع أو خمسة منها ؛ فاحفروا لى حفيرة ، وادهنوا فيها . فطرت السماء وقت الزوال ؛ وقتل محمد عليه السلام ؛ وكان عندهم مشهوراً أن آية قتل النفس الزكية أن يسيل دم بالمدينة حتى يدخل بيت عائشة ، فكانوا بمحبون كيف يسيل الدم حتى يدخل ذلك البيت ؛ فأمطرت السماء ذلك اليوم ، وسال الدم بالطرح حتى دخل بيت عائشة ، وأخذ جسده ، فحفره حفيرة فى الموضع الذى حده لم ، فوقعوا على حفرة فأخرجوها ، فإذا فيها مكتوب : « هذا قبر الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام » ، فقالت زينب أخت محمد عليه السلام : رحم الله أخى ، كان أعلم حيث أوصى أن يدفن فى هذا الموضع^(٢) .

• • •

وروى أبو الفرج ، قال : قَدِمَ على المنصور قادم ، فقال : هَرَبَ محمد ! فقال له : كَذَبْتَ ! إنا أهل البيت لا نفر .

• • •

وأما إبراهيم عليه السلام ، فروى أبو الفرج عن الفصّل بن محمد الضيّ ، قال^(٣) : كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متوارباً عدى بالبصرة ، وكنت أخرج وأتركه ، فقال لى : إذا خرجت خافى صدرى ، فأخرج إلى شيتا من كتبك أخرج به ؛ فأخرجت إليه كتباً من الشعر ، فأختار منها القصائد السبعين التى صدرت بها كتاب " الفضليات " ، ثم أتممت عليها باقى الكتاب .

فلما خرج خرجت معه ؛ فلما صار بالمدينة ، مرّ به ساجان بن على ، وقف عليهم ، وأقمتهم واستسقى ماء ، فَأَتَى به فشرب ، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم فضمتهم إليه ،

(١) مقاتل الطالبين : « بنى بليّة » .

(٢) مقاتل الطالبين : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٣) ورد الخبر مختصراً فى مقاتل الطالبين ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقال: هؤلاء والله مِنّا ونحن معهم ؛ لِمَنا ودمنا ؛ ولكن آباءهم انزواهل أمرنا ، وابترؤا
حقوقنا ؛ وسفكوا دماءنا ، ثم تمثل :

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ظَلَمْتَنَا إِنَّ بِنَا سَوْرَةَ مِنَ الْعَمَلِ (١)
لِمَلِكُمْ تَحْمِلُ السُّيُوفَ وَلَا نَعْمُرُ أَحْسَابَنَا مِنَ الرَّفَقِ
إِنِّي لَأَتَمِّى إِذَا اتَّيْتُ إِلَى عَيْرِ عَرِيرٍ وَمَشْرِى حُدُقِ
بِهِمْ سِبَاطٍ كَانَ أَعْيَبُهُمْ تُكْعَلُ يَوْمَ الْهَبَاجِ بِالْعَمَلِ

قلت له : ما أجود هذه الأبيات وأغلبها ؛ فليكن هي ؟ فقال : هذه بقولها ضرار
ابن الخطاب الفيهري يومَ عبر الخندق على رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وتمثل بها على
ابن أبي طالب يوم صفين ، والحسين يوم الطف ، وزيد بن علي يوم السبينة ، ويحيى بن زيد
يوم الجوزجان ؛ فخطبت له من تمثله بأبيات لم يسمعكم بها أحد إلا قُتل . ثم سرى
إلى باخرى ، فلما قرب منها أتاه منى أخيه محمد ، فغضب لونه وجرح بريقه ، ثم أجش
بأكياء ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً خرج يطلب مرضاتك ، ويؤثر أن تكون
كلتك العليا ، وأمرُك المتبع المطاع ؛ فافقر له وارحمه ، وارض عنه ، واجعل ما قلته إليه
من الآخرة خيرا مما قلته عنه من الدنيا ؛ ثم انصرف بأكياء ثم تمثل :

أَيَا النَّسَازِلِ يَا خَيْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ يُجْجَعُ مَمْلُوكٌ فِي الدِّيَارِ فَقَدْ فَجِعَا (٢)
اللَّهُ يَسْلُمُ إِلَى لَوْ خَشِيتُهُمْ أَوْ آتَى الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَمْ فَرَّهَا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمِ أَخِي لَمْ حَقَّ نَيْشٌ حَمِيماً ، أَوْ مَوْتُ مَعَا

قال المفصل : فجعلت أعز به وأعاتبه على ما ظهر من جَزَعِهِ ، فقال : إني والله في هذا ،

كما قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

(١) من أبيات في حادثة ابن النجدي ١٦ ، والأعرار ١٧ : ١٨ (سأسى) ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات
ومعناها وروايتها .

(٢) الأبيات لرأسع بن خنوم برثى هذبة ، الأغاني ٢١ : ١٧٧ .

يقول ألا تبكي أحاك وقد أرى مكان البسكا، لكن بُنيت على الصبر^(١)
 لمقتل عهد الله والمالك الذي على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
 وعهد بنو ثعلبة تجعل الطير حوله وجن مصاباً جثو قبر على قبر
 فإنا تريثنا لا تزال دماؤنا لدى واتر يستع بها آخر الدهر
 فإنا للحم السيف غير مكبرة ونلججه طورا ، وليس بذي نكر
 يفكر ههنا واتر بن فيثنى بنا إن أمينا أو نسير على وتر
 بذاك قمتنا الدهر شطرين يسا فسا ينقضى إلا ونحن على شطر
 قال المفضل : ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد ، فممثل إبراهيم عليه
 السلام قوله :

إن يقتلون لا نصيب^(٢) (رامحهم) نأري وبسى القوم سعيًا جاهدًا
 نبئت أن بني جديمة أجمت أمرا تدبره لتقتل خالدًا
 أرى الطريق وإن رصدت بصيفة وأمازل البطل الكين الحاردا
 قلت له : من يقول هذا الشر يا بن رسول الله ؟ قال : بقوله خالد بن جعفر
 ابن كلاب يوم شيب^(٣) جيلة ؛ وهذا اليوم الذي لقيت فيه قيس ثميا . قال : وأقبات عساكر
 أبي جعفر ، فظمن رجلا وطعمه آخر ، قلت له : أتباشر القتال بنفسك ! وإنما المسكر
 منوط بك ؛ قال : إلهك يا أخا بني ضبة ، فإنى لكما قال صوب القوافي :
 ألت سماء وإلامها أحاديث نفس وأحلامها
 محجة من بني مالك تطاول في الجدر أعلامها

(١) ديوان الحناسة - بشرح التحرير ٢ : ٣٠٩ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات .
 (٢) لأمر وحققهم من عيس ، على نيم وحققهم من ديان وأسد وغيرها . الأغانى ١٠ : ٢٣ (سامي) .
 (٣)

وإن لنا أصل جرثومة تَرُدُّ الحوادثُ أياها
 ترد الكتيبة مفولة بها أفسها وبها ذامها
 والتعنت الحرب واشتدت ، فقال : يا مفصل ، احكى بشيء ؛ فذكرت أياتنا العوف
 القوافي لما كان ذكره هو من شعره ، فأشدته :

ألا أيها الناهي فزارة تَقْدَمَا أجدت لسير ، إنما أنت ظالم
 أبى كل حُرٍّ أن يبيت بوثره وتمنع منه النوم إدا أنت مائم
 أقول لفتيان كرام تَرَوُّحُوا هل الحُرِّ في أفواههم الشكائم
 تفوا وقعة من يمي لا يَحْزَ بعدها ومن يَحْزَم لا تنبئه اللوام
 وهل أنت إن باعدت ضحكهم نسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال : أعد ، وتبينت من وجهه أنه يستغل ، فسببت وقلت : أو غير ذلك ؟ قال :
 لا ، بل أعد الأيات ، فأعدتها ، فصلى في ركابتي فطعمها ، وحل غاب عني ؛ وأناه سهم
 عائر قتله ؛ وكان آخر عهدي به عليه السلام .

قلت : في هذا الخبر ما يحتاج إلى تفسير ؛ أما قوله (١) :

• إن بنا سورة من العلق •

فالعلق : الصَّحَر وضيق الصدر والحدة ، يقال : احْدَثَ فلان فتشبه في حديثه وغلِقَ .
 والسَّوْرَة : الوثوب ، يقال : إن لمضيه لسورة ، وإنه لسوار ، أي وثاب معربد . وسورة
 الشراب : وثوبه في الرأس ؛ وكذلك سورة السم ، وسورة السلطان : سطوته واعتداؤه .
 وأما قوله : « لئلكم نعمل السيوف » فمعناه أن غيركم ليس بكفء لنا لتعجيل له
 السيوف وإنما نعملها لكم ، لأنكم أكتافونا ، ف نحن نحاربكم على الملك والرياسة ؛ وإن
 كانت أحسابنا واحدة ، وهي شريفة لا مغتر فيها .

والرفق ، بفتح الراء : الضعف ؛ ومنه قول الشاعر :
 • لم تلق في عظمها وهناً ولا رفقاً •

وقوله :

• تُكحل يوم الهياج بالعلق •

فالعلق الدم ؛ يريد أن هبونهم حُر لشدة العيظ والمضرب ؛ فكأنها
 كحلت بالدم .

وقوله : « لكن بنيت على الصبر » ، أي خلقت وبنيت بنية تقتضي الصبر . والشرف
 لأهل : العالي ، ومنه أبو بكر بن كلاب من قيس عيلان ، ثم أحد بني عامر بن صعصعة .
 وأما قوله ^(١) :

• إن يقتلوني لا تُصَبِّ أرماعهم •

فمعناه أنهم إن قتلوني ثم حاولوا أن يصيبوا رجلاً آخر مثلي يصلح أن يكون لي نظيراً ؛
 وإن يحمل دمه بواء لامي ، وسعوا في ذلك سعيًا جاهدًا ، فإنهم لم يحدوا ولم يقدروا عليه .
 وقوله : « أرمى الطريق ... » البيت ، يقول : أسلك الطريق الضيق ، ولو جعل
 قلبي فيه الرصد لقتلي .

والخارد : المنفرد في شجاعته ؛ القدي لا مثل له .

• • •

[غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة علي عليه بعد ذلك]

فأما حديث الماء وقلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفين ، فنحن نذكره
 من كتاب " صفين " لنصر بن مزاحم .

قال نصر : كان ^(٢) أبو الأحرور الثمالي على مقدمة معاوية ، وكان قد نأوش مقدمة

على عليه السلام وعاليها الأشتر النخعي^(١) مناوشة ليست بالمظلمة؛ وقد ذكرنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب، وانصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى الماء فطلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين^(٢) إلى جانب صيفين، وساق الأشتر يتبعه، فوجدته غالباً على الماء؛ وكان في أربعة آلاف من مستبصرى^(٣) أهل العراق، فصدّموا أبا الأعور وأزالوه عن الماء، فأقبل معاوية في جميع الفتيق بقضه وقضيضه، فلما رآهم الأشتر انحاز إلى علي عليه السلام، وطلب معاوية وأهل الشام على الماء، وحالوا بين أهل العراق وبينه؛ وأقبل على عليه السلام في جموعه، فطلب موضعاً لمسكره، وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم؛ ولم أكثر من مائة ألف فارس، فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس علي عليه السلام على حيولهم إلى جهة معاوية يتطاعنون ويرمون بالسهام، ومعاوية تعدّ لم ينزل، فتناوشهم أهل الشام القتال، فاقتلوا هرباً.

قال نصر: حدثني عمر بن سعد بن سعد بن طارق، عن الأصمعي بن سنان: فكتب معاوية إلى علي عليه السلام: عافانا الله وإياك.

ما أحسن العدل والإنصاف من عمل وأفبع الطيش ثم النفس في الرجل وكتب بعده:

أزبط حمارك لا تنزع سوبقه إذا برد وقيد السير مكروب^(٤)
ليست ترى السيد زبدًا في غوسهم كما يراه بسوكوز ومرهوب
إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والذرع تحقبة والسيف مقروب
أو تأفسون فإننا نعشر ألف لا نطم الضيم إن التم مشروب^(٥)

(١) قناصرين: موضع بالشام. (القاموس).

(٢) صيفين: مستبصرى أهل العراق.

(٣) الأبيات لسد الله بن عتبة رضي الله عنه؛ ومروى للفضيات ٣٨٢؛ مع اختلاف في الرواية.

(٤) للفضيات: لا نطم القتل.

فأمر على عليه السلام أن يوزع^(١) الناس عن القتال ، حتى أخذ أهل الشام مصافهم
ثم قال : أيها الناس ، إن هذا موقف^(٢) ، من نطف^(٣) فيه نطف يوم القيامة ، ومن فلج^(٤)
فيه فلج يوم القيامة ، ثم قال لما رأى نزول معاوية نصفين :

أقد أتنا كاشراً من نأيه^(٥) يهبط الناس على اعترايه^(٦)

• فليأتينا الدهر بما أتى به •

قال نصر : وكتب على عليه السلام إلى معاوية جواب كتابه ، أما بعد :

فإن للعرب هراماً شراً^(٧) إن علينا قائداً عَشْرَراً^(٨)

بُنُصِفُ مَنْ أَحْبَبُوا وَتَنَمَّراً^(٩) عَلَى نَوَاحِيهَا مِرْجَا وَنُصُوراً

• إِذَا وَبَيْنَ سَاعَةٍ نَمُشَرُ^(١٠) •

وكتب بعده .

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِن دَعَاهُمْ أَجُومَ^(١١) أَجَابُوا ، وَإِن بَنَصَبَ عَلَى الْقَوْمِ يَمْضُبُوا

هُمْ حِفْظُوا عِيى كَا كُنْتُ حَافِظَا^(١٢) لِقَوْمٍ أُخْرَى مِثْلَهُمْ إِن يُعَيَّبُوا

بَنُو الْحَرْبِ لَمْ تَعُدْ بِهِمْ أُمَمَاتُهُمْ^(١٣) وَأَبَاؤُهُمْ آبَاءُ حِيْدَقٍ فَأُجَبُّوا

قال : قد تراجع الناس كل من القريجين إلى معسكرهم ، وذهب شباب من الناس

إلى أن يستقوا منهم أهل الشام .

•••

قلت : في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح

(١) يوزع الناس : يَكُون . وى صنف : « يوزعوا عن القتال حتى أخذ أهل الشام مصافهم » .

(٢) موقف : أَمَامُ بَرِيَّةٍ .

(٣) يهبط الناس : يَهْرِمُ .

(٤) العشر : الشَّدِيدُ .

(٥) نأيه : تَمَرُّوْثُ .

قوله : « فاقْتُلُوا هَوِيًّا » ، بفتح الهاء ، أى قطعة من الزمان ، وذهب هَوِيٌّ من الليل ، أى فريق منه .

والنفس : كثرة الكلام والدعوى ، وأصله من نفس الصوف .
والسوية : كساء محشو بثمام ومحوه ، كابرذعة . وكرب القيد ، إذا ضيقه على المقيد ، وقيد مكروب ، أى صيق ؛ يقول : لا تنزع بردة حارك عنه واربطه وقيد ، وإلا أعيد إليك وقيد ضيق . وهذا مثل ضرب لعل عليه السلام ، بأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرع والمجالة في الحرب .

وزيد المذكور في الشعر ، هو زيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد ابن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ وهم للعروف يزيد الحليل ، وكان فارسهم . وبنو السيد من ضبة أيضا ؛ وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد ابن طابخة . . . إلى آخر النسب ، وهو السيد بنو عم زيد الفوارس ؛ لأنه من بني ذهل ابن مالك ، وهؤلاء بنو السيد بن مالك ، ويسمى هذاؤ النسب ؛ يقول : إن بنو السيد لا يرون زيدا في نفوسهم كما تراه أهله الأذنون منه نسبا ، وهم بنو كوز وبنو مرهوب ؛ فأما بنو كوز فإنهم بنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ، وأما بنو مرهوب ، فإنهم بنو مرهوب بن عبيد بن هاجر بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ؛ يقول : نحن لا نعظم زيدا ولا نعتد فيه من الفضيلة ما يستعد أهله وبنو عمه الأذنون ؛ والمثل أعلی عليه السلام ؛ أى نحن لا نرى في علي ما يراه أهل العراق من تعظيمه وتبجيله .
وقوله :

• وَالذُّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسِّيفُ مَقْرُوبٌ •

أى والدرع بماله في حجابها ، وهو ما يشد به في غلافها ، والسيف بحاله أى في قرابه ،

وهو جَفَنهُ ؛ يقال : حَفَبْتُ المَرْحَ وقَرَبْتُ السِّيفَ ؛ كلاهما ثلاثيان ، يقول : إن سَأَلْتُمُ
الحَقَّ أَعْطَيْنَاكُمْوه من غير حاجة إلى الحرب ؛ بل نَجِيبُكُمْ إِلَيْهِ والدَّرُوعُ بِحَالِهَا لم تَلْبَسْ ،
والسِّيفُ في أَجْفَانِهَا لم تُشْرَحْ .

وأما إثبات النون في « تَأْخُون » فإنَّ الأصوب حذفها لمطف الكلمة على المجزوم
قبلها ؛ ولِسَكَنِهِ اسْتَأْنَفَ ولم يَمُطِفْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَوْ كُنْتُمْ تَأْخُونُ ؛ يقول : وإن أَيْقَمْتُمْ
وَأَيْسَمْتُمْ إلَّا الحرب ؛ فَإِنَّا نَأْتِيكُمْ مِثْلَكُمْ أَيْصَا ، لا نَطْعُ الضِّمِّ وَلَا نَقْبُهُ . ثم قال : إنَّ
السِّمَّ مشروب ؛ أي أن السِّمَّ قد شَرِبَهُ وَلَا نَشْرِبُ الضِّمَّ ؛ أي نَخْتَارُ المَوْتَ عَلَى الضِّمِّ
وَاللَّة . ويروى :

وَأَنْتَ أَهْتُمْ فَإِنَّا مَشْرَأُفْتُمْ لَا نَطْعُ الضِّمِّ بِنِ الضِّمِّ مَرْحُوبُ

والشعر لعبد الله بن عتبة الضبي (من بني النضير) ، ومن جعلته :

وَقَدْ أَرْوَحَ أَمَامَ الْحَيِّ بِقَدَمِي حَافِي الْأَدِيمِ كَمَيَّتِ اللَّوْنُ مَضُوبٌ^(١)

مُحْتَبٌ مَثَلُ شَاةِ الرَّبْلِ مُحْتَمِرٌ بِالْقَصْرَيْنِ عَلَى أَوْلَاهِ مَضُوبٌ^(٢)

يَبْدُ مَلِجَةً هَادٍ لَهُ تَلْسِمٌ كَأَنَّهُ مِنْ جُنُوعِ الْعَيْنِ مَشْدُوبٌ

فَذَلِكَ ذُخْرِي إِذَا مَا خِيلَهُمْ رَكِبْتُ إِلَى الثُّوبِ أَوْ تَقَاءُ سُرْحُوبٌ^(٣)

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « هَذَا مَوْقِفٌ مَنْ تَطِيفَ فِيهِ تَطِيفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، أَي مَنْ تَطْلُغَ

(١) من هذه القطعة أبيات ، نسبها أبو عبيدة في كتاب الخيل إلى يزيد بن عمرو الحنظلي .

(٢) الحنظلي من الخيل ؛ المطفف الضمام ، وهو مدح في الخيل ، والرمل : بيت . ويحتقر : يجهل في
مد يديه . والقصران : صلتان يلبسان القفوفين . وقوله : « على أولاده مضوب » ، يقول : يجري على
جره الأول لا يحمل عنه ؛ كَمَا فسرهُ صاحب السان (٧ : ٣٠٣) .

(٣) اللقاء من الخيل ؛ الواسطة الأرقاع . والسرحوب : السوبة على وجه الأرض ؛ ورواية البيت في
كتاب الخيل .

فَذَلِكَ عِنْدِي إِذَا مَا خِيلَهُمْ رَكِبْتُ إِلَى الثُّوبِ أَوْ تَقَاءُ سُرْحُوبٌ

فيه بعب من فرار أو نكول عن العدو . يقال : نَطَفَ فلان بالكسر ؛ إذا تدنس بعب . ونَطَفَ أيضا إذا صد ؛ يقول : مَنْ فُتِدَ حاله اليوم في هذا الجهاد فُتِدَ حاله عند الله .

قوله : « مَنْ فَالَجَ فيه » بفتح اللام ، أى مَنْ ظَهَرَ وفاز ، وكذلك يكون خدا عند الله ، يقال ؛ فَالَجَ زَيْدٌ عَلَى خَصْمِهِ ، بالفتح ، يَفْلُجُ ، بضم اللام ؛ أى ظَهَرَ حُجَّتُهُ عَلَيْهِ ، وفى المثل : مَنْ يَأْتِ الْحَكَمَ وَحْدَهُ يَفْلُجُ .

قوله : « يَهْطِ النَّاسُ » ؛ أى يَهْزِمُ وَيُهْطِلُهُمْ ، وأصله الأخذ بنهر تقدير .

وقوله : « عَلَى اعْتِزَالِهِ » أى عَلَى بَعْدِهِ مِنَ الْإِمَارَةِ وَالْوَلَايَةِ عَلَى النَّاسِ . وَالْمُرَّامُ ، بِالضَّمِّ : الشَّرَافَةُ وَالْمَوْجُ . وَالْمَشْنَرُ : الشَّدِيدُ الْقُوَى .

وأحمر : ظَلَمَ النَّاسَ حَتَّى أَجْلَأَمَ إِلَى أَنْ دَخَلُوا حِجْرَهُمْ أَوْ بَيْتَهُمْ . وَتَنَمَّرَ ، أى تَنَكَّرَ حَتَّى صَارَ كَالنَّمَرِ ؛ يقول : هَذَا الْقَائِدُ الشَّدِيدُ الْقُوَى يَنْصَفُ مَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ وَيَتَنَكَّرُ لَهُمْ ، أى يَنْصَفُ مِنْهُ ، لِحَذَفِ حَرْفِ الْجَمْعِ كَقَوْلِهِ : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) ، أى مِنْ قَوْمِهِ . وَالزَّجَجُ ، نَكْسَرُ اللَّيْمَ : السَّرِيعُ النَّفْوَذُ ، وَأَصْلُهُ الرِّمْحُ الْقَصِيرُ ، كَالْمَزْرَاقِ .

ورجل زعجر ، أى مَالِعٌ حَوْزَتِهِ ، وَاللَّيْمُ زَائِلَةٌ . وَمَنْ رَوَاهَا « زَغْرًا » بِالْخَاءِ ، عَنَى بِهِ الْمُرْتَفِعَ الْعَالَى الشَّانَ ، وَجَمِلَ اللَّيْمُ زَائِلَةٌ أَيْضًا ، مِنْ زَحَرَ الْوَادِي ، أى عَلَا وَارْتَفَعَ . وَغَشَمَرَ السَّيْلَ : أَقْبَلَ ، وَالْمَشْمَرَةُ : إِسَاتُ الْأَمْرِ نَفِيرٌ تَثْبِيتٌ ، يَقُولُ : إِذَا أَبْطَأَنَّ سَائِقَهُنَّ سَوَاقًا عَنِيْفًا .

وَالْأَبْيَاتُ الْبَائِيَّةُ لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الطَّائِي .



قال نصر : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ

الأحر ، قال : لما ^(١) قدمنا على معاوية وأهل الشام بصيْفَيْن ، وجَدْنَاهُم قد نَزَلُوا منزِلًا اختاروه مستورًا بساطًا واسعًا ، وأخذوا الشَّريفة فهي في أيديهم ؛ وقد صفت عليها أبو الأحر الخليل والرجالة ، وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدُرَق ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ، ففررنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك ، فدعا حَمَصَمَةَ بن صُوحان فقال : أنت معاوية وقل له : إنا سِرَرْنَا إليك مسيرَنَا هذا وأنا كَرِهٌ لقتالكم ^(٢) قبل الإعذار إليكم ، وإنك قد مت خيلك ، فقاتلنا قبل أن نقاتلك ، وبدأنا بالحرب ؛ ونحن قَمِنَ رأينا الكَفَّ حتى تدعوك ونحنج عليك ؛ وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلَّتْ بين الناس وبين الماء ؛ نخلت بينهم وبينه حتى تنظر فيما بيننا وبينكم ؛ وفيما قدمنا له وقدمت له ؛ وإن كان أحب إليك ، أن ندع ماجئنا له ، وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب ، فقتلنا .

فلما مضى صمصمة برسالة إلى معاوية ، قال معاوية لأصحابه : ما رَوْن ؟ فقال الوليد ابن عُقبة : امتنعهم الماء كما منعوه ابن عفان ، حَصَرُوهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يمنعونه بَرْدَ الماء ولين الطعام ، اقتلهم عطشًا ، قتلهم الله !

وقال عمرو بن العاص : نخلت بين القوم وبين الماء ؛ فإنهم ان يعطشوا وأنت رَيَّان ، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم .
فأعاد الوليد مقالته .

وقال عبد الله بن سعيد بن أبي سَرْح - وكان أخا عثمان من الرضاة - : امتنعهم الماء إلى الليل ؛ فإنهم إن لم يقتلوا عليه رجسوا ، وكان رجوعهم هزيمتهم ، امتنعهم الماء ، منعهم

(١) كتاب صيغ المنقري ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) صيغ : هـ وأنا أكره قتالكم .

الله يوم القيامة ا قتال مصصة بن صوحان : إنما يئمه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة ، شريرة الخمر ؛ ضربك وضرب^(١) هذا الفاسق - يسي الوليد بن عقبة .

فتواثبوا إليه يشتمونه وينهذونه ، فقال معاوية : كفوا عن الرجل ؛ فإنما هو رسول . قال عبد الله بن عوف بن أحمر : إن مصصة لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية ، وما كان منه وما رده عليه ؛ قلنا : وما الذي رده عليك معاوية ؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ما ترد علي ؟ قال : سيأتكم رأي ، قال : فوالله ما راينا إلا نسوبة الرجال والصنف والخليل ؛ فأرسل إلى أبي الأمور : امنعهم الماء ؛ فازدقنا والله إليهم ، فارتبنا وأطعمنا بالرماح ، واضطربنا بالسيف ، فقال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا ؛ قلنا : لا والله لا نسقيهم . فأرسل إلينا علي عليه السلام أن حذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى معسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء ، فبين الله قد نصركم عليهم وظلمهم ونعيمهم .



وروى نصر بن محمد بن عبد الله ، قال : قام^(٢) ذلك اليوم رجل من أهل الشام من السكون ، يعرف بالشليل^(٣) بن عمر إلى معاوية ، قال :

استمع اليوم ما يقول الشليل	إني قولي قول له تأويل
امنع الماء من صحابي علي	أن يدوقوه ، فالذليل ذليل
واقتل القوم مثل ما قتل الشمر	بخ صدق فالتقصص أمر جميل ^(٤)
إننا والذي نأق له البذر	ن هدايا كأنهن الفيول ^(٥)
[لو علي وصحبه وردوا إلنا]	لما ذكروه حتى تقولوا ^(٦)

(١) ضربك ، أي منك .

(٢) صفين ١٨١ (٣) صفين : « الشليل » .

(٤) صفين : « ظا والتقصص أمر جميل » .

(٥) صفين : « هدايا لنهرها تأجيل » .

(٦) بكسرة من صفين .

قَدْ رَضِينَا بِأَمْرِكُمْ وَعَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ الرِّضَا جِلَادٌ قَبِيلٌ

فَامْتَنِعِ الْقَوْمَ مَاءَكُمْ ، لَيْسَ يَقْتَرِزُ مِنْ بَقَاءِ وَإِنْ يَكُنْ قَلِيلٌ

فَقَالَ معاوية : أَمَا أَنْتَ فَتَدْرِي مَا يَقُولُ - وَهُوَ الرَّأْيُ - وَلَكِنْ عَمْرَأُ لَا يَدْرِي . فَقَالَ

عَمْرُو : خَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ ؛ فَإِنْ عَلِمَا لَمْ يَكُنْ لِيظْمًا وَأَنْتَ رَبَّانٍ ، وَفِي يَدِهِ أَعْنَةُ الْخَلِيلِ ،

وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْفَرَاتِ حَتَّى يَشْرَبَ أَوْ يَمُوتَ ، وَأَنْتَ نَعْلَمُ أَنَّ الشُّجَاعَ لِلطَّرْقِ [وَمَعَهُ أَهْلُ

الْمِرَاقِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ] ^(١) ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ أَنَا مَرَارًا وَهُوَ يَقُولُ : لَوْ اسْتَمَكْتُ مِنْ أَرْبَعِينَ

رَجُلًا ^(٢) بَنَى فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ ^(٣) !

• • •

وَرَوَى نَصْرٌ ، قَالَ : ^(٤) لَمَّا عَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْفَرَاتِ ، فَرِحُوا بِالْعَلَبَةِ ، وَقَالَ

معاوية : يَا أَهْلَ الشَّامِ ؛ هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الظُّفْرِ ، لَا سَقَانِي اللَّهُ وَلَا أَبَا سَفِيَانَ إِنْ شَرِبُوا مِنْهُ

أَبَدًا حَتَّى يُقْتَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَيْهِ ؛ وَتَبَاشَرُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَامَ إِلَى معاويةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

الشَّامِ هَمْدَانِيٌّ ، نَاسِكٌ بِجَانِبِهِ وَيَكْثُرُ الْعِبَادَةُ ، جَرَفَ بِعَمْرِي بْنِ أَقْبَلٍ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِعَمْرُو

ابْنِ الْعَاصِ رَأْسَ خَلَةٍ ، فَقَالَ : يَا معاويةَ ، سَبَّحَانَ اللَّهِ ! لَأَنْسِبَهُنَّ الْقَوْمَ إِلَى الْفَرَاتِ فَتُخَالِفْتُمُوهُمْ

عَلَيْهِ ، تَنْعَمُونَهِمُ الْمَاءَ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ لَسَبَّوْكُمْ مِنْهُ . أَلَيْسَ أَكْثَرُ مَا تَتَلَوْنَ مِنَ الْقَوْمِ

أَنْ تَنْعَمُوهُمْ الْفَرَاتِ فَيَنْزِلُوا عَلَى فُرْصَةٍ أُخْرَى وَيَحَازُوكُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ ! أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِمْ

الْعَبْدَ وَالْأُمَةَ وَالْأَجِيرَ وَالضَّعِيفَ ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الْجُوزِ ! لَقَدْ شَجَعْتَ

الْجَبَانَ ، وَنَصَرْتَ لِلرَّتَابِ ، وَتَحَلَّتْ مِنْ لَا يَرِيدُ قِتْلَكَ عَلَى كَيْفَتِكَ . فَأَغْلَظَ لَهُ معاويةَ ،

وَقَالَ لِعَمْرُو : أَكْفَيْتَنِي صَدِيقَكَ . فَأَتَاهُ عَمْرُو فَأَغْلَظَ لَهُ ، فَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

أَمْرُ أَبِي معاويةَ بْنِ حَرْبٍ وَتَحْسِرُوهُ مَا لَدَاهُمَا دَوَاهُ

(١) نَسَكًا مِنْ صَعْبٍ .

(٢-٢) قِ صَعْبٍ : « فَدَكَرَ أَمْرًا ؛ يَسَى لَوْ أَنَّ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا يَوْمَ قَتَلْتِ الْبَيْتَ - يَسَى بَيْتَ ظُلْمَةٍ »

(٣) صَعْبٍ ١٨٢ .

سَوَى طَعْنٍ بِحَارُ الْعَقْلِ فِيهِ وَضَرْبٍ حِينَ تَخْتَلِطُ الْمَاءُ
وَلَسْتُ بِصَاحِبِ دِينَ ابْنِ هِنْدٍ طَوَالَ الْقَهْرِ مَا أَرَسَى حِرَاءَ
لَقَدْ ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَا عِتَابُ وَقَدْ ذَهَبَ الْوَلَاءُ فَلَا وَلَاءُ
وَقَوْلِي فِي حَوَادِثِ كُلِّ خُطْبٍ^(١) : عَلَى عَمْرٍو وَصَاحِبِهِ الْمَقَادِ
إِلَّا اللَّهُ دَرْكُ بَابِنَ هِنْدٍ لَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ فَلَا خَفَاءُ^(٢)
أَتَحْمُونَ الْقُرَاتِ عَلَى رِجَالٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْأَسْلُ الْقَطَاءُ
وَفِي الْأَعْنَاقِ أَسْيَافٌ حِدَادُ كَانَ الْقَوْمَ عِنْدَهُمْ نِسَاءُ
أَتَرْجُو أَنْ يَحْصُرُكُمْ عَلَى بَلَاءُ مَا وَلِلْأَحْزَابِ مَا
دَعَامَ دَعْوَةٍ فَأَجَابَ قَوْمٌ كَجُرْبِ الْإِبِلِ خَالَطَهَا الْهَنَاءُ
قَالَ : ثُمَّ سَارَ الْهَمْدَانِي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى لَحِقَ بِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ : ^(٣) وَمَكَتُ أَصْحَابُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَيْتِ جَاهِدٍ وَاقِفَةً عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا فِيهِ
أَهْلُ الْعِرَاقِ :

قَالَ نَصْرٌ : وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْجُرْجَانِيِّ ، قَالَ : لَمَّا أَقْبَمَ عَلَى بِمَا فِيهِ أَهْلُ
الْعِرَاقِ مِنَ الْعَطَشِ ، خَرَجَ لِهَلَا قَبْلِ رَايَاتٍ مَذْجِجٍ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَنْشُدُ شِعْرًا :
أَيْمُنُهَا الْقَوْمُ مَا الْقُرَاتِ وَفِينَا الرِّمَاحُ وَفِينَا الْحَبَفُ^(٤)
وَفِينَا الشَّوَاظِ مِثْلُ الْوَشِيجِ وَفِينَا السُّيُوفُ وَفِينَا الرِّغَفُ^(٥)

(١) صَفِين : « كُلُّ أَمْرٍ » .

(٢) بَرِحَ الْخَفَاءُ بِكسر الراءِ وَفَتْحِهَا ، أَيْ ظَهَرَ مَا كُنَّ حَاجِبًا .

(٣) صَفِين ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) الْحَبَفُ : جَمْعُ حَبْفَةٍ ؛ وَهِيَ الْفَرْسُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ يَطَارِقُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ .

(٥) الشَّوَاظِ : الْغَيْلُ الضَّامِرَةُ ؛ وَالْوَشِيجُ فِي الْأَسْلِ : شَجَرُ الرِّمَاحِ ؛ وَبَرِيدُهَا الرِّمَاحُ ؛ وَبِهِمَا

الْغَيْلُ فِي ضَمِّهَا . وَالرِّغَفُ : الْمَدْرُوعُ الْوَاسِعَةُ .

وَفِينَا عَلَيَّ لَهٗ سَوْرَةٌ إِذَا خَوْفُهُ الرَّدَى لَمْ يَخَفْ
وَنَحْنُ الْقَيْنُ غَدَاةَ الرَّيْزِ وَطَاحَةٌ خُضْنَا غِمَارَ الْقَلَفِ^(١)
فَمَا بَالُنَا أَمْسِ أَسَدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفِ^(٢)
فَمَا لِمِرَاتِي وَمَا لِحِجَارِ سِوَى الشَّامِ خَصْمٍ فَصُكُّوا الْمَدَقَ^(٣)
وَتُورُوا عَلَيْهِمْ كَبْزَلِ الْجَدَلِ دُورَيْنِ الدَّيْمِلِ وَفَوْقَ الْقَطَفِ^(٤)
فَلَمَّا تَفُوزُوا بِمَاءِ الْفُرَاتِ وَمِنَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهِ جَيْفٌ
وَلَمَّا تَمُوتُوا عَلَى طَاعَةِ نُحُلِ الْجَلَاتِ وَتَحْبُو الشَّرَفِ
وَلَا فَانْتُمْ عَيْدُ الْعَصَا وَعَبْدُ الْعَصَا مُسْتَذَلٌّ نَظَفٌ^(٥)

قال : غرك ذلك علياً عليه السلام ، ثم مضى إلى رايات كنفه ، فإذا إسانٌ مُنشد

إلى جانب منزل الأشعث ، وهو يقول :

لَيْنَ لَمْ يُحَلِّ الْأَشْعَثُ الْيَوْمَ كُرْبَةً مِنْ الْمَوْتِ فِيهَا لِلْفُوسِ تَمَتُّ^(١)
فَتَشْرَبُ حِينَ مَاءِ الْفُرَاتِ بِسَيْفِهِ قَهْبَةً أَنَا قَلَّ ذَاكَ فَمُوتُوا^(٢)
فَلَمَّا أَنْتَ لَمْ تَجْمَعْ لَنَا الْيَوْمَ أَمْرًا وَتَنْفُضُ النَّيَّ فِيهَا عَلَيْكَ الْمَذَلَّةُ^(٣)

(١) يشير إلى وقعة الحمل ، والنهار : جمع غمرة ؛ وهي الشدة .

(٢) العرين : مأوى الأسد ، والشاء : جمع شاة ، والنصف : الحلب الجيد حتى ينفس الضرع ، ويقال : انجفت النعم ؛ إذا استخرجت أقصى ما في الضرع من لبن ، وإيئت من شواهد الكافية ؛ هي أن حاسد العرين ، و « شاء النجف » حالاً ؛ إما على تقدير مثل ؛ وإما على تقديرهما بوصف . وانظر خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٥٢٨ ، وللسودي ٢ : ٣٨٥ .

(٣) صكوا : اضربوا ، ولئ صفتين : « سوى اليوم يوم » .

(٤) الدَّيْمِلِ والقطف : ضربان من السم . والازل : البحر الذي انشق ثابه بدخوله في الخامسة ، وجه بزل . ولئ صفتين : « فدبوا إليهم » .

(٥) عيد العصا : أي أذلاء . والتطف : السب .

(٦) في السودي ٢ : ٣٨٥ « قلت » .

(٧) صفتين وللسودي : « كانوا فوتوا » .

(٨) صفتين : « وتلقى النى فيها عليك المذلة » .

فَمَنْ ذَا الَّذِي تُدْفَى الْخَنَاصِرُ بِأَسْمِهِ سِوَاكَ ؛ وَمَنْ هَذَا إِلَيْهِ التَّلَفْتُ
وَهَلْ مِنْ بَقَاءَ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تَطْلُ خُفُونًا وَالْعَدُوُّ يَصُوتُ^(١)
هَلُّوا إِلَى مَاءِ الْفُرَاتِ وَدُونَهُ صُدُورُ الْعَوَالِي وَالصَّفِيعُ الْمَشْتِ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ عَصْبَةٍ يَمْنِيَّةٍ وَكُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ سِنْعِيهِ حِينَ يَنْبُتُ^(٢)
قال : فلما سمع الأشعث قولَ الرجل ، قام فأتى عليا عليه السلام ، فقال :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْدِيُنَا الْقَوْمِ مَاءَ الْفُرَاتِ ، وَأَنْتَ فِينَا ، وَالسُّيُوفُ فِي أَيْدِينَا اخْلُ هَذَا
وَهَذَا الْقَوْمَ ، فَوَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَرِدَهُ أَوْ نَمُوتَ ؛ وَنُزِرَ الْأَشْجَرُ فَلْيَمْلُ بِخَيْلِهِ ، وَبَقِيَ حَيْثُ
تَأْمُرُهُ . فقال علي عليه السلام : ذَلِكَ إِلَيْكُمْ .

فَرَجَعَ الْأَشْجَثُ فَنَادَى فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمَاءَ أَوْ اللَّوْثَ فَيُعَادِهِ مَوْضِعَ كَذَا ؛
فَأَتَى مَاهِص . فَأَنَاءَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ كَيْدِهِمْ وَأَخْنَاهُ قَعْقَعَانِ ، وَاصْبَى سِوْفَهُمْ عَلَى هَوَاتِهِمْ ،
فَشَدَّ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ^(٣) وَنَهَضَ بِهِمْ ؛ حَتَّى كَادَ يَخَالِطُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَجَمَلٌ يُبَلِّغُ رَجْعَهُ ،
وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : يَا بَنِي وَائِي أَنْتُمْ أَتَقْدِمُوا إِلَيْهِمْ قَابَ رُحْمِي^(٤) هَذَا ؛ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّةً ؛
حَتَّى خَالَطَ الْقَوْمَ ، وَحَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَنَادَى : أَمَا الْأَشْجَثُ بْنُ قَيْسٍ اخْلُوا عَنِ الْمَاءِ .
فَنَادَى أَبُو الْأَمُورِ : أَمَا [وَاقِلْ]^(٥) حَتَّى لَا تَأْخُذَنَا وَإِلَّا كَمِ السُّيُوفُ . فقال الأشعث :

(١) صين : « عطاشا والعدو يصوت » .

(٢) السح : الأصل ، ول صين : « من عصبه » .

(٣) صين : وشد عليه سلاحه ، وهو يقول :

مِعَادُنَا الْيَوْمَ بِيَاضِ الصُّبْحِ هَلْ يَصْنَعُ الرَّادُّ بِنِيرٍ مِلْحٍ
لَا ، وَلَا أَمْرٌ بِنِيرٍ نَصْحٍ دَبُّوا إِلَى الْقَوْمِ بِطَمْنٍ تَمَحَّجٍ
مِثْلَ الْمَزَالِي بِطَمَانٍ تَفْحٍ لَا صُلْحَ لِقَوْمٍ ، وَأَيْنَ صُلْحِي
• حَسْبِي مِنَ الْإِفْعَامِ قَابُ رُحْمٍ •

(٤) قَاب رُحْمِي : قدر رُحْمِي .

(٥) من صين .

قد والله أظنها دنت منا ومنكم . وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره على ، فبعث إليه الأشعث : أقسم الخيل ؛ فأقعصها حتى وضعت سنانها في الفرات ، وأخذت أهل الشام السيوف ، فولوا مدبرين .

• • •

قال نصر : ^(١) وحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر وزيد بن الحسن ، قال : فنادى الأشعث عمرو بن العاص ، قال : ويحك يا ابن العاص ! خل بيننا وبين الماء ، فوالله لأن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف ؛ فقال عمرو : والله لا محلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم ، فيعلم ربنا : أينما أصبر اليوم . فترجل الأشعث والأشتر ، وذوؤ البصائر من أصحاب علي عليه السلام ، وترجل معهما اثنا عشر ألفاً ، فدخلوا على عمرو وأبي الأحرار ومن معهما من أهل الشام ، فأرلهم عن الماء ، فسحق غصت خيل علي عليه السلام سنانها في الماء .

قال نصر : فروى هريرة عن سعد أن علياً عليه السلام قال ذلك اليوم : هذا يوم نصرتم فيه بالحيلة ^(٢) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، قال : سمعت تميمًا الناجي يقول : سمعت الأشعث يقول : حال عمرو بن العاص بيننا وبين الفرات ، فقلت له : ويحك يا عمرو ! أما والله إن كنت لأظن لك راباً ؛ فإذا أنت لاعتل لك . أترانا نخليك والماء ؟ ترئت بذلك ^(٣) ! أما علمت أنا معشر عرب ! نكفك أمك وهبلتك ! لقد رمت أمرا خطياً . فقال لي عمرو : أما والله لتعلمن اليوم أنا سنن بالعهد ، ونحسب المقد ، ونلقاكم

(٢) ص ١٨٧

(٤) ص ١٨٧ : د يدك وفك ،

(١) ص ١٨٧

(٣) ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

بصبر وجِدْ . فنادى به الأشتر : يا بنَ العاص ! أما والله لقد نزلنا هذه القُرْضَةَ ، وإننا ليريد القتال على البصائر والدين ، وما قاتلنا سائر اليوم إلا حمية .

ثم كبر الأشتر وكثرنا معه وحملنا ، فثار الفُبار حتى انهزم أهل الشام . قالوا : فلقى عمرو بن العاص بعد انقضاء صيفين الأشعث ، فقال له : يا أخا كِنْدَةَ ، أما والله لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء ، ولكن كنت مفهوراً على ذلك الرأي ، فكايرتك بالهدد والوعيد ، والحرب خُدْعَةٌ .

قال نصر : ولقد كان من رأى عمرو التَّخْلِيَةَ بين أهل العراق والماء . ورجع معاوية بأخراً إلى قوله بعد اختلاط القوم في الحرب ؛ فإن عمراً - فيا روبنا - أرسل إلى معاوية : أن خَلَّ بين القوم وبين الماء ، أترى القوم يجمعون عطشا وهم ينظرون إلى الماء ! فأرسل معاوية إلى يزيد بن أسد القسري : أن خَلَّ بين القوم وبين الماء يا أبا عبد الله ، فقال يزيد - وكان شديد العناية - : كَلَّا والله لنقتلهم عطشا كما قتلوا أمير المؤمنين .



قال : فحدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، قال : خطب علي عليه السلام يوم الماء فقال : « أما بعد ؛ فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم ، وفانحموكم بالبغي ، واستقبلوكم بالمداوات ، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء ، فأفرتوا على مذلة وتأخير مهلة » ، الفصل إلى آخره .

قال نصر : وكان^(١) قد بلغ أهل الشام أن علياً عليه السلام جعل للناس إن فتح الشام أن يقسم بينهم الثبر والذهب - وما الأحرار - وأن يعطى كلاً منهم خمسمائة كما أعطاهم بالبصرة ، فنادى ذلك اليوم منادى أهل الشام : يا أهل العراق ؛ لماذا نزلتم بمجاج

من الأرض نحن أزدُ شُوءة لأزدُ عمان ، بأهل العراق :
لا تخس إلا جندل الأحرين^(١) والخص^(٢) قد تجشمك الأمرين^(٣)

• • •

قال نصر : حدثني عمرو بن شمر ، عن إسماعيل التدي ، عن بكر بن تفلج ، قال :
حدثني^(٤) من سمع الأشعث يوم الفرات - وقد كان له فتاة عظيم من أهل العراق ، وقتل
رجالاً من أهل الشام بيده ، وهو يقول : والله إن كنت لكارهاً قتال أهل الصلاة ،
ولكن مني من هو أقدم مني في الإسلام ، وأعلم بالكتاب والسنة ، فهو الذي
يُخني نفسه .

• • •

(١) لا تخس ، أراد لا خسارة ، والجندل ، الحطارة والأحرين : جمع حرة ، وهي الحجارة السوداء .
(٢) الأمرين : الضر والأمر العظيم ، وفي القيان (ص ٢٩٤) بعد شرح كلمة « الأحرين » :
أنشد لعلب لزيد بن عاصية النخعي ، وكان زيد المذكور لما علم اللاء صفين قد اتهم ولحق بالكوفة ،
وكان على رضى الله عنه قد أعطى أصحابه يوم الحل خصالته من بيت مال البصرة ، فلما قدم زيد
على أهله قالت له ابنته : أين خسر المائة ؟ فقال :

لما رأى عكاً والأشعرين	لما رأى عكاً والأشعرين
وقيس عيلان الموازين	واين غمير في سراة الكنديين
وذا السكلاء سيد البانين	وحاباً يستن في الطائين
قال لنفس السوء : هل تفرين ؟	لا تخس إلا جندل الأحرين
والخص قد تجشمك الأمرين	تجزأ إلى الكوفة من قنسرين

ويروى : « قد تجشمك » ، و « قد تجشمك » . وقال ابن سيده : معنى « لا تخس » ما ورد في حديث
صفين أن معاوية زاد أصحابه يوم صفين خصالته ، فلما انفقوا بعد ذلك قال أصحاب على رضى الله عنه :

• لا تخس إلا جندل الأحرين •

أرادوا : لا خسارة .

(٣) صفين ١٩١ - ١٩٢

قال نصر: وحمل^(١) ظبيان بن ثماره النخعي على أهل الشام، وهو يقول:

هَلْ لَكَ يَا ظَبْيَانُ مِنْ بَقَاءٍ فِي سَاكِنِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ مَاءٍ
لَا وَاللَّهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ فَاضْرِبْ وَجُوهَ الْفُذْرِ الْأَعْدَاءِ
بِالسَّيْفِ عِنْدَ حَسِّ الْمَيْجَاءِ^(٢) حَتَّى يَجْبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ
قال: فَضَرَبَهُمْ وَاللَّهُ حَقٌّ خَلَّوْا لَهُ الْمَاءَ.

• • •

قال نصر: ودعا^(٣) الأشتر بالحارث بن همام النخعي، ثم العُشْبَانِيَّ، فأعطاه لواءه، وقال له: يا حارث، لولا أني أعلم أنك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك، ولم أحبك بكرامتي، فقال: والله يا مالك لأُسْرَتُكَ أو لأَمُوتَنَّ، فاتبعتني. ثم تقدم باللواء وارتجز، فقال:

يَا أَخَا الْخَيْرَاتِ يَا خَيْرَ النَّصِيحِ وَمَا حِبُّ النَّصْرِ إِذَا عَمَّ الْفَرْجُ
وَكَاشِفِ الْخَطْبِ إِذَا الْأَمْرُ وَقَعَ مَا أَفْتَى فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِالْجَنْدِ^(٤)
قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَعَثُوا بِالْجَزَعِ وَجُرُّوا الْمِيطَ وَعَصُوا بِالْجَرَعِ
إِنْ تَسْقُنَا الْمَاءَ فَلَيْسَتْ بِالْبَدْعِ أَرْنَمُشُ الْيَوْمَ فَيَجُنْدُ مُقْتَلَعُ
• مَا شِئْتُ خَذَ مِنْهَا وَمَا شِئْتُ فَدَعُ •

فقال الأشتر: اذن مني يا حارث؛ فدنا منه فقبل رأسه، فقال: لا يتبع رأسه اليوم إلا خير؛ ثم صاح الأشتر في أصحابه: فدتكم نفسي أشدرا أشد المهرج الرجبي للفرج، فإذا نالتكم الرماح قالتوا فيها، فإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه، فإنه أشد لشئون^(٥) الرأس؛ ثم استقبلوا القوم بهايمكم.

(١) ص ١٩٢.

(٢) الحس: القعدة في القتال، وفي صفتين: حس الوعاء.

(٣) ص ١٩٣، وللجودي ٢: ٣٨٦.

(٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة؛ كأنهم حللوا الأولى بكرا. والجند: الصغار المن.

(٥) الشئون هنا: جمع شأن؛ وهو موصل قبائل الرأس.

قال : وكان الأشتر يومئذ على فرس له تخذوف^(١) آدم ، كأنه حلق الثراب ، وقتل
بيده من أهل الشام من فرسانهم وصناديدهم سبعة : صالح بن فيروز العنكي ، ومالك بن آدم
السلماني ، ورباح بن عتيك الفسافي ، والأجلح بن منصور الكندي . وكان فارس
أهل الشام - وإبراهيم بن وضاح الجعفي ، وزامل بن عبيد الخزاعي ، ومحمد
ابن روضة الجعفي .

قال نصر : فأول قتيل قتله الأشتر بيده ذلك اليوم صالح بن فيروز ، ارتجز على الأشتر
وقال له :

يا صاحب الطرف الحصان الأدمي أقدم إذا شئت علينا أقدم
أنا ابن ذي العز وذو التكرم سيدك كل كل علك فاعلم
قال : وكان صالح مشهوراً بالشدة والبأس ، فارتجز عليه الأشتر ، فقال له :
أنا ابن خير مذيح مركب وخيرها نفساً وأما وأبا
آليت لا أرجع حتى أضرباً بسيفي للصقور ضرباً منجها

ثم شدت عليه قتله ، فخرج إليه مالك بن آدم السلماني - وهو من مشهورهم أيضاً ،
فقتل على الأشتر بالرمح ، فلما رآه^(٢) الخوي ، لأشتر على فرسه ومار السنان^(٣) فأخطأ ،
ثم استوى على فرسه ، وشدت على السامي فقتله طمناً بالرمح ، ثم قتل بعده رباح بن
عقيل^(٤) وإبراهيم بن وضاح ، ثم برز إليه زامل بن عقيل - وكان فارساً - فطعن الأشتر في
موضع الجوشن^(٥) فصرعه عن فرسه ، ولم يصب مقتلاً ، وشدت عليه الأشتر بالسيف راجلاً
فكشف قوائمه فرسه ، وارتجز عليه فقال :

(١) الخدوف : القطوع الدب .

(٢) رآه : غشه .

(٣) مار السنان : اضطرب .

(٤) صلين : رباح بن عتيك .

(٥) الجوشن : الصدر .

لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ أَوْ مِنْ قَتْلِكَ قَتَلْتُ مِنْكُمْ أَرْبَعًا مِنْ قَهْلِكُمْ^(١)
• كَلِمَتُهُمْ كَانُوا مَحْدَةً مِثْلَكَ •

ثم ضربه بالسيف وها راجلان قتله ، ثم خرج إليه محمد بن روضة ، فقال ، وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً :

يَا سَاكِي الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الْعَتَقِ يَا قَاتِلَ عُثْمَانَ ذَاكَ الْمَوَاتِمَنَ
أَوْرَثَ قَلْبِي قَتْلَهُ طُلُوعَ الْخُرُونِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى أَلَا حَسَنًا
فَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْرَقُ قَتْلَهُ ، وَقَالَ :

لَا يَبِيدُ اللَّهُ سِوَى عُمَانَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَوَانَا
• وَلَا يُبَلِّغُ عَنْكُمْ الْأَحْزَانَا •

ثم برز إليه الأجلع بن منصور البكدي سوكان من شجعان العرب وفرسانها - وهو على فرس له اسم لاحق ، فلما استقبله الأشتر ذكره لقاءه واستعيا أن يرجع عنه ، فغضارها بسيفيهما ، فسبقه الأشتر بالضربة فقتله ، فقالت أخته ترميه :

أَلَا قَاتِلِي أَخِي قَتَلْتَهُ قَتَلْتَهُ وَاللَّهِ أَبْكَيْنَا
لَقَتَلِ الْمَاجِدُ الْقَتْمَا مَ لَا يَمُوتُ لَهُ فِتْنَا^(٢)
أَنَا الْيَوْمَ مَقْتَلُهُ قَدْ جُرْتُ نَوَاحِيَنَا
كَرِيمٌ مَاجِدٌ أَلْجَدُ نِ يَشْفِي مِنْ أَلْجَدِيْنَا
شَفَانَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْ مَرَاتِي قَدْ أَبَادُونَا
أَمَّا يَخْشَوْنَ رَهْمَهُمْ وَلَمْ يَرْعَوْا لَهُ دِينَا

(١) صفي : قتلته عنة •

(٢) بقية الرجز كما في صفي :

مخالفٌ قَدْ خَالَفَ الرَّحْمَانَا نَعَرْتُمُوهُ عَابِدًا شَيْطَانَا

(٣) المقام : السيد الكثير الطراد .

قال : وبلغ شعرها علياً عليه السلام ، فقال : أما إنهن ليس بملكهن ما رأيتن من الجزع ، أما إنهم قد أضروا بنسائهم ، فتركوهن أيامي حزاني ^(١) بأنسات . قاتل الله معاوية ! اللهم تحمله آثامهم وأوزاراً وأثلاً مع أقدله ! اللهم لا تمف عنه !



قال نصر : وحدثنا ^(٢) عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن الحارث بن آدم ، وعن صمصمة ، قال : أقبل الأشر يوم الماء ، فصر ببيعه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء ، وهو يقول :

لَا تَذْكُرُوا مَا قَدْ مَضَى وَقَاتَا وَافِرَ رَبِّي الْبَاعِثِ الْأَمْوَاتَا
مِنْ بَعْدِ مَا صَارُوا كَذَارُفَاتَا ^(٣) لِأُورِدَنَ خَيْلَ الْفُرَاتَا
• شُعْتُ النَّوَاسِي لَوْ بَقَالَ مَا تَا •

قال : وكان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحارث ، فقال له الأشعث : فله أبوك ! ليست النعم بخير من كندة ، قدّم لواءك فإن الخط لمن سبق . فتقدم لواء الأشعث ، وحملت الرجال بمضها على مصر ، وحمل في ذلك اليوم أبو الأعور السلمي ؛ وحمل الأشر عليه ، فلم ينتصف أحدهما من صاحبه ، وحمل شرحبيل بن السمط على الأشعث ، فكانا ؛ كذلك ، وحمل حوشب ذو ظالم على الأشعث أيضاً ، واهضلا ولم ينل أحدهما من صاحبه أمراً ، فزالوا كذلك حتى اكشف أهل الشام عن الماء ، وملك أهل المراق للشرعة .



قال نصر : وحدثنا محمد بن عبد الله ، عن الجرجاني ، قال : قال ^(٤) عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل المراق الماء : ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعهم

(١) صفين : « خرايا » .

(٢) صفين ٢٠٦ .

(٣) صفين : « سدى مراتا » .

(٤) صفين ٢٠٨ .

أَمْسِ ! أَتَرَكَ تُضَارِمُهُمْ عَلَيْهِ كَمَا ضَارَبُوكَ عَلَيْهِ ! مَا غَفَى عَنْكَ أَنْ تَكْشِفَ لَهُمُ السُّوءَ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : دَعْ عَنْكَ مَا مَضَى ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَلِيٍّ ؟ قَالَ : خَلَقَ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْلِمُ مِنْكَ مَا اسْتَحَلَّتْ
مِنْهُ ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ لَهُ غَيْرُ الْمَاءِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ ، فَقَالَ عَمْرُو :

أَمَرْتُكَ أَسْرَأَ فَخَفَّفْتَهُ	وَخَافَنِي ابْنُ أَبِي سَرْجَةَ ^(١)
وَأَغْمَضْتُ فِي الرَّأْيِ إِغْمَاضَةً	وَلَمْ تَرَفِ فِي الْحَرْبِ كَالْفُصْحَةِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ كِبَاشَ الْعِرَاقِ	أَلَمْ يَنْطَحُوا جَمْعًا نَطْحَهُ !
فَإِنْ يَنْطَحُونَا غَدًا مِثْلَهَا	نَكُنْ كَالزَّيْبِيِّ أَوْ طَلْحَةَ
أَخْبَرَ لَهَا الْيَوْمَ مَا بَدَتْهَا	وَمِمَّا لَدَى مَا يَنْتَابُ صُبْحَهُ
وَإِنْ أَحْرَوْهَا لِمَا تَعْدَتْهَا	فَقَدْ قَدَّمُوا الْخَطْبَ وَالنَّذْرَةَ
وَقَدْ شَرِبَ الْقَوْمُ مَاءَ الْعَرَاتِ	وَقَدْ دَكَ ^(٢) الْأَشْتَرُ الْقَصْحَةَ

قَالَ بَصْرٌ : فَقَالَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمْنَهُمُ الْمَاءُ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا مَنَعُوكَ . فَقَالَ : لَا ،
حَلَّوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، لَا أَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْجَاهِلُونَ ، سَمِعْتُ رِضًا عَلَيْهِمُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَنَدْعُوهُمْ إِلَى
الْهُدَى ، فَإِنْ أَجَابُوا ؛ وَإِلَّا فَفِي حَذِّ السَّيْفِ مَا بَيْنِي وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ : فَوَافَقَهُ مَا أَمْسَى النَّاسُ حَقًّا رَأَوْا سَقَاتِهِمْ وَسَقَاةَ أَهْلِ الشَّامِ وَرَوَايَاهُمْ وَرَوَايَا
أَهْلِ الشَّامِ يَزْدَحُمُونَ عَلَى الْمَاءِ ، مَا يُؤْذِي إِنْسَانًا إِنْسَانًا .

(١) يريد ما بنى أبو سرجة جِدَاقَهُ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجَةَ .

(٥٢) (*)

ومن خطبة له عليه السلام ، وقد تقدم مختارها برواية ، ونذكر ما لم يذكره
هنا برواية أخرى ، لتفان الروايتين :

الأصل :

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ نَبَاً قَدْ تَصَرَّعَتْ وَأَذِنَتْ بِانْقِصَاءِ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَذْبَرَتْ حَدَّاءَ ،
فَبِئْسَ تَحْفِيزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا ، وَتَحْدُودُ بِالنُّوْتِ جِهَاتَهَا ، وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ خُلُوعاً ،
وَكُفْرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَةٌ كَسَمَةِ الْإِدَاوَةِ ، أَوْ جُرْعَةٌ (١)
كَجُرْعَةِ الْفَقَةِ ، لَوْ تَمَزَّرَهَا الصَّدِيقَانِ لَمْ يَنْقُصَا .

فَأَزِمِعُوا حِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ مِنْ هَذِهِ أَرَلِّ الْقُدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الْزُّوَالِ ، وَلَا يَنْفِلِبْكُمُ
فِيهَا الْأَمَلُ ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا (٢) الْأَمَدُ . فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلَدِ الْمِجَالِ ،
وَدَعَوْتُمْ رَهْدِيلَ الْخِطَامِ ، وَجَارْتُمْ جُودَ أَرْمُقَبِيلِ الرَّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ؛ التَّمَّاسَ الْقُرْبَى إِلَى فِي أَرْتَاعِ دَرَجَةِ هَذِهِ ، أَوْ غُرَّانِ سَيْتَةِ أَحْصَانِهَا
كُتْبِهِ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَبِيلًا فِيهَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ نَوَائِبِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ
مِنْ هَفَائِبِهِ .

وَبِاللَّهِ لَوْ أُنْمِئَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاتًا ، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَى أَوْ رَهْبَةٍ
مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ هُمَزْتُمْ فِي اللَّهِ نَبَاً - مَا اللَّهُ نَبَاً بَاقِيَةً - مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا
شَيْئًا مِنْ جُهْدِ سَلَمٍ - أُنْمِئَتْ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ ، وَهَدَاهُ إِبْنَاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

(*) انظر المخطوطة رقم ٢٨ الجزء الثاني ص ٩١

(١) مخطوطة النهج : « وجرعة » .

(٢) كلمة « فيها » ساقطة في مخطوطة النهج .

الْبَرْج

نصرت : انقطعت وفيت . وآذنت باغضاء : أعلنت بذلك ، آذنته بكذا ، أى أعلمته .
وتنكر معروفها : جهل منها ما كان معروفا .

والخذاء : السريعة الذهاب ، ورجم خذاء : مقطوعة غير موصولة . ومن رواه « جذاء »
بالجيم ، أراد مقطوعة الدّر والخير .

وتحفر بالفناء سكانها : تجعلهم وتسوقهم . وأمر الشيء : صار مَرًّا . وكدر الماء ، بكسر
الدال ، ويجوز كدّر نضما . وللصدر من الأول كدّراً ، ومن الثانى كدورة .

والسّلة ، بفتح الميم : البقية من الماء تنبق في الإماء .

والنّقة ، بفتح الميم وتكين القاف : حصة للقسم التى تاقى في الماء ليمرف قدّر ما يسقى
كل واحد منهم ؛ وذلك عند قلة الماء في المفاوز ، قال :
قَدَّرُوا سَيِّدَهُمْ فِي وَرْطَةٍ تَذَمَّتْ النّقَّةُ وَسَطَ المَتْرَكِ^(١)

والتمرز : تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان : المطشان .

ولم ينقع : لم يرو ؛ وهذا يمكن أن يكون لازما ، ويمكن أن يكون متعديا ،
تقول : نقع الرجل بالماء ، أى روى وشفى غليله ، ينقع . ونقع الماء الصدى ينقع ، أى سكنه .
فأزمعوا الرحيل ، أى اعرموا عليه ، يقال : أزمعت الأمر ، ولا يجوز أزمعت على الأمر ؛
وأجازه الفراء .

قوله : « للتدور على أهلها الزوال » ، أى للكنوب ، قال :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدّر في المصنف الأولى الذى كان سيطر

(١) اللسان ١٤ : ١٥٠ ، ونسبه إلى يزيد بن طلبة الخطمي .

أى كتب. والوثة العجال : الثوب الوالمة الفاقدة أولادها ، الواحدة تجول ، والوثة :
ذهاب العقل وفقد التمييز .

وهديل الحمام : صوت نوحه . والجوار : صوت مرتفع . والتبتل : المنقطع عن الدنيا .
واما القلب ، أى ذاب .

وقوله : « ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم » اعتراض فى الكلام .
وانسمه ، منصوب لأنه مفعول « جرت » .



وفى هذا الكلام تلويح وإشارة إلى مذهب البعاداتين من أصحابنا فى أن الثواب على
فعل الطاعة غير واجب ؛ لأنه شكر النعمة ، فلا يقتضى وجوب ثواب آخر ؛ وهو قوله عليه
السلام : « لو اعمأت قلوبكم اعميأتنا » ، إلى آخر الفصل .

وأصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك ، بل يقولون : إن الثواب واجب على الحكيم
سبعاه ، لأنه قد كآمنا ما يشق علينا ، وتكليف المشاق كالزال للشاق ، فكما اقتضت
الآلام والمشاق النازلة بنا من جهة سبعاه أحوالاً مستحقة عليه تعالى عن إنزالها بنا ، كذلك
تقتضى التكليفات الشاقة ثواباً مستحقاً عليه تعالى عن إلزامه إيانا بها ، قالوا : فأما ما سلف
من نسمه علينا فهو تفضل منه تعالى ، ولا يجوز فى الحكمة أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر
من الأمور ، ثم يلزمه أفعالا شاقة ويحملها بإزاء ذلك التفضل ؛ إلا إذا كان فى تلك الأمور
منافع عائدة على ذلك الحكيم ، فكان ما سلف من النافع جارياً مجرى الأجرة ؛ كمن يدفع
درهما إلى إنسان ليخيط له ثوباً ، والبارئ تعالى منزّه عن النافع ؛ ونسمه علينا منزّه أن تجرى
مجرى الأجرة على تكليفنا المشاق .

وأىضا فقد يلساوى اثنان من الناس فى النعم للتم بها عليهما ، ويختلفان فى التكليف ،

فلو كان التكليف لأجل ما مضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها . فإن قيل : فعلى ماذا يُحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه إشارة إلى مذهب البعديين ؟
 قيل : إنه عليه السلام لم يصرح بمذهب البعديين ؛ ولكنه قال : لو عُدتموه بأقصى ما ينتهي الجهد إليه ما وُفِّقتم شكر أُنعمه ؛ وهذا حقٌ غيرُ مختلف فيه ، لأنَّ نعم الباري تعالى لا تقوم العباد بشكرها ، وإن بالموا في عبادته والخصوع له والإحلاس في طاعته ؛ ولا يقتضى صدق هذه القضية وصحتها صحة مذهب البعديين في أن الثواب على الله تعالى غير واجب ؛ لأنَّ التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر النعمة السالفة .

[ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا]

فأما ما قاله الناس في ذم الدنيا وحرورها وحوادثها وخطوبها وتنكرها لأهلها ، والشكوى منها ، والعتاب لها والموعظة بها ، وتصرفها وتفتاتها ، فكثير ؛ من ذلك قول بعضهم :
 هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفكسي^(١)
 فلا يفرزكم حسن ابتساي قولي مضحك والعمل منك
 وقال آخر :

تبع عن الدنيا ولا تطلبتها	ولا تحطأين قتالة من تناكح
فليس يفي مرحوها بمخوفها ،	ومكروها إنا تأملت راجع
لقد قال فيها القائلون فاكثروا	وعندي لها وصف لعمرك صالح
سلاف ، قصارها ذعاف ، ومركب	شبه إذا استلذته فهو جامع
وشخص جهيل يعجب الناس حسنه	ولكن له أفعال سوء قباح

(١) لأبي الفرج السامري ، معاهد النصيب ٤ : ٢٤٦ .

وقال أبو الطيب :

أَبَدًا تَنْتَرِدُ مَا هَبُّ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بِخُلَا^(١)
وَفِي مَشْوَقَةٍ عَلَى النَّدْرِ لَا تَحْفَظُ هَذَا وَلَا تَتَمُّ وَصَلَا
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَيْنَهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُغْلَى
شَيْمُ الْعَانِيَاتِ فِيهَا وَلَا أَدْرِي لِمَا أَتَتْ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا !
وقال آخر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَوَارٍ وَالْمَوَارِي مُتَرَدَّةٌ^(٢)
شِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ

وقال محمد بن هاني * للمرحوم

وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَالِمِينَ مُسَوِّدِينَ^(٣) وَثَوَارِ قَرِيبِ الْجَنَنِ يَبْكِي لِرَاحِلِ
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا كَالزَّمَانِ الَّذِي تَقْصِي وَلَا نَحْنُ إِلَّا كَالْقُرُونِ الْأَوَائِلِ
نُسَاقُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ دَائِمٍ وَنَبْكِي مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ طَائِلِ
فَمَا حَاجِلُ تَرْجُوهُ إِلَّا كَأَجَلٍ وَلَا آجِلُ نَحْشَاهُ إِلَّا كَمَا جَلِ

وقال ابن المظفر المغربي :

دُنْيَاكَ دَلَرُ غُرُورٍ وَنَمْسَةٌ مُتَمَارَةٍ
وَدَلَرُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَمَكْسَبٍ وَنَحَارَةٍ
وَرَأْسُ مَالِكَ نَفْسٍ نَفْثٌ عَلَيْهَا أَتْلَسَارَةٍ

(١) ديوانه ٣ : ١٣٦

(٢) عاضدات الأدباء ٢ : ١٢٦ من غير لبه .

(٣) ديوانه ٥٨٧ (طبعة للمعارف)

وَلَا تَبِيعَهَا بِأَكْلِ طِيبِ عَرَفٍ وَشَارَةِ
فَإِنَّ مَلَكًا سَلَبًا نَ لَا يَنْ بَشَرَاةَ

•••

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْبِرُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الْفَقْرُ وَالْمَدَمُ^(١)
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيَّةٌ فَضَاةٌ إِذَا صَدَّعَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ^(٢)
وقال أيضاً :

تَمَلَّقْتُ بِأَمَالٍ طَوَالِ أَيَّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مِلْحَةً أَيَّ إِقْبَالٍ
أَيُّ هَذَا تَجَمُّزُ فَرَأَى الْأَهْلَ وَاللَّالَ
فَلَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنْ الْحَالِ

وقال أيضاً :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ مَا يَهَذَا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ^(٣)
تَحَنُّنٌ فِي دَارٍ يُخْجَرُنَا يَسْلَاهَا نَاطِقٌ لَيْنُ
دَارُ سُوءٍ لَمْ يَدِمَ فَرَحُ لَا مَرِيَّةَ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ كُنَّا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
كُلَّ غَيْرٍ عِنْدَ مَوْتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ
إِنْ مَالَ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

(١) ديوانه ٢١٣

(٢) ديوانه ٢١٣

(٣) ديوانه ٢٠٢

وقال أيضا :

أَلَا إِنَّا كَلِمًا بَائِدٌ وَأَيُّ بَنَى آدَمَ خَالِدٌ (١)
وَبَدْوُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَىٰ رَبِّهِ عَائِدٌ
فَواعجباً كيف ينصي إلا هـ أم كيف يحمده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقال الرضي اللوسوي :

يَا أَمَنَ الْأَيَّامَ بِأَدْرِ صَرْفَهَا وَاعْتَمَ بِأَنَ الطَّالِبِينَ حِثَّاهُ (٢)
خُذْ مِنْ تَرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَلَا مَا فَرَّكَكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ
لَمْ يَقْضِ حَقَّ السَّالِ إِلَّا مَشْهُرٌ نَظَرُوا الْإِيمَانَ يَمِيتُ فِيهِ فَنَاتُوا
تَحْتَوِ عَلَىٰ حَيْسِبِ النَّفْسِ يَدَ الْغَنِيِّ وَالْعَقْرُ عَنْ عَيْسِ الْعَقَىٰ بِحَاتُ
لَلْأَلْ مَالُ الْمَرْءِ مَا بَلَغَتْ بِهِ الشُّهُورَاتُ أَوْ دُفِنَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ قَلِيلٌ بَأَنَهُ مِيرَاتُ
مَا كَانَ مِنْهُ فَاضِلًا عَنْ قُوَّتِهِ فَلْيَجْنِ سَاحِرَ كَيْدِهَا الْفَنَاتُ
مَالِي إِلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَا حَاجَةٌ وَطَلَّاقُ مَنْ حَزَمَ الطَّلَاقَ ثَلَاثُ
طَلَّقَهَا أَلْفًا لِأَخِيْسٍ دَامَهَا مَكْدُوبَةٌ ، وَحَالَهَا أَنْكَاثُ
وَبَنَاتُهَا مَرْهُوبَةٌ ، وَعِيدَاتُهَا مِنْهَا ذُكُورُ سَوَادِثٍ وَإِنَاثُ
أَمْ لِلصَّائِبِ لِإِزَالِ تَرَوْعَا بِجَاهِلِ الدُّنْيَا هـ وَهُنَّ رِثَاثُ
إِنِّي لَا أُحِبُّ الَّذِينَ تَسَكَّوْا فَالْأَرْضُ تُشْبِعُ وَالْبَطْلُونُ غِرَاثُ
كَنْزُوا السُّكُورَ وَأَعْلَوْا شُهْرَانِيهِمْ أَرْوَادُنَا ، وَدِيَارُنَا الْأَجْدَاثُ
أَنْزَاهُمْ لَمْ يَبْلَغُوا أَنْ الْعَقَىٰ

(١) ديوانه ٩٩

(٢) ديوانه لوحة ٩٢٣ ، وفيه : « يَا أَمَنَ الْأَيَّامَ »

وقال آخر :

هزم الدنيا إذا صرّفت وجهها لم تنفع الحبل
 وإذا ما أقبلت لعم بصرته كيف بفعل
 وإذا ما أذبرت لذكرى غاب عنه السهل والجبل
 فهي كالدولاب دائرة ترقي طورا وتستقل
 في زمان صار ثمنه استدأ واستدأب الصل
 فالدنيا في ناصية والنواصي خضع ذل
 فاصبري بانفس واحتيلي إن نفس الحر تحتمل

وقال أبو الطيب :

نعد للشرقية والموالي
 ونرتبط السوابق مقرات
 ومن لم يمشق أدهنا قديما
 نصيبك في حياتك من حبيب
 رمانى الدهر بالأرزاء حتى
 فصرت إذا أصابني سهام
 وهان فما أبالي بالأزايا
 يدفن بمنضابض ويمشي
 وكم عين مقبرة النواصي
 وتعلقنا المنون بلا قال^(١)
 وما ينعين من خيب الأباي^(٢)
 ولكن لا سبيل إلى الوصال
 نصيبك في ملكك من خيال
 فوادي في غشاه من نبال
 تكسرت النصال على النصال
 لأنى ما أنقضت بأن أبالي
 أو اخرنا على هام الأوالي
 كحيل في الجنادل والرمال

(١) ديوانه ٣ : ٨ ، العرفية : السيوف ، والموالي : الرماح .
 (٢) المقربات من الحبل : الكرام التي تربط لسكرانها على أسعابها .

وَمَعْضٍ كَانَ لَا يُنْفِي غَلْطِهِ وَإِلَّكَ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ

•••

وقال أبو العاصية في أرجوزته المشهورة في ذم الدنيا وفيها أنواع مختلفة من الحكمة :

مَا زِلْتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَرْوَجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى ^(١)
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ قِدَارِ عِجَاجٍ ، وَقَدْ رَحِجَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَعْضِيِّ وَلَيْسَ تَحْضُ يَنْجُبُثُ بَعْضُ وَتَطْيِبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَذَا ضِدَانِ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَاضَا فِيهِمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا
 إِنَّكَ لَوْ تَتَفَتَّحُ الشَّجَرِصَا وَجَدْتَهُ أَتَقَنَّ شَيْءَ رِيحَا
 حَسْبُكَ يَمَا تَبْتَدِيهِ الْقُوتُ ^(٢) كَمَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
 الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ السَّكَنَافَا مِنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 مِنْ الْقَادِرِ قُلُوبِي أَوْ قَدَرُ إِنْ كُنْتُ أَخْطَلْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
 لِكُلِّ مَا يُوْذِي وَإِنْ قُلْ أَلَمْ مَا أَطْلُوقُ الْكَيْلَ قُلْ مَنْ لَمْ يَمُتْ
 مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَيْلُو عَقْلِهِ وَخَيْرٌ ذُخْرُ الْمَرْءِ حُسْنُ فِيهِ
 إِنْ الْفَسَادُ ضِدُّهُ الْمَصْلَحُ وَدَبَّ جِدَرُ جِرَّةٍ لِلزَّاحِ
 مَنْ جَعَلَ النَّوَامَ فِيهَا فَكَا مَيْلُكَ الشَّرَّ كِبَاغِهِ لَكَا
 إِنْ الشَّهَابُ وَالْفَرَاغُ وَالْجُدَّةُ مَفْسَدَةُ الْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةُ
 يُنْبِئُكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرَكُهُ قَدْ يُوْهِمُ الرِّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آتَاهُ بَقَاءُ نَفْسٍ عَيْشًا نَاعِمًا فَنَاءُ ^(٣)

(١) ديوانه ٣٤٦ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٢) الديوان : د بخاوه ، د خاوه .

بَارُبٍّ مِّنْ أَسْخَطَا بِمُحْدِرِهِ
قَدْ سَرَّنا اللَّهُ بِفَقْرِ خَلْدِهِ
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنَهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ وَجَوْهَرُ
وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَّاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ
أَصْفَرُهُ مَقْصِلُ بَاكِبِهِ
مِنَ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّهُ مُخْتَرَجُ
وَسَارِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَمْتَلِجُ
عَجِيبُ وَاسْتَغْرِقِي السُّكُوتُ
حَتَّى كَأَنَّ حَائِرُ مَبْهُوتُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَضْمَحُ
وَالْمَتُّ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وقال أيضاً :

كُلُّ عَلَى الدُّنْيَا لَهُ حِرْمٌ
وَالْحَادِثَاتُ لَهَا بِهَا قُرْمٌ^(١)
وَكَانَ مِنْ وَارِثِهِ فِي جَدَثِ
لَمْ يَتَمَّ مِنْهُ لَنَاظِرِ شَخْصُ
يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا زِيَادَتَهَا
وَزِيَادَةُ الدُّنْيَا فِي النِّقْصِ
لِيَدِ الْمَنِيَةِ فِي تَلَطُّفِهَا
مَنْ دَخَرَ كُلَّ نَفْسَةٍ فَخْصُ

وقال أيضاً :

أَبْلَغَ الدُّخْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَلْ
زَادَ فِيهِنَّ لِي مِنَ الْإِبْلَاقِ^(٢)
أَيَّ عَجَبٍ يَكُونُ أَطِيبَ مِنْ عِبَسٍ
كَمَا فِي قُوَّةِ بَقْدَرِ الْبَلَاغِ
غَضَبَتِي الْأَيَّامُ أَهْلِي وَمَالِي
وَشَبَابِي وَصَحْفِي وَفَرَاغِي
صَاحِبُ الْبَنَى لَيْسَ بِسَلْمٍ مِنْهُ
وَعَلَى نَفْسِي بَقِي كُلُّ بَاغِ
رُبِّهِ ذِي نَصَةِ تَعْرِضُ مِنْهَا
حَاتِلُ يَتْنُ وَتَيْنُ السَّاعِ

• • •

(١) ديوانه ١٣٦ .

(٢) ديوانه ١٦٤ .

وقال ابن المنذر:

خَدَأَ رَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا
كَفَّتْ يَدِي أَمَلِي مِنْ كُلِّ مُطَاسٍ
أَقَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَسَرَّائِي
وَأَتَغَلَّقْتُ بِأَبْهَا مِنْ دُونِ حَاجَاتِي
وله أيضاً:

أَلَسْتَ تَرَى بِإِصْحَاحِ مَا أَحْبَبَ الدَّهْرُ
لَقَدْ حَبَّبَ الْمَوْتَ الْبَقَاءَ الَّذِي أَرَى
فَدَمَّأَ لَهُ، لَكِنْ لِلْخَالِقِ الشُّكْرُ
فَيَا حَبْدًا مِنِّي لِمَنْ سَكَنَ الْقَبْرُ
وَمُبْعَانِ رَبِّي رَاضِيًا بِخُصَائِهِ
وَكَانَ اتِّقَانِي الشَّرَّ يُفْرِي بِي الشَّرَّ
وله:

قُلْ لَدَيْكَ: قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنِّي
وَآخِرُ كَيْفَ شَتَّ حَرَقِي جَهْلِي
فَأَفْضَلِي مَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْمَلِي بِي
أَنْ جَدِي لَكَ أَصْطَبَارٌ لَبِيبِ

وقال أبو العلاء المرسي:

وَالدَّهْرُ إِتْرَامٌ وَتَقْصٌ وَتَقْ
لَوْ قَالَ لِي صَاحِبُهُ تَمَّ
رَبِّي وَتَجَمُّعٌ وَنَهَارٌ وَلَهْلٌ^(١)
مَا جَزَتْ عَنْ نَاجِيَةٍ أَوْ بَدِيلُ

وقال آخر:

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ
لَا بُدَّ أَنْ يَذِيرَ أَوْ يُقْبِلَ

وقال أبو الطيب:

مَا لِي وَالِدُنْيَا طَلَابِي نَجْمُهَا
وَمَسْحَايَ مِينَهَا فِي شِدْقِي الْأَرَاقِمِ^(٢)

(١) سقط الزيد ١٦١ .

(٢) ديوانه ١١١١ : الأرقام : الحيات .

وقال آخر :

لَمَسْرُكٍ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ هَا اسْطَعْتِ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

وقال آخر :

لَمَسْرُكٍ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رِزْقُهُ مَالٍ ، أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

الوزير الملهي :

أَلَا مَوْتَ يُبَاعُ فَأَشْرَبُهُ فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ^(١)

أَلَا رَحِمَ الْهَيْمِ نَفْسَ حُرٍّ نَصَدَّقَ بِالْمَالِ عَلَى أَخِيهِ

وله :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَخَذَاتَنَا مِنَ الزَّمَنِ يَهْدِينِي مِثْلَ بَرَى الْقَدَحِ بِالسَّمَنِ

لَمْ يَبْقَ بِالْعَيْشِ لِي إِلَّا مَرَاتُهُ إِذَا تَذَوَّقْتُهُ ، وَالْخُلُوفُ مِنْهُ فِي

لَا تَحْسَبَنَّ يَمَّا سَرَّكَ صُعْبَتُهَا إِلَّا مَفَانِيحَ أَبْوَابٍ مِنَ الْحَزَنِ

عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَلَا أَيُّهَا الدَّهْرُ أَدَى قَدْ مَلَقْتُهُ سَأَلْتُكَ إِلَّا مَا سَلَّتْ حَيَاتِي

قَدْ وَجَلَّ اللَّهُ حَبِيبَتَ جَاهِدًا إِلَيَّ - قَلَّ كَرَاهٍ لِلْمَاتِ - تَمَانِي

وله :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ مَا بَقِيَ وَتَسْلُبُ مَا أَعْطَى وَيَفْسِدُ مَا أَسْدَى

فَمَنْ سَرُّهُ إِلَّا يَرَى مَا يَسُوءُهُ فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

المعتمرى :

كَأَنَّ الْإِلَهِي أَعْرَبَتْ حَدِيثَاتُهَا بِحَسْبِ الَّذِي نَأْتِي ، وَبِنُصِيِّ الَّذِي نَهْوِي^(٢)

(١) ابن خلكان ١ : ١١٧

(٢) ديوانه ١ : ١٠١

وَمَنْ حَرَّفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَرَّ خَفْضَهَا سِيبًا وَلَمْ يَمُدُّ مَضَرَّتَهَا بَلَوًى
أَبُو جَكْرِ الْخَوَارِزْمِيُّ :

مَا أَثْقَلَ الدَّهْرَ قَلَى مَنْ رَكِبَهُ
حَدَّثَنِي عَنْهُ لِسَانُ التَّجْرِبَةِ
لَا تَشْكُرِ الدَّهْرَ لَخَيْرِ سَبَبِهِ
فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْهُ بِإِلْهَةٍ
وَأَمَّا أَطْلَأَ بِكَ مَذْهَبَهُ
كَأَنَّهُ قَدْ بَنَى مَكَانًا أُخْرَبَهُ
وَاللَّهِ يَنْتَشِي بِهِ مَنْ تَرَبَّهَ

وقال آخر :

يَسْتَعِي الْفَقَى فِي صَلَاحِ الْعَيْشِ مُجْتَهِدًا وَالدَّهْرُ مَا عَاشَ فِي إِنْسَادِهِ سَاهِي
آخر :

يَمُرُّ الْفَقَى مَرُّ الْأَيَّامِ سَلِيمَةً وَهَنْ بِرَحْمَةِ قَلِيلِ حَوَائِرِ
آخر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ كَلَّا كَلَّةً أَمَّاخَ بَاخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَمِئَلَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

آخر :

قُلْ إِيْمَنْ أَنْكَرَ حَالًا مُنْكَرَةً وَرَأَى مِنْ دَهْرِهِ مَا حِيدَةً
لَيْسَ بِالنُّكْرِ مَا أَنْكَرْتُهُ كُلُّ مَنْ عَاشَ رَأَى مَا لَمْ يَرَهُ

ابن الرومي :

مَسْكَنُ الزَّمَانِ وَتَمَحَّتْ مَسْكَنَتُهُ دَفَعْتُ مِنَ الْحُرَاكَاتِ وَالْبَهْشِ

كَأَلْفُؤَانٍ تَرَاهُ مُنْبَطِحًا بِالْأَرْضِ نَمُّ يَتَوَدُّ قَيْشِ
أبو الطيب :

إِنَّا لَنِي زَمَنٍ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(١)
ذِكْرُ الْفَتَى حُرْمَةُ الثَّانِي وَحَاحَتُهُ مَاقَاتُهُ ، وَفُضُولُ الْقَيْشِ أَشْعَالُ
وقال آخر :

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ وَآى حُرِّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ لَمْ يَجْرُ
عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَلَوَانِ أَيْسَرُهُ بَدَقَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ لَمْ يَدْرِ
آخر :

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَازِرُهُ فِيهَا بِحَدِّثِ كُتُبِ وَابْنِ مَسْعُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ تَغِبْ لَهُ فَهِيَ لَمْ يَهْلِكْ مَوْتٌ ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِمَوْلُودٍ
آخر :

بَارِزَانَا أَلْبَسَ الْأَخْصَارَ ذُلًا وَمَهَانَةً
لَسْتُ عِنْدِي بِزَمَانٍ إِنَّمَا أَنْتَ زَمَانُهُ
أَجْنُوتٌ مَا نَرَاهُ مِلْكٌ يَبْدُو أَمَّ حِجَابُهُ !

الرضى للوسوى :

تَأْبَى الْإِلَهَى أَنْ تُدِيمَا بُوْسًا تَطْلُقِ أَوْ نَعِيًا^(٢)
وَالْمَرْءُ بِالْإِقْبَالِ يَبْغِي نَعْ وَادِيًا خَطَرًا جَسِيًا
فَإِذَا انْقَضَى إِجْمَالُهُ رَجَعَ الشَّفِيعُ لَهُ خَصِيًا

(١) ديوانه ٣ : ٢٨٧

(٢) ديوانه لوحة ٦٤

وَهُوَ الزَّمانُ إِذَا نَبَا سَبَّ الَّذِي أُعْطِيَ قَدِيمًا
كَالرَّجْعِ تَرْجِعُ عاصِمًا مِنْ بَدَأَ مَا بَدَأَتْ نَسِيمًا

أبو عثمان الخليلي :

أَلَيْتُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ أَكْثَرَهَا فَمَا أَعَادَى قَلَى أَحَدَانِهَا الصَّغِيرَ
تَزِيدُنِي قَسْوَةَ الْأَيَّامِ طَيْبَ تَنَا كَأَنِّي إِلَيْكَ بَيْنَ الْفَيْهْرِ وَالْخَجِيرِ

السري الرفاء :

تَنَكَّدَ هَذَا الدَّهْرُ فَبَا يَرُومُهُ قَلَى أَنَّهُ فَبَا نُحَاذِرُهُ نَذْبُ^(١)
فَبِيرُ الَّذِي تَرْجُوهُ سَبْرٌ مَقْدُودُ وَسِيرُ الَّذِي تَخْشَى عَوَائِلُهُ وَثْبُ

ابن الرومي :

أَلَا إِنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبَ جَلِيَّةَ وَأَعْجَبُهَا إِلَّا بَيْتَ وَلَيْسَ دُهَا
إِذَا ذَلَّ فِي الدُّنْيَا الْأَمْزَاءَ وَاكْفَيْتَ أَفْلَحُهَا هِزًا وَسَادَ مَسُودُهَا
هُنَاكَ فَلَا جَادَتْ سَمَاءٌ بِصَوْرِهَا وَلَا أَمْرَعَتْ أَرْضٌ وَلَا اخْصَرَّ عُرُودُهَا
أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ يَوْمَ غَيْرِ أَهْمٍ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُقْلَبْ عَلَيْهِمْ صَعِيدُهَا
وَمَا انْخَسَفَ أَنْ يُبْلَى أَسْفَلُ بَلَدٍ أَعْلَاهَا ؛ بَلْ أَنْ يَسُودَ صَبِيدُهَا

السري الرفاء :

لَنَا مِنَ الدَّهْرِ خَصْمٌ لَا طَالِبُهُ فَمَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ كَفَتْ نَوَائِبُهُ^(٢)
يَرْتَدُّ عَنْهُ جَرِيحًا مَنْ يُسَالِيهِ فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهُ مَنْ يَحَارِبُهُ
وَلَوْ أَمِنْتُ الَّذِي تَجْنِي أَرَامُهُ عَلَى هَذَا الَّذِي تَجْنِي عَقَارِبُهُ

(١) ديوانه ٣٦

(٢) ديوانه ٥٥ ، وفيه : « خَصْمٌ لَا طَالِبُهُ » .

أبو فراس بن حمدان :

تَصَفَّحْتُ أَحْوََالَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَكُنْ إِلَى قَبْرِ شَاكٍ لِلزَّمَانِ وَصُولُ^(١)
أَكَلَ خَلِيلٌ هَكَذَا غَيْرُ مَنْصِفٍ وَكُلُّ زَمَانٍ بِالْكَرَامِ بِخَيْلٍ !

ابن الرومي :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَبَحْفِصُ كُلِّ ذِي شِمٍّ شَرِيفَةٍ
كَثُلِ الْبَحْرِ يَفْرَقُ فِيهِ حَى وَلَا يَنْفَكُ تَطْلُقُو فِيهِ حَيْفَةٍ
أَوْ الْمِيزَانَ بِحْفِصُ كُلِّ وَافٍ وَيَرْفَعُ كُلُّ ذِي زِيَةٍ خَفِيفَةٍ
ابن نباتة :

وَاصْمَرُ عَيْبٍ فِي رَمَائِكَ أَنَّهُ بِهِ الْعِلْمُ جَهْلٌ ، وَالْعَفَافُ فُسُوقُ
وَكَيْفَ يُسَرُّ الْحَرْفُ فِيهِ بِمَطْلَبٍ وَمَا فِيهِ شَيْءٌ بِالسُّرُورِ حَقِيقُ !



أبو العتاهية :

لَتَجْذِبُنِي بَدُ الدُّنْيَا بِقُوَّتِهَا إِلَى السَّامَاءِ ، وَإِنْ نَازَعْتَهَا رَمَى^(٢)
فَهُ دُنْيَا أَنَا فِي دَائِبَتِهَا قَدْ ارْتَمَوْا فِي غِيَاظِ النَّاسِ وَالْفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رَوَاعٍ تَبْخِي سَمَاءًا وَحَقَّقُهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السَّمَانِ
وله أيضا :

أُنْسَاكَ نَحْيَاكَ الْمَاتَا فَطَلَبْتُ فِي الدُّنْيَا الثَّيَابَتَا^(٣)

(١) ديوانه ٣١٥ (نشرة سالي الدمان) .

(٢) ديوانه ٣٨٨

(٣) ديوانه ٥٣

وقال يزيد بن مفرغ الحيرى :

لاذعرت السوام في فلق الصب
يوم أعلى من المخافة صبا
ح مغيراً ولا دُعيتُ يزيداً^(١)
والناب يرضدنى أن أجيذاً^(٢)
وقال آخر :

لا تحسبى يا أما
إني إذا خفتُ الهوا
مة عاجزاً دنيأ نيابة
ن شيع ذلك ركابة^(٣)

مثله قول عنزة :

ذلك ركابى حيث شئتُ مشابى
لهم وأخيزه برأى مبرم^(٤)
وقال آخر :

أخشمة اللوت دز دز سلم
إنا لعمركم الإله تبارك
أعطهم القوم فوق ما سألوا
لوا ولما تقصف الأسفل
تقبل خيماً ونحن نقره
ما دام منا يظهرها رجل

وقال آخر :

وردب يوم حبست النفس مكرهه
أبى وأغف من أشياء آخذها
فيه لأكبت أهداء أحاشيها
رث القوى، وضعف القوم يعطيها
مثله للشداخ :

أبيناً فلا نعلى مليكاً ظلامه
لا سوفة إلا الوشيع للقوما^(٥)

(١) السوام : الإبل الراحية .

(٢) يرضدنى : يراجلنى .

(٣) الشيع : الشجاع .

(٤) من الخلقة ٢٠٥ - بصرح التبريزى . دلل : جمع دلول ؛ وهو من الإبل وغيرها مدال مصب ؛ والشايح :

الشجاع ؛ مثل الشيع ؛ كُن قلبه لا يخذله فهو يشبهه . وأخيزه : أدفعه . والبرم : الحكم .

(٥) يلى بالوشيع الريمج .

تَرُومُ اُنْطَلَقَ فِي دَارِ التَّغَايِ وَكَمْ قَدْ رَامَ قَبْلَكَ مَا تَرُومُ !
 لِأَمْرِ مَا تَصَرَّعْتَ الْوَالِي وَأَمْرٍ مَا تَقَلَّبْتَ الشُّجُومُ
 تَنَامُ وَلَمْ تَزَمْ هُنَاكَ النَّبَا تَنْبَهْ لِلْمَلِيَّةِ يَا شُومُ
 إِلَى دَبَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمِصْ وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْمَعُ الْخُصُومُ

• • •

حسبنا الله وحده ، وصلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله الطاهرين .

• • •



ثم الجزء الثالث

وبليه الجزء الرابع وأوله في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

فهرس الخطب

صفحة

- ١١٩ - ٤٤ - من كلامه عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية
- ١٥٦ - ٤٥ - من خطبة له في الزهد وتنظيم الله وتصغير أمر الدنيا
- ١٦٥ - ٤٦ - من كلامه عند هزمه على السير إلى الشام
- ١٩٧ - ٤٧ - من كلامه في ذكر الكوفة
- ٢٠٢ - ٤٨ - من خطبة له عند السير إلى الشام أيضا
- ٢١٦ - ٤٩ - من خطبة له في تمجيد الله سبحانه وتحميده
- ٢٤٠ - ٥٠ - من خطبة له يصف فيها وقوع الفتن
- ٥١ - من كلام له لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين
- ٢٤٤ ومنعوم من الماء
- ٢٣٢ - ٥٢ - من خطبة له في وصف الدنيا

فهرس الموضوعات

صفحة	
٤ - ١١	بقية رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
١١ - ٦٩	ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها
٧٠ - ٧٣	بيعة جرير بن عبد الله البجلي لعل
٧٣ - ٧٤	بيعة الأشعث لعل
٧٤ - ٩١	دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ورد معاوية عليه
٩١ - ١١٥	أخبار متفرقة
١١٥ - ١١٧	مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لمعاوية
١١٧ ، ١١٨	نسب جرير وبعض أخباره
١٢٠ - ١٢٢	نسب بني ناجية
١٢٢ - ١٢٦	نسب على بن الجهم وطائفة من أخباره وشيوخه
١٢٧	نسب مصقلة بن هبيرة
١٢٧	خبر بني ناجية مع على
١٢٨ - ١٥١	قصة الخريت بن راشد الناجي وخروجه على على
١٥٣ ، ١٥٤	فصل بلاغي في الموازنة والسجع
١٥٤ - ١٦٤	نبد من كلام الحكماء في مدح القناعة وذم الطمع
١٦٦ - ١٦٩	أدعية على عند خروجه من الكوفة لحرب معاوية
١٦٩ - ١٧١	كلام لعل حين نزل كربلاء
١٧١ - ١٨٦	كلامه لأصحابه وكتبه إلى عماله
١٨٨ - ١٩٠	كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه
١٩٨ ، ١٩٩	فصل في ذكر فضل الكوفة

صفحة

٢٠٢	أخبار علي في جيشه وهو في طريقه إلى صفين
٢١٧	فصول في العلم الإلهي
٢٢١ - ٢١٨	الفصل الأول في الكلام على كونه تعالى عالماً بالأمور الخفية
٢٢٢ ، ٢٢١	الفصل الثاني في تفسير قوله عليه السلام : « ودلت عليه أعلام الظهور »
٢٢٣ ، ٢٢٢	الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هوية البشر
٢٢٨ - ٢٢٣	الفصل الرابع في نفي التشبيه عنه تعالى
٢٣٩ ، ٢٣٨	الفصل الخامس في بيان أن الجاحد مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه
٢٤٩ - ٢٤٥	الأشعار الواردة في الإباء والأنف من احتمال الضيم
٢١٢ - ٢٤٩	أهية الضيم وأخبارهم
٢٣١ - ٢١٢	غلبة معلومة على اللاء بصفتين ثم غلبة علي عليه بعد ذلك
٢٤٩ - ٢٢٥	ما قيل من الأشعار في ذم الدنيا تحتها كغيرها من العلوم